التسجيل الدولي ISSN 2305-591X

٧٦

Yanabee'a
ينابيع

مَجلّةٌ ثقافيّةٌ تُعنى بِنَشرِ فِكرِ أَهْلِ البَيْت عليهم السلام / السَّنة ١٤/ العَدَد ٧٦ شهر رمضان- شوال ١٤٣٨هـ/ حزيران- تموز/ ٢٠١٧ م

ينابيع ٧٦

مجلة ثقافية تعنى بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام

تصدر كل شهرين عن

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

1Z30959

المشرف العام
السيد عبد الحسين القاضي

رئيس التحرير
الحاج فلاح حسن علي العلي

مدير التحرير
حيدر الجد

سكرتير التحرير
حسين جودي الجبوري

التدقيق ومراجعة النصوص
سعد فخر الدين

التصميم والإخراج الفني
وسام مسلم المظفر
أسعد محمود زوين

التنضيد الإلكتروني
ميثم عبد علي الزاملي

العراق ـ النجف الاشرف ـ حي السعد

العنوان الإلكتروني: www.Yanabee.org

البريد الإلكتروني: Yanabee_Mag@Ymail.com

ص.ب (٥٥٠) **موبايل:** ٠٧٨٠٣١٧١٥٠٥

أسعار المجلة: العراق ١٠٠٠ دينار. الكويت ٣٥٠ فلساً. الأردن ٧٥٠ فلساً. المملكة العربية السعودية ٣ ر.س. سوريا ٧٥ ل.س. وباقي الدول ١,٥ دولار أو ما يعادله.

قيمة الاشتراك السنوي لستة أعداد: في العراق للمؤسسات ١٢٠٠٠ دينار وللأفراد ٨٠٠٠ دينار وخارج العراق ١٠ دولار أو ما يعادلها.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٨٨٠ لسنة ٢٠٠٦

مسجلة في نقابة الصحفيين العراقيين برقم ١٣٩ في ١٦/ ١١/ ٢٠٠٥م

- المقالات تعبّر عن رأي أصحابها.
- يخضع ترتيب المقالات إلى ضوابط فنية.
- لا تعاد المقالات إلى أصحابها سواء نُشرت أم لم تنشر.

قصيدة
في أمير المؤمنين عليه السلام

شعر: السيد الحميري (رحمه الله)

ألا أيها العاني الذي ليس في الأذى ... ولا اللّوم عندي في عليٍّ بمحجمِ
ستأتيك مني في عليٍّ مقالة ... تسوؤك فاستأخر لها أو تقدمِ
علي له عندي على من يعيبه ... من الناس نصر باليدين وبالفمِ
متى ما يرد عندي معاديه عيبه ... يجد ناصرًا من دونه غير مفحمِ

* * * * * * * * * * * * * * *

علي أحب الناس إلّا مُحمدًا ... إليَّ فدعني من ملامك أو لمِ
عليٌّ وصيُّ المصطفى وابن عمه ... وأول من صلى ووحَّد فاعلمِ
عليٌّ هو الهادي الإمام الذي به ... أنار لنا من ديننا كل مظلمِ
عليٌّ وليُّ الحوض والذائد الذي ... يذبب عن أرجائه كل مجرمِ
عليٌّ قسيم النار من قوله لها ذري ... ذا وهذا فاشربي منه وأطعمي
خذي بالشوى ممن يصيبك منهم ... ولا تقربي من كان حزبي فتظلمي
عليٌّ غدًا يُدعا فيكسوه ربه ... ويدنيه حقًا من رفيق مكرمِ

فإن كنت منه يوم يدنيه راغما ... وتبدي الرضا عنه من الآن فارغم
فإنك تلقاه لدى الحوض قائمًا ... مع المصطفى الهادي النبي المعظم
يجيزان من والاهما في حياته إلى ... الروح والظل الظليل المكمم
عليٌّ أميرُ المؤمنين وحقه ... من الله مفروض على كل مسلم
لأن رسول الله أوصى بحقه ... وأشركه في كل فيئ ومغنم
وزوجته صديقة لم يكن لها ... مقارنة غير البتولة مريم
وكان كهارون بن عمران عنده ... من المصطفى موسى النجيب المكلم
وأوجب يومًا بالغدير ولاءه ... على كل بر من فصيح وأعجم

* * * * * * * * * * * * * *

لدى دوح خُمٍّ آخذًا بيمينه ... ينادي مبينًا باسمه لم يجمجم
أما والذي يهوي إلى ركن بيته ... بشعث النواصي كل وجناء عيهم
يوافين بالركبان من كل بلدة ... لقد ضل يوم الدوح من لم يسلم
وأوصى إليه يوم ولى بأمره ... وميراث علم من عرى الدين محكم
فما زال يقضي دينه وعداته ... ويدعو إليها مسمعًا كل موسم
يقول لأهل الدين أهلًا ومرحبًا ... مقالة لا مَنٍ ولا متجهم
وينشدها حتى يخلص ذمة ... ببذل عطايا ذي ندى متقسم
فمه لا تلمني في عليٍّ فإنه ... جرى حبه ما بين جلدي وأعظمي
ولو لم تكن أعمى به وبفضله ... عذرت ولكن أنت عن فضله عمي
أليس بسلع قنع المسرف الذي ... طغى وبغى بالسيف فوق المعمم

* * * * * * * * * * * * * *

وبدرٌ وأُحدٌ فيهما من بلائه ... بلاء بحمد الله غير مذمم
ولله جَلَّ اللهُ في فتح خيبر ... عليه ومنه نعمة بعد أنعم

* * * * * * * * * * * * * *

* عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبنا ذات يوم فقالَ:

أيها النّاس إنّه قَدْ أقبل إليكم شَهرُ الله بالبركةِ والرحمة والمغفرة، شَهر هُوَ عِندَ الله أَفضل الشهور وأيامه أفضلُ الأيام ولياليهِ أَفضل الليالي وساعاته أَفضل الساعات، هُوَ شَهر دعيتم فيهِ إلى ضيافة الله وجُعلتم فيهِ مِن أَهْل كرامة الله. أنفاسكم فيهِ تسبيح ونومكم فيهِ عبادة وعمَلكم فيهِ مقبُول ودعاؤكُم فيه مستجاب، فسلوا الله ربّكم بنيّات صادقة وقلوب طاهرة أن يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابِه، فإن الشقيَّ مَن حُرم غفران الله في هذا الشّهر العَظيم، واذكروا بجوعكم وعطشكم فيهِ جوع يَوم القيامة وعطشه، وتصدّقوا على فقرائكم ومساكينكم ووقّروا كباركُم وارحموا صغاركُم، وصلوا أرحامكم واحفظوا ألسنتكم وغضّوا عمّا لا يحلّ النّظر إليهِ أبصاركم وعمّا لا يحل الاستماع إليه أسماعكم، وتحننّوا على أيتام النّاس يُتحنّن على أيتامكم، وتوبوا إليهِ مِن ذنوبكم، وارفعوا إليهِ أيديكم بالدّعاء في أوقات صلواتكم، فإنّها أفضَل السّاعات ينظر الله عزّوجلّ فيها بالرّحمة إلى عبادهِ يُجيبَهم إذا ناجوه. ويلبيهم إذا نادوه ويستجيب لهم إذا دعوه.

أيّها الناس: إنَّ أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكوها باستغفاركم، وظهوركُم ثقيلة مِن اوزاركُم فخفّفوا عنها بطولِ سجودكُم، واعلموا أنّ الله تعالى ذِكرَه أقسم بعزّته أن لا يعذّب المصلّين والسّاجدينَ، وأن لا يروعهم بالنّار يَوم يقوم النّاس لرب العالمين.

أيّها النّاس: مَن فطّر منكم صائمًا مؤمنًا في هذا الشّهر كانَ لَهُ بذلِكَ عِندَ الله عتق رقبة ومغفرة لما مضى مِن ذنوبهِ. قيل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولَيسَ كلّنا يقدر على ذلِكَ، فقالَ صلى الله عليه وآله وسلم: اتقوا النّار ولو بشقّ تمرة، اتقوا النّار ولو بشربة مِن ماء، فإنّ الله تعالى يهب ذلِكَ الأجر لمن عمل هذا اليسير إذا لَمْ يقدر على أكثر مِنهُ.

يا أيّها النّاس : مَن حسّن منكم في هذا الشّهر خُلقه كانَ لَهُ جواز على الصراط يَوم تزلُّ فيهِ الاقْدام، ومَن خفّف في هذا الشّهر عما ملكت يمينه خفّف الله عَليهِ حسابه، ومَن كفّ فيهِ شرّه كفّ الله عَنهُ غضبه يَوم يلقاه، ومَن أكرم فيهِ يتيمًا أكرمه الله يَوم يلقاه، ومَن وصلَ فيه رَحِمَه وصله الله برحمته يَوم يلقاه، ومَن قطع فيهِ رَحمه قطع الله عَنهُ رحمته يَوم يلقاه، ومَن تطّوع فيهِ بصلاة كتبَ لَهُ براءة مِن النّار، ومَن أدّى فيهِ فرضًا كان لَهُ ثواب مَن أدى سبعينَ فريضة فيما سواه مِن الشهور، ومَن أكثر فيهِ من الصلاة عليَّ ثقل الله ميزانه يَوم تخف الموازينَ ، ومَن تلا فيهِ آية مِن القرآن كانَ لَهُ مثل أجر مَن ختم القُران في غَيرَه مِن الشهور.

أيها النّاس: إنّ أبواب الجنان في هذا الشّهر مفتحة فسلوا ربّكم أن لا يغلقها عَلَيكُم، وأبواب النيران مغلقة فسلُوا ربّكم أن لا يفتحها عَلَيكم والشيّاطين مغلولة فسلوا ربّكم أن لا يسلّطها عَلَيكُم.

أهم المواضيع

الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم
أ.م.د عادل عباس النصراوي

القرآنيات
ص (١٠)

رص (٤٤)

الإمام الصادق عليه السلام ومعالم مدرسته (الحركة والتأثير)
الشيخ محمد آل حيدر

منهج الشيخ الطوسي في تفسير القرآن
الباحثة لينا أمير عبد الحسين

القرآنيات
ص (٢١)

مع الفقيه
ص (٨٦)

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدَ ظله)

السيد المرتضى وتفسير دعوى اليهود (يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ)
أ.م.د. محمد كاظم الفتلاوي

آمن الرسول
ص (٣٨)

للفضيلة نجومها
ص(١١٠)

أبو الصلت الهروي... وأهم ما روى في مسنده الباحث فارس رزاق الحريزي

فضائل أهل البيت عليهم السلام في كتب المحدثين
السنة ، الحافظ السيوطي نموذجاً (دراسة وتحليل)

قراءات
ص (٩٦)

واحة الأدب
ص (١٣٨)

الدواء المعجزة
ترجمة بتصرف كمال السيد

كلمة العدد

أفضل العبادة في شهر الصيام !!

رئيس التحرير..... ٨

قرآنيات

الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم

أ.م.د عادل عباس النصراوي ١٠

علم الوقف والابتداء في القرآن الكريم

م. م. مقدام محمد جاسم..... ١٦

منهج الشيخ الطوسي في تفسير القرآن

الباحثة لينا أمير عبدالحسين ٢١

أمن الرسول

ذخائر أدعية الإمام الصادق عليه السلام

د. أحمد جاسم مسلم الخيّال..... ٢٦

بعض صور القيامة في الكتاب والسنة

الباحث: محسن عبد العظيم الخاقاني..... ٣٢

السيد المرتضى وتفسير دعوى اليهود (يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ)

أ.م.د. محمد كاظم الفتلاوي ٣٨

ملف العدد (الإمام الصادق)

الإمام الصادق عليه السلام ومعالم مدرسته (الحركة والتأثير)

الشيخ محمد آل حيدر..... ٤٤

مميزات مدسة الإمام الصادق عليه السلام

أ.د. جواد كاظم النصر الله ٤٩

الإمام الصادق عليه السلام ومناهجه التعليمية

الشيخ الدكتور حسن كريم الربيعي ٥٣

الأمن الاجتماعي عند الإمام الصادق عليه السلام

أ.د. نجم عبدالله الموسوي ٥٨

الإمام الصادق عليه السلام بين إمارة القلوب وإمارة الأبدان

م.م: محمد رضا الشريفي ٦٢

فقرات من كتاب (التوحيد) الذي رواه المفضل بن عمرو

هيئة التحرير ٦٨

إضاءات السيرة

النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأقسام العلم

الشيخ حسن العيساوي..... ٧٣

الإمام علي بن الحسين عليه السلام والامتحان الصعب

طالب علي الشرقي..... ٧٩

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)..... ٨٦

في النفس والمجتمع

زواج الكتابية من منظور حديثي

محمد دعبيل..... ٩٠

قراءات

فضائل أهل البيت عليهم السلام في كتب المحدثين السنة

سكرتير التحرير ٩٦

للفضيلة نجومها

أبو الصلت الهروي ... وأهم ما روى في مسنده

فارس رزاق الحريزي..... ١١٠

السيد محمد باقر الحجة الطباطبائي (١٢٧٣ـ١٣٣١هـ)

د.سلمان هادي آل طعمة ١١٦

طروحات عامة

نسبية الزمن بدليل القرآن الكريم

د. فيصل علي البصام..... ١٢٢

الغلو في القرآن والسُنَّة

الباحث: سامر محمد رشاد..... ١٢٨

واحة الأدب

(مَنْ) الشرطيَّة في نص الزِّيارة الجامعة الكبيرة

أ.م.د هاشم جعفر حسين ١٣٤

الـــدواء المعـجزة

ترجمة بتصرف كمال السيد ١٣٨

حـكايـة مستـبصر..... ١٠٢

في الـــذاكـــرة..... ١٠٤

وقـــفة مع الذكـــرى:..... ١٠٨

كلمة العدد

أفضل العبادة في شهر الصيام !!

نبارك للمسلمين وللمؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها حلول شهر رمضان المبارك، الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

إنه شهر الصيام والقيام، والتوبة والإنابة والمغفرة والرحمة، وهو أفضل الشهور عند الله تعالى، وأيامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، كما وصفه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، إنه شهر الألطاف الإلهية الخاصة، فقد جعله الله تعالى شهر العتق من النار والفوز بالجنة، والشقي الشقي من حُرِم فيه غفران الله تعالى.

يجتهد المؤمنون في هذا الشهر الفضيل في التقرب إلى الله تعالى بالطاعات والمبرات وأنواع العبادات، كالصلوات والدعاء وقراءة القرآن وبذل الصدقات وإفطار الصائم وصلة الأرحام، وتوقير الكبار، ورعاية الأيتام، وكل ما من شأنه غفران ذنوبهم، ونيل الأجر والثواب ورضا الله عز وجل.

ويبقى فوق كل هذا وذاك ماهو أفضل هذه الأعمال عند الله تعالى ورسوله وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهذا أمير المؤمنين عليه السلام يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عقب خطبته في استقبال شهر رمضان، قائلاً:(يا رسول الله ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فيجيبه صلى الله عليه وآله وسلم : يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عز وجل)[1]...والورع كما – لا يخفى- هو اجتناب المعاصي وعدم الوقوع فيها.

وهذا إمامنا الصادق عليه السلام يقول: (لا يكون يَوم صومِك كيوم إفطارك.)[2] ثم يضيف عليه السلام قائلًا: (إنّ الصِّيام لَيسَ مِن الطّعام والشراب وحده،....فإذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم عَن الكذب وغضّوا أبصاركُم عمّا حرّم الله، ولا تنازعوا ولا تحاسدوا ولا تغتابوا ولا تماروا ولا تخالفوا، ولا تسابّوا ولا تشاتموا ولا تظلموا ولا تسافهوا ولا تضاجروا ولا تغفلوا عَن ذِكر الله وعَن الصلاة، والزموا الصمت والسّكوت والصّبر والصّدق ومجانبة أَهل الشّر، واجتنبوا قول الزّور والكذب والفري والخصومة وظنّ السّوء والغيبة والنميمة ....)[3].

وبمدى فهم هذه الأوامر والنواهي والالتزام بها يوضَعُ صومُ المؤمن في إحدى مراتب ثلاث، أصغرها من يصوم

عن ارتكاب الذنوب المكتسبة عن طريق البطن من المال الحرام، كأكل مال اليتيم والربا،والسحت.

وأوسطها هي مرتبة الصوم عن ارتكاب الذنوب المكتسبة عن طريق اللسان، كالغيبة والبهتان والنميمة والكذب وقول الزور.

أما أعلى مراتب الصوم فهي مرتبة الصائم عن ارتكاب الذنوب المكتسبة عن طريق القلب وهي أشد الذنوب، كالتفكير بالآثام والظلم، والحسد، وسوء الظن والفري وغيرها، والصوم عنها باجتنابها هو أعلى مراتب الصوم.

فلقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (صوم القلب خير من صيام اللسان ، وصيام اللسان خير من صيام البطن) [٤] وقال أيضًا: (صيام القلب عن الفكر في الآثام، أفضل من صيام البطن عن الطعام)[٥].

كما وردت أحاديث كثيرة تحض على الورع عن المحارم، وأنه ملاك الدين، وأشد العبادة، ولا يُنال ما عند الله إلّا به.

فاجتناب المحرمات تشريع إلهي وأمر رباني ينبغي على المسلم الالتزام به سواء أكان في شهر رمضان أو في غيره من أيام السنة، ولكن التأكيد عليه في شهر رمضان المبارك، هو لأجل فتح باب التوبة للعباد ومنحهم فرصًا مضافة لنيل الثواب في أجواء روحية مثالية خالية من مكائد الشياطين المقرَّنين بالأصفاد وحبائلهم.

وهو أيضًا بمثابة دورة تربوية سنوية تأهيلية مكثفة للمؤمنين، تهدف إلى المزيد من تهذيب النفس وصدها عن المعاصي والذنوب، الذي هو أفضل العبادة، وشحنها بشحنات روحية تقويمية للسلوك وكيفية التعامل مع الآخرين.

وبذلك تتحقق التقوى التي أرادها الخالق عَزَّ وجل وشرَّعَ الصيام من أجلها إذ يقول عَزَّ من قائل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة:١٨٣).

نسأل الله بحرمة هذا الشهر الشريف أن يوفقنا لطاعاته واجتناب معاصيه، ويتقبل منا بأحسن القبول، ويمن علينا بفكاك رقابنا من النار، ويرحمنا برحمته الواسعة إنه أرحم الراحمين..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

رئيس التحرير

١- الأمالي/الشيخ الصدوق/ص١٥٥.

٢- المقنعة/الشيخ المفيد/ص٣١٠.

٣- وسائل الشيعة/الحر العاملي/ج١٠ص١٦٦.

٤- عيون الحكم والمواعظ/الليثي الواسطي/ص٣٠٥.

٥- ن.م/ص٣٠٢.

الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم

أ.م.د. عادل عباس النصراوي
كلية التربية الأساسية – جامعة الكوفة

ينابيع تُطالعنا كتب كثيرة في قضية النسخ في القرآن الكريم، منها ما أفرد لها مؤلفوها كتبًا خاصة بهذا الموضوع ومنهم من ضمّنها في كتب علوم القرآن. وقضية النسخ مشكلة يشوبها التعقيد حتى شكلّت في الفكر العربي والتشريع الإسلامي (معضلة) شائكة لتعلّقها بالعقائد والفقه الإسلامي على الأغلب، فضلًا عن كون أغلب ما وقع منها خاضعًا لاجتهادات خاصة، ويغلب على كثير من رواياتها اجتهادات شخصية، أو يشوبها الضعف والتدليس، فضلًا عن الاكتفاء بدلالة ظاهر النصّ بسبب من الاعتماد على بعض من فنون اللغة من دون الغور في أعماقه وكشف مضامينه، أو الوقوع في وهم الدلالة وتداعياته التي تُفضي إلى الانحراف عن الدلالة الحقيقية للنص، مضافًا إلى كلّ ذلك، التغاضي عن سبب النزول في معالجة قضية الآيات الناسخة والمنسوخة وضَعْف التفريق بين التناقض والتعارض بين الآيات التي ادُّعي فيها النسخ

بسبب الخلط في كلّ ذلك، وإهمال كون التشريع الإسلامي جاء في كثير من الآيات الداخلة ضمن موضوعة النسخ متدّرجًا ومتطوّرًا عند معالجة القضايا الاجتماعية، أي أنّ الواقع كان له أثرٌ كبير في توجيه الأحكام ورسم حدودها الزمانية والمكانية، لذلك فعملية إهمال الواقع الاجتماعي في التشريع الإسلامي فقهًا يأخذ بأيدي الباحثين إلى دلالة موهومة من خلال بروز ظاهرة التناقض بين النصوص القرآنية في موضوع معيّن، وهو في الحقيقة تعارضٌ، وعند تدبّر الآيات لم نجد له حضور تفرقة بين نصوص القرآن ومعانيه[1]، وكذلك قد يقع سوء فهم لدلالة الناسخ والمنسوخ من خلال عدم ملاحظة وحدة الموضوع للنصوص التي يقع فيها النسخ، غير أنّ ظاهر النصّ يوحي أولًا إلى وجود هذه الوحدة الموضوعية، لكن عند التدبّر والتمعّن فيه من خلال سياقه العام والتركيب الجملي لجملة الناسخ، تراها مخالفة لجملة المنسوخ فيسقط النسخ.

إنّ اكتشاف هذه المضامين يحتاج إلى تدبّر عميق في النصّ القرآني فضلًا عن الصبر والتأنّي في ملاحظة دقائق التركيب ولغة النصّ وأصل دلالتها وما تطوّر عنها، عند ذلك ستجد الدلالة واضحة ومغايرة لما عليه الآخرون.

هذه الموضوعات المتعلّقة بالنصّ المبارك لغة وتركيبًا وسياقًا لها أهميتها في الكشف عن المضامين التي يكتنفها القرآن الكريم، والتي من شأنها أن تكشف عن كثير من الدلالات المختبئة بين طيات النصّ، ومنها معرفة الناسخ من المنسوخ.

تكتسب هذه القضية في القرآن الكريم أهمية كبيرة من بين مظاهر محتوى النصّ المبارك، لعلاقتها الوثيقة بالتشريع الإسلامي، وإبعاد محاولات الطعن بالقرآن الكريم، ونسبة التحريف إليه زيادة أو نقصًا أو تناقضًا بين آياته وسوره ومعانيه، لذلك حرص العلماء كثيرًا على دراسته والاهتمام به فقد (روي أن عليا عليه السلام دخل الكوفة فرأى عبد الرحمن بن دأب صاحب أبي موسى الأشعري وقد تحلق عليه الناس يسألونه وهو يخلط النهي بالأمر والإباحة بالحظر، فقال له عليه السلام: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال لا، فقال هلكت وأهلكت)[2]، لذلك نبّهوا إلى كثير من المسائل منها ظاهرة التدرّج في الأحكام ورأوا أنه ليس من شأن وقوع النسخ ما كان بدافع التدرّج في الأحكام بقصد التسهيل على الناس، وقد سُئل عليه السلام فأجاب: (إنّ الله تبارك وتعالى بعث رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالرأفة والرحمة، فكان من رأفته ورحمته أن لم ينقل قومه في أول نبوته عن عاداتهم حتى استحكم الإسلام في قلوبهم، وجلّت الشريعة في صدورهم)[3]، تسهيلًا عليهم في تقبّل الأحكام على وجه التدريج وفق متطلبات المجتمع وحاجاته، فهذا ـ في الحقيقة ـ ليس بنسخ، لأنّه ليس بحكم ثابت فينسخ[4]، أو يُبدّل بحكم جديد فإنّ (كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما لعلّة ما تُوْجب ذلك الحكم، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر، وليس

بنسخ، إنّما النسخ الإزالة حتى لا يجوز امتثاله أبدًا)[٥] لأنّ في الإزالة إلغاء لذلك الحكم، في حين أنّ توقّف حكم بسبب من انتهاء وقته لا يُعدّ إزالة عقلًا، فهو حكم فرضته ظروف المجتمع، وربّما تتكرر تلك الظروف فنحتاج إليه مرة أخرى، فهو حكم لأمر وقع وانتهى وربّما يعود مرة أخرى لحاجة المجتمع له.

إذًا، مسألة النسخ لها علاقة بأمور التشريع الإسلامي لأنّ ما نُسب من قضايا النسخ يتعلّق أكثره بآيات الأحكام التي فيها مناط الحكم الشرعي سواء أكان دائميًا فقط أم وقتيًا، إذ تنتهي حدود تمدّد الحكم فيه إلى وقت محدّد لظروف خاصة، وليس في هذا نسخ، وسوف يكون هناك ما يُشير إلى هذا التوقف من خلال نزول آية قرآنية تُوقف العمل به لا غير، وأنّ النبي ﷺ ليس له أن يُوقف حكمًا شرعيًا إلّا بتشريع إلهي آخر، قال تعالى (**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**)(يونس: ١٥)، فدفع بذلك قضية نسخ القرآن بالسنة النبوية المباركة.

من مصاديق هذا الأمر نسخ حكم التوجّه إلى القبلة الأولى، إذ لم يكُن إلّا بأمر من الله تعالى بعد طلب النبي ﷺ منه سبحانه، وهو ممّا لا ريب في وقوعه فيه[٦]، فقال تعالى: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)(البقرة:١٤٤)، وهو رأي الشيخ المفيد[٧](ت ٤٠٣ هـ)، والشافعي(ت ٢٠٤ هـ) إذ عدّ السنة النبوية مفسرة للكتاب وليست ناسخة له[٨].

لقد قسّم علماء القرآن النسخ على ثلاثة أقسام:

١. نسخ التلاوة من دون الحكم.
٢. نسخ الحكم من دون التلاوة.
٣.نسخ التلاوة والحكم معًا.

أمّا رفع التلاوة بالنسخ دون الحكم فذلك ممّا يُعدّ تحريفًا لأنّه رفع لكلام الله تعالى من القرآن الكريم ونسبة النقص إليه وهذا ممّا يُوجب البطلان، والأكثر منه بطلانًا رفع الحكم والتلاوة معًا، وأمّا رفع الحكم من دون التلاوة فهو الواقع ودّل عليه الكتاب العظيم.

سوف أعرض لقضية نسخ الحكم مع بقاء التلاوة فقط، لاتضاح بطلان النوعين الآخرين لما فيهما من شبهة التحريف وعدم صمودهما أمام الدليل العقلي والقرآني، وأمّا مسألة نسخ الحكم وبقاء التلاوة فتكاد تكون الأوضح في القرآن إذ دلّت عليه بعض الآيات، وقد توسع فيها آخرون[٩]، ولأجل دراستها ينبغي أن نطرح تساؤلًا هامًا والإجابة عنه، وهو: ما الفائدة من وجود آية قرآنية نُسِخ حكمها، ألم يَعُد ذلك نصًا زائدًا بعد زوال حكمه؟

لأجل الإجابة عن هذا التساؤل ينبغي فهم إشكالات معينة تتعلق بموضوع الآيتين الناسخة والمنسوخة، وتركيب بنائهما اللفظي والأسلوبي وكيفية

استعمال مفرداتهما ومدى تكافؤ السياقين فيهما لفظيًا ودلاليًا، فضلًا عن أسباب النزول لكل منهما.

كلّ إشكالية من هذه الإشكالات تقدم أسئلة متعددة ينبغي الإجابة عنها جميعًا كي نستطيع التوصل إلى نتيجة واضحة عن التساؤل الأكبر المتعلّق بعدم إزالة النصّ المنسوخ حكمه.

إنّ تساوي الإجابة وتكافُؤَها بين الآيتين الناسخة والمنسوخة سوف يُحقق النسخ بمعنى الإزالة الكلية للفظ والمعنى، إذ لا موجب عقلي بعد ذلك لوجوب اللفظ عند تعويضه بلفظ مماثل له، ويؤدي الوظيفة ذاتها لفظًا ودلالة وأسلوبًا وتركيبًا.

هذا الأمر صعب الوقوع أو أنّ وقوعه يكون من باب الاستحالة وذلك أنّ الألفاظ والكلمات لها معانٍ وقيم دلالية غير متساوية في أصل معناها وفي التركيب الجملي لها لذا سيؤول هذا إلى إفراز معانٍ للآيات الناسخة لا تكون مكافئة بالضد تمامًا لما عليه الآيات المنسوخة فيتعذّر عندها تكوين نصّ يحمل علائق قاصمة لعرى النصّ السابق عليه كليًا، لذلك سيكون النصّ الجديد (الناسخ) في أغلب الأحيان مؤثرًا في تحديد دلالة النصّ السابق (المنسوخ) بشكل جزئي، وهو ممّا يدعو إلى بقاء النصّ المنسوخ في القرآن للإفادة من باقي الدلالة الموجودة فيه غير المزُالة.

فضلًا عن ذلك فإنّ الآيات الناسخة والمنسوخة يجب ألا تحدّد دلالتها بدلالة سبب نزولها فقط وإهمال دلالة عموم اللفظ فيها، فانّ دلالة سبب النزول دلالة جزئية، فإذا تكافأت دلالتا سببَي نزولهما، فستكون دلالة الناسخ مزيلة لدلالة المنسوخ المحدَّدة بسبب النزول فقط من دون إزالة دلالة عموم اللفظ، وهذا ممّا يُوجب وجود النصّ المنسوخ لوجود بعض الدلالة التي يتضمنها عموم اللفظ.

لذلك لا يمكن رفع النصّ المنسوخ من القرآن، فرفعه يُعدّ تحريفًا، لإزالة بعض الدلالة التي يحملها مجمل النصّ المبارك من نحو نسخ التلاوة والحكم معًا، وقد ذهب الشيخ المفيد ﵀ في تعريف النسخ بما يقرب من هذا الفهم بقوله: (والنسخ عندي في القرآن إنما هو نسخ متضمّنه من الأحكام وليس هو رفع أعيان المُنزل منه)[١٠]، لما في المُنزل من دلالات إضافية لا يمكن الاستغناء عنها، أو تحييدها بحجة نسخ بعض من معاني النصّ الذي يتضمنها.

إذًا ستكون حدود التغيير المفروضة بالقرآن الكريم من خلال النسخ لا تتعدّى نسخ الأحكام دون التلاوة بحدود ضيقة جدًا ـ كما رأينا ذلك ـ لأنّ التوسّع في النسخ سوف يُدخل التشريع في عبثية، وقد يكون ذلك مهمزًا يتّكئ عليه خصوم القرآن والإسلام للقول بأنّ النبي محمدًا ﷺ هو الذي يؤلّف القرآن، وأنّه بشري المنشأ، وترى هذا السلوك قد اتبعه كثير من المستشرقين غير المنصفين تجاه القرآن وحاولوا من خلاله الطعن به والقول ببشريته، وهو السلوك نفسه لدى اليهود الذين عاصروا

الدعوة الإسلامية وكذلك المشركين، فعندما تحوّلت القبلة إلى الكعبة، نبز اليهودُ النبيَّ محمدًا ﷺ بأنه يخالف دينهم ويتّبع قبلتهم، أو أنهم كانوا يدّعون بأنّهم الذين دلوّا النبي محمد ﷺ وأصحابه على القبلة، وقد كانوا جاهلين بها[11]، فأعمل لذلك نصًّا بتحويل القبلة الأولى وناسخًا لها ومُدلًا إلى الكعبة المشرفة، وهم في كل ذلك يُشيرون إلى أنّ القرآن من تأليفه، وهو ظاهر قولهم.

إنّ عملية التخفيف في الأحكام لم تكن – كما علمنا – من باب النسخ، وإنّما هي حالة تتوافق مع تغيّر الواقع الاجتماعي، فالأحكام القرآنية نزلت لتوافق الواقع المتغيّر، وإنّ عملية الثبات أو الجمود فيها ممّا يعرقل مسيرة الحياة، فإذا انتهى الحكم الشرعي عند حدود الزمن المقرر له كان لابُدّ من الإتيان بحكم آخر بدلاً عنه ليساير الواقع الجديد للمجتمع.

إذًا، فالنصّ القرآني نصّ مرتبط بآليات الواقع المرتبط دومًا بالتغيير لذلك كان النسخ في النصّوص القرآنية الخاصة بالأحكام يُمثّل الدينامية والحركية التي تتمتع بها الأحكام القرآنية وتصورها في المستقبل القريب أو البعيد.

ثمّ إنّ هذا الفهم الخاطئ للنسخ قد أوحى بوجود التناقض في النصّوص القرآنية في حين أنّ التدرّج في الأحكام مبعثه التعارض بينها وليس التناقض، والتعارض بين الآيات لا يوجب النسخ ما لم يصل إلى درجة التناقض إذ يمكن رفعه – أي التعارض – بجمع الدليلين أو النصّين ومحاولة ترجيح أحدهما على الآخر[12] وفق الطرق المتّبعة في ذلك، لذا لا يُعَدُّ التعارض دليلًا كافيًا لوقوع النسخ ما لم يصل إلى درجة التناقض.

١ـ التعارض بين الآيات القرآنية لا يوُجب النسخ ما لم يصل الى درجة التناقض، إذ يمكن رفعه بالجمع بين النصّين ومحاولة ترجيح أحد النصّين أو الدليلين على الآخر كالتعارض بين الخاص والعام فيُرفع بترجيح الخاص على العام عن طريق تخصيص العام، وكذلك معرفة المتأخر من المتعارضين على المتقدم فيُعدّ المتأخر ناسخًا للمتقدم، لذلك لا يُعد التعارض وحده كافيًا للقول بالنسخ.

٢ـ مسند زيد بن علي/ص٣٨٥.

٣ـ رسالة المحكم والمتشابه / الشريف المرتضى: ٦٠.

٤ـ ظ : البيان في تفسير القرآن / الإمام الخوئي: ٣٧٩.

٥ـ مفهوم النصّ/د . نصر حامد أبو زيد: ١٢٣.

٦ـ ظ: البيان في تفسير القرآن /الإمام الخوئي: ٣٠١ .

٧ـ ظ: أوائل المقالات /المفيد: ١٤٤.

٨ ـ ظ: الرسالة / الشافعي: ١١٨.

٩ـ من نحو هبة الله بن سلامة والنحاس وابن حزم الاندلسي والقاضي ابن العربي.

١٠ـ أوائل المقالات /الشيخ المفيد: ١٣٤.

١١ـ ظ: مجمع البيان /الطبرسي: م ١ / ٢٢٧.

١٢ـ ظ: البيان في تفسير القرآن /الإمام الخوئي: ٣٠٥ ، ٣٧٩، التبيان لرفع غموض النسخ في القرآن /د . ابراهيم الزلمي: ٣٨ – ٤٠.

فضل شهر رمضان

*** روي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام: أنه قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس في آخر جمعة من شعبان، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال :**

أيها الناس قد أظلكم شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، وهو شهر رمضان، فرض الله عز وجل صيامه، وجعل قيام ليله نافلة فمن تطوع بصلاة ليلة فيه كان كمن تطوع بسبعين ليلة فيما سواه من الشهور، وجعل لمن تطوع فيه بخصلة من خصال الخير والبر كأجر من أدى فريضة من فرائض الله تعالى، ومن أدى فيه فريضة من فرائض الله تعالى كان كمن أدى سبعين فريضة من فرائض الله تعالى فيما سواه من الشهور، وهو شهر الصبر، وإن الصبر ثوابه الجنة، وهو شهر المواساة، وهو شهر يزيد الله في رزق المؤمن فيه...

(المقنعة/ الشيخ المفيد/ ص٣٠٦)

...

*** لما حضر شهر رمضان وذلك في ثلاث بقين من شعبان، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبلال: ناد في الناس، فجمع الناس، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:**

أيها الناس إن هذا الشهر قد خصكم الله به، وحضركم فيه وهو سيد الشهور، وليلة فيه خير من ألف شهر، يغلق فيه أبواب النار، ويفتح فيه أبواب الجنان، فمن أدركه ولم يغفر له فأبعده الله تعالى ومن أدرك والديه ولم يغفر له فأبعده الله تعالى، ومن ذكرت عنده ولم يصل عليَّ فلم يغفر الله له فأبعده الله).

(من لا يحضره الفقيه/ الشيخ الصدوق/ ٢ / ٩٦)

...

***كان الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام يوصي ولده إذا دخل شهر رمضان:**

فأجهدوا أنفسكم فإن فيه تقسم الأرزاق، وتكتب الآجال، وفيه يكتب وفد الله الذين يفدون إليه، وفيه ليلة العمل فيها خير من ألف شهر.

(من لا يحضره الفقيه/ ج٢/ ص٩٩)

علم الوقف والابتداء في القرآن الكريم

تعريفه ودلالته

م. م. مقدام محمد جاسم
المديرية العامة لتربية محافظة ميسان

ينابيع (الوقف والابتداء)، علم من علوم القراءات القرآنية والتجويد، وفيما يلي سنبين تعريفه، وأهميته الدلالية من خلال إيراد بعض الأمثلة عليه، وذكْر توجيه المفسرين له.

تعريفه:

ليس المقصود بالوقف هنا الوقف الذي يستعمله القارئ للاستراحة، أو لانقطاع النفس، ولا الوقف الذي يبحثه علماء النحو والمجوّدون تحت مسمّى (الروم أو الإشمام)، وإنّما نبحث في الوقف والابتداء

المُصطلَح عليه عند علماء التجويد والقراءات، والذي يرتبط بدلالة الآية التي تتضمنه، إذ يكون للوقف والابتداء دلالة وارتباط بالمعنى العام للآية، يلقي بظلاله على دلالة النص القرآني.

وقد عُرِّف هذا العلم بتعريفات كثيرة منها: هو قطع النطق أو الصوت أو السكوت على آخر الكلمة[1]، ونلحظ في هذا التعريف أنّه يُرادفُ بينَ الوقف وبين القطع والسكت، والصحيح إنّها مختلفة دلالياً، إذ (السكْت): قطع الصوت من دون تنفس، أمّا إذا قُطِعَ الصوت من دون أن تكون هناك نيّة للاستئناف يسمّى (القطْع)، وبذلك يختلف الوقف عن السكت بجواز التنفس معه، وعن القطع في أنّ القراءة معه منويّة[2]، وقد رأى بعضهم دلالة هذه المصطلحات كلّها على الوقف[3].

إذن يمكن تعريف الوقف بأنّه: قطع الصوت على الكلمة زمناً يُتنفَّس فيه عادةً بنية استئناف القراءة إمّا بما يلي الحرف الموقوف عليه، أو بما قبله.

ويبدو من التعريف المتقدّم أنّ الوقف والابتداء مرادف للفصل والوصل المبحوث عنه في علم البلاغة، حتى عدّ بعضهم الفصل والوصل علماً مُعاراً من القراءات[4]، ويقصد من موضوع الوقف والابتداء تحديداً، وهذا الكلام غير تامّ؛ لأنَّ الوقف والابتداء خاص بالقرآن الكريم، والفصل والوصل يكون في القرآن وفي غيره من الكلام، والوقف والابتداء لا مجال لتقدير الواو العاطفة فيه بخلاف الفصل الذي يكون بترك الواو العاطفة بين الجملتين.

ويشترط في الكلمة الموقوف عليها أن يكون بعدها كلام متّصل بها، تامّ المعنى، والابتداء مما يلي الكلام المسكوت عنده، لذا يشترط في الوقف والابتداء أن تكون هناك جملتان ترتبط إحداهما بالأخرى دلالياً.

وعند الوقف يسكّن الحرف الأخير المنطوق من الكلمة، أمّا عند الابتداء فيُنطق بالحرف محرّكاً (لأنّ الوقف أوّل السكوت الذي ينقطع فيه عمل اللسان ويسكُن، كما كان الذي يُبتدأ به لا يكون إلّا متحرّكاً، لأنّ الابتداء أوّل الكلام الذي هو بحركة اللسان وتصرّفه، فأجروا أوّل الطرفين مجرى سائرهما)[5].

دلالته:

لباب (الوقف والابتداء) أهمية بالغة، فيجب أن يكون قارئ القرآن الكريم مُلمّاً بأصوله وقواعده؛ عارفاً لأنواعه؛ تجنباً للوقوع في ما يغيّر دلالة الآية الكريمة.

وقد أولى المفسرون هذا العلمَ عناية خاصّة، فذكروه في مصنفاتهم، واحتجّوا له، وبيّنوا دلالته، وربّما أفرد له بعض العلماء كتاباً في التصنيف.

ومن أهمية علم الوقف والابتداء ما ذُكِرَ منْ توظيفه في المسائل العقدية، كما ذكر الأشموني نقلاً عن بعضهم: إنَّ معرفة هذا العلم تظهر مذهب أهل السنة من مذهب المعتزلة، ومراده ما جاء في قوله تعالى: (**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ**)(القصص:٦٨)، إذ تنوعت أقوال المفسرين والفقهاء في الوقف في الآية، فمذهب أهل السنة الوقف على قوله (ويختار)، و (ما) عندهم نافية، وترك الوقف مذهب المعتزلة على أن (ما) عندهم بمعنى الذي[6].

ومن أمثلة الوقف والابتداء، وأثره في العقيدة أيضاً قوله تعالى: (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ**)(آل عمران:٧)،

إذ وَقَفَ بعضهم على قوله (**والراسخون**) وجعل الواو عاطفة، ووَقَفَ بعضهم على لفظ الجلالة (**الله**) وجعل الواو استئنافية، وقد رجّح مفسرونا، الرأيَ الأوّلَ وعدّوه أوجه، منهم الطبرسي في تفسيريه (مجمع البيان) و(جوامع الجامع)، وهو اختيار الزمخشري والنسفي والآلوسي من العامة[٧] ، واختار الوقف على اسم الجلالة والاستئناف ممّا بعده : الرازي وأبو حيان الأندلسي والبيضاوي وابن عادل[٨].

ولعلم الوقف والابتداء أثر في النحو والإعراب، مثاله ما جاء في قوله تعالى: (**ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**) (البقرة:٢)، إذ وَقَفَ بعضهم على قوله (**فيه**)، وأضمرَ لـ (**هدًى**) خبراً محذوفاً، والتقدير: لا ريب فيه، فيه هدى، وهذه قراءة المشهور، ووَقَفَ بعضهم على (**لا ريب**)، وابتدأ من (**فيه**) وجعلها خبراً مقدّماً و(**هدًى**) مبتدأ مؤخّر، وهي قراءة نافع وعاصم[٩].

وقد دلّ القائمون على طباعة المصحف الشريف على هذه الاحتمالات بوضع علامة اصطلحوا على تسميتها بـ(تعانق الوقف)، أو وقْف التجاذب، وهي تفيد جواز الوقف على أحد الموضعين وليس كليهما، وهذا هو المشهور في المصحف المطبوع على رواية حفص عن عاصم في مصر والمشرق العربي[١٠].

وقد عدّ بعضهم الوقف على (لا ريب) والابتداء بما بعده تمحّل وتكلّف وتحريف للكلم عن مواضعه، واحتجّ بقوله تعالى: (**تَنزِيلُ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ**)(السجدة :٢)[١١].

ومن المواضع التي أشار إليها المفسرون مما يختلف فيه الوقف والابتداء، والذي يؤدي إلى الاختلاف في الإعراب قوله تعالى: (**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ**)(البقرة:٢٨٥)، إذ قوله (والمؤمنون) هو الذي يحكم على الوقف في الآية، فإذا كان عطفاً على (الرسول) كان الوقف عليه والابتداء من (كُلٌّ) ويكون الضمير المحذوف، والذي يدلّ التنوين عليه، يرجع إلى الرسول والمؤمنين، إمّا إذا جُعلت (والمؤمنون) مبتدأ فيوقف حينئذٍ على (من ربّه) وهو وقف (الإمام) نافع[١٢].

ومن أمثلة العلاقة بين الوقف والابتداء وعلم النحو أيضاً ما جاء في قوله تعالى: (**قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ*مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ**)(المؤمنون: ٦٦-٦٧)، فقد جوّز الطبرسي في (جوامع الجامع) الوقف على (به) إذا كان الضمير يرجع لـ(آياتي)؛ على أنّها بمعنى كتابي، ويجوز أن يتعلّق (به) بـ(سامراً) أو بـ(تهجرون)، وعلى هذين الوجهين يكون الوقف على (مستكبرين)[١٣].

وقد يؤدي الوقف والابتداء إلى تغيّر الأسلوب في الآية، كما في قوله تعالى: (**وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الآثِمِينَ**) (المائدة:١٠٦)، إذ أورد الطبرسي قراءةً عن الإمام علي عليه السلام، والزمخشري عن الشعبي، أنّهما يقرآن بالوقف على (شهادة) وابتداء (آللّه) بالمدّ على طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه[١٤]، ثمّ احتجّا، أي الطبرسي والزمخشري، على ما ذكراه بقول سيبويه: إنّ منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوّض منه همزة الاستفهام فيقول: اللّه لقد كان كذا[١٥].

وقد ذكر ابن جني هذه القراءة ووجّهها مستحسناً، إذ قال: (وأمّا سكون هاء (شهادة)

فللوقف عليها، ثم استؤنف القسم، وهو وجه حسن، وذلك ليُستأنف القسم في أوّل الكلام، فيكون أوقر له، وأشدّ هيبة من أن يـدرج في عُـرض القول)[١٦].

وقد يقود علم الوقف والابتداء إلى دلالات بلاغية، من ذلك ما جاء في قوله تعالى: (وَآتُواْ النِّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا)(النساء:٤)، قال الزمخشري: (وقد يوقف على (فكلوه) ويُبتَدَأ (هنيئاً مريئاً) على الدعاء ، ... وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الإباحة وإزالة التبعة)[١٧]، والمعنى: إنّ الابتداء من (هنيئاً مريئاً) يعطي الآية دلالة الدعاء التي قد تفارقها إذا ما قُرئت الآية بلا وقف.

ومن الدلالات البلاغية التي يوحي بها الوقف والابتداء أيضاً: الأمر، ومثاله قوله تعالى: (**قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا**)(الأنعام:١٥١)، نقل هذا الوقف العلامة الطبرسي في (مجمع البيان) عن جامع العلوم البصير الأصفهاني، وتوجيهه: إذا وقفنا على (ربّكم) تكون (عليكم) بمعنى: عليكم ترك الإشراك، على أن تكون (أن) الناصبة للفعل، وعندها يكون في الآية أمراً منه سبحانه وتعالى باعتناء المرء بنفسه وعدم انشغاله بغيره[١٨]، ويبدو أنّ الذي دعا أصحاب هذا الوقف إلى تجويزه هو أنّ اسم فعل الأمر (عليكم) مما ينبغي أن يكون له الصدارة في الكلام.

وقد يقود الوقف القرآني إلى الاختلاف في القراءات، مثاله قوله تعالى: (**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**) (البقرة:١٢٥)، إذ وردت فيها قراءتان: (واتخَذوا)[١٩] بلفظ الماضي عطفاً على (**جعلنا**)، أي: واتخذ الناس مقام إبراهيم موضع صلاة، والأخرى هي القراءة المصحفيّة (**واتخِذُوا**) بصيغة الأمر، فمن قرأ بصيغة الأمر وَقَفَ على (**وأمنا**) ومن قرأ بصيغة الخبر لم يقف؛ لأنّ قوله (**واتَّخَذُوا**) عطف على (**جعلنا**)[٢٠]، ومن هنا نلاحظ كيف وظّف القرّاءُ الوقفَ والابتداءَ في قراءتهم.

١- ينظر: الوقف الصرفي/محمد خليل الزّرّوق/ ص٤٢ وما بعدها، وينظر: الوقف والابتداء في ضوء علم اللسانيات الحديث/الدكتور أحمد عارف حجازي: ص١٧.

٢- ينظر: الوقف ووظائفه عند النحويين والقراء/ محمد خليل نصر الله فرّاج: ص١٣، الوقف القرآني وأثره في الترجيح عند الحنفية/الدكتور عزت شحاتة كرار: ص١٧.

٣ - ينظر: منار الهدى في بيان الوقف والابتداء/ أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني: ص٢٤، الوقف بين النحويين والقرّاء/ الدكتور عبد المعطي جاب الله سالم: ص٨.

٤- ينظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم، لمنير سلطان: ص١٥.

٥- الإقناع في القراءات السبع/أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد الأنصاري: ٣١٤.

٦- منار الهدى في بيان الوقف والابتداء: ص١٢.

٧- ينظر: مجمع البيان لعلوم القرآن، للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي: ١٩٦/٢، جوامع الجامع/الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي: ١/ ٢٦٥، والكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجار الله محمود بن عمر الزمخشري: ١١٣/١، وتفسير النسفي، (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي: ١/ ٢٣٧، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين محمود شكري الآلوسي: مج٢ / ج٣ / ص١١١.

٨ - تفسير الرازي: مج٣ / ج٧ / ص١٤٥، والبحر المحيط: ٢ / ٣٨٤، وتفسير البيضاوي: ١ / ٢٣٩، واللباب في علوم الكتاب: ٣ / ٤٣٩.

٩ - ينظر: مجمع البيان: ١/ ٤٧، وجوامع الجامع: ١ / ٦٣، وتفسير الكشاف: ٣٦، وتفسير الرازي: ٢/ ٢١-٢٢، وتفسير النسفي: ١/ ٣٩، واللباب: ١/ ٢٩٦.

١٠-ينظر: الوقف ووظائفه بين النحويين والقرّاء: ٩٢.

١١- ينظر: الوقف بين النحويين والقرّاء: ٢١، ٣٠، والوقف والابتداء في ضوء علم اللسانيات الحديث: ١٢٦.

١٢- جوامع الجامع: ١ / ٢٥٩ – ٢٦٠.

١٣- ينظر: المصدر نفسه: ٢ / ٥٩٠.

١٤- قرأ بالوقف والمدّ الشعبي فقط كما نقل ابن جني في المحتسب: ١ / ٢٢١، وينظر معجم القراءات القرآنية: ٢/ ٢٤٢، وقرأ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والسلمي، والحسن البصري، والشعبي، ونعيم بن ميسرة بالنصب والمدّ، ينظر: معجم القراءات القرآنية: ٢ / ٢٤٢. والذي نقله الطبرسي ذكره في مجمع البيان: ٣ / ٣٥٦، وجوامع الجامع: ١/ ٥٤١، وما ذكره الزمخشري في تفسير الكشاف: ٣١٣.

١٥ - ينظر: الكتاب: ٣ / ٤٩٩.

١٦- المحتسب: ١ / ٢٢١، وينظر: الوقف الصرفي: ٩٣.

١٧- تفسير الكشّاف: ٢١٩، ومثله ما في جوامع الجامع: ١ / ٣٧٢.

١٨- ينظر: مجمع البيان: ٤/ ١٤٤، وجوامع الجامع: ١ / ٦٢٩.

١٩ - وهي قراءة: نافع، وابن عامر، الذماري، شريح، ينظر: معجم القراءات القرآنية: ١ / ١١١.

٢٠- ينظر: جوامع الجامع: ١/ ١٤٨.

النَّهْيِ عَنْ قَوْلِ رَمَضَانَ بِلَا إضافة شَهْرٍ

* عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنِ الإمام أَبِي جَعْفَرٍ الباقر عليه السلام قَالَ:

كُنَّا عِنْدَه ثَمَانِيَةَ رِجَالٍ فَذَكَرْنَا رَمَضَانَ، فَقَالَ عليه السلام: لَا تَقُولُوا هَذَا رَمَضَانُ ولَا ذَهَبَ رَمَضَانُ ولَا جَاءَ رَمَضَانُ فَإِنَّ رَمَضَانَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الله عَزَّ وجَلَّ، لَا يَجِيءُ ولَا يَذْهَبُ وإِنَّمَا يَجِيءُ ويَذْهَبُ الزَّائِلُ، ولَكِنْ قُولُوا شَهْرُ رَمَضَانَ، فَإِنَّ الشَّهْرَ مُضَافٌ إِلَى الِاسْمِ والِاسْمُ اسْمُ الله عَزَّ ذِكْرُه، وهُوَ الشَّهْرُ الَّذِي أَنْزَلَ فِيه الْقُرْآنُ جَعَلَه مَثَلًا وعِيدًا.

(الكافي/ للكليني/ ج٤ ص٦٩)

منهج الشيخ الطوسي في تفسير التبيان

الباحثة لينا أمير عبد الحسين

ينابيع قبل بيان ميزات منهج الشيخ الطوسي في تفسير التبيان، نقف عند معنى المنهج في اللغة والاصطلاح.

والمنهج لغة: هو الطريق الواضح ونهج الأمر، والنهج: وضح[١]، والمنهاج الطريق الواضح، وفلان يستنهج نهج فلان أي يسلك مسلكه، قال تعالى: (**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**)(المائدة:٤٨) أي شرعة للدين ومنهاجًا طريقًا واضحًا[٢]، فأصل المنهج في اللغة يدور حول معنى الطريق والسبيل الواضح المستقيم[٣].

وفي الاصطلاح هو طريق البحث عن الحقيقة في أي علم من العلوم أو في أي نطاق من نطاقات المعرفة الإنسانية[٤].

والبحث عن المنهج التفسيري لكل مفسر هو تبيين طريقة كل مفسر في تفسير القرآن الكريم، والأداة والوسيلة التي يعتمد عليها لكشف السفر عن وجه

الآيات، فهل يأخذ العقل أداة للتفسير أو النقل؟ وعلى الثاني فهل يعتمد في تفسيره على نفس القرآن؟ أو على السنة؟ أو على كليهما؟ أو غيرهما؟ وبالجملة ما يتخذه مفتاحًا لرفع إبهام الآيات وهذا هو ما نسميه المنهج في تفسير القرآن، وهو يختلف عن الاتجاهات والاهتمامات التفسيرية، والمراد منه المباحث التي يهتم بها المفسر في تفسيره مهما كان منهجه وطريقته في تفسير الآيات، مثلًا تارة يتجه إلى إيضاح المادة القرآنية من حيث اللغة، وأخرى من حيث الإعراب والبناء، وثالثة يتجه نحو الجانب البلاغي، ورابعة يعتني بآيات الأحكام، وأخرى يصب اهتمامه على الجانب التاريخي والقصصي، أو يهتم بالأبحاث الأخلاقية، أو تارة يهتم بالأبحاث الاجتماعية، أو يهتم بالآيات الباحثة عن الكون وعالم الطبيعة، أو بمعارف القرآن والعقائد والمبدأ والمعاد وغيرها.

لا شك أن التفاسير مختلفة من حيث الاتجاه والاهتمام، إما لاختلاف أذواق المفسرين وكفاءاتهم ومؤهلاتهم أو لاختلاف بيئاتهم وظروفهم أو غيرها من العوامل التي تسوق المفسر إلى صب اهتمامه في جانب من الجوانب المذكورة، ولكن هذا الأمر لا يرتبط بالبحث من المنهج التفسيري، لأن البحث عن المناهج هو بحث عن الطريق والأسلوب، والبحث في الاهتمامات هو بحث عن الأغراض والأهداف التي يتوخّاها المفسر وتكون علة وسبباً دافعاً للقيام بالتأليف في مجال القرآن الكريم[٥].

أما الشيخ الطوسي صاحب تفسير التبيان فهو محمد بن الحسن الطوسي نسبة إلى مدينة طوس في خراسان التي فيها قبر الإمام الرضا عليه السلام حيث ولد فيها سنة ٣٨٥هـ وهاجر إلى العراق ونزل بغداد سنة ٤٠٨هـ، وحضر فيها الدروس، حيث درس على شيوخ كثيرين وقد ذكر عددًا منهم في كتبه ولاسيما الفهرست والرجال والأمالي، وقد ألف الشيخ الطوسي في موضوعات شتى في التفسير والحديث والفقه وأصوله والفقه المقارن والعقائد والكلام والتراجم والسير والعبادات والأدعية وغيرها، وقد تجاوزت مؤلفاته المعروفة الخمسين ما بين كتاب ورسالة، ذكر أكثرها في كتابه الفهرس، ويعد (التبيان في تفسير القرآن) من كتبه المهمة وأشهرها وأكثرها تميزًا، ألفه بنمط جديد ومنهج مبتكر لم يسبق إليه أحد، إذ هو أول تفسير للإمامية يضم في أبواب منفردة مختلف مباحث التفسير وعلوم القرآن كالقراءات وحجتها والمعاني والإعراب واللغة والنظم وأسباب النزول وغيرها، وقد أشار إلى هذا التفسير كثير من القدامى في تراجمهم للشيخ الطوسي كالسبكي في طبقات الشافعية الكبرى وابن حجر العسقلاني وجلال الدين السيوطي[٦]، لم يزل الشيخ الطوسي رحمه الله في النجف الأشرف مشغولًا بالتدريس والتأليف وبيان الأحكام الشرعية مدة (١٢) سنة حتى أدركته المنية سنة ٤٦٠هـ فهو عاش (٧٥) سنة ودفن في داره بوصية منه، ثم تحولت الدار إلى مسجد الشيخ الطوسي الذي هو اليوم من أشهر مساجد النجف الأشرف[٧].

أما مصادر التبيان فقد اعتمد الشيخ الطوسي على عدة كتب، منها كتب معاني القرآن، وكتب التفسير بالمأثور للإمامية، وكتب تفسير العامة، وأيضًا من مصادره كتب الحديث النبوي والسيرة، وكتب

القراءات واللغة والنحو[٨].

مميزات منهج الشيخ للطوسي:

١.المنهج القرآني: اعتمد المنهج القرآني. وذلك لما يشتمل عليه من عموم وخصوص وإطلاق وتقييد وإجمال وتبيين وإيجاز وإطناب، وفي ذلك يقول الإمام علي عليه السلام في معرض وصفة للقرآن: ينطبق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض[٩].

٢.المنهج الأثري: اعتمد على الأثر والمنقول كما يعتمد على المعقول، واعتماده الأثر كان يتم وفق ضوابط ومعايير خاصة، أساسها النقد والمحاكمة والترجيح، وفي خصوص التفسير يشترط الطوسي مراعاة الأدلة الصحيحة العقلية والشرعية، وبذلك رسم الخطوط العامة لهذا المنهج التفسيري الذي لم يتجاوزها أثناء التفسير، بل ظل ملازمًا لها وملتزمًا بها في تبيانه.

اشتهر بالتفسير من روايات الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، أما روايات أهل البيت عليهم السلام وروايات أخرى عن الصحابة، فإنها تؤكد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اختص الإمام عليًا عليه السلام بالتعليم وبيان كتاب الله، وأن أهل البيت عليهم السلام قد ورثوا علوم رسول الله عليهم السلام، وهم رفقاء القرآن، لا ينفكون عنه، فقد روى المسلمون بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي)[١٠].

٣. منهج الرأي: لم يعتمد على منهج الرأي، وكان الشيخ الطوسي يكثر من ذكر آراء المفسرين، فيفند بعضها ويناقش بعضها الآخر، ليرد ما يرد عن بينة، ويقبل ما يقبل عن بينة، وخالف جمهور المفسرين داعمًا رأيه بالدليل والبرهان.

٤.المنهج اللغوي: اعتمد المنهج اللغوي. يشرح المفسر آراء اللغويين والاختلافات الواردة في آرائهم، وقد يرد على بعضها، ويرجح البعض الآخر، كما ويطرح رأيًا خاصًا به مخالفًا بذلك كل الآراء المطروحة، وقد يستعين الشيخ الطوسي بذكر الآراء اللغوية لكشف المقصود من الآية ولبيان المعنى المستودع فيها.

يذكر المفسر من الإعراب وآراء النحاة ما يعينه على استيضاح معنى الآية، وفهم المراد منها، وهو في هذا المجال يناقش آراء النحاة، ويرد على بعضهم، وقد يرجح آراء البعض الآخر، كما يورد أحيانًا آراء خاصة به مما يؤكد قدرته العالية في هذا الباب. ولا يحظى الشعر عند الطوسي بأهمية خاصة في تفسيره، وإن أكثر من الاستشهاد به، كما وإنه لا يرقى لأن يكون حجة لإثبات حقيقة دينية، وإنما يذكره لتأكيد المعنى، أو تأييد الاستعمال اللغوي ضمن السياق القرآني، وقد لا يذكر أسماء الشعراء الذين يستشهد بشعرهم، ويعود ذلك إلى قلة اكتراثه بهم.

٥. المنهج البياني: لم يهتم كثيرًا بالمعاني البلاغية، ولم يسهب في الكلام حولها، وربما كان يشير إليها أحيانًا دون عناية مشهودة، ولم أجد في التبيان ما يؤكد اهتمام المفسر بها، كما هو الحال في القراءة أو اللغة والإعراب، وقد ذكرها في موارد معدودة كما في تفسيره لقوله تعالى: **(وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)** فقال: والمكر وإن كان قبيحًا، فإنما أضافه تعالى إلى نفسه لمزاوجة الكلام، كما قال: **(فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ)** وليس باعتداء، وإنما هو جزاء، وهذا أحد وجوه البلاغة[١١].

٦. **المنهج الصوفي (الباطني):** لم أجد ما يدل على أنه اعتمد على هذا المنهج في تفسيره.

٧. **المنهج العلمي:** اعتمد المنهج العلمي وأكد الشيخ الطوسي على أهمية التفكر، واعتمد أسلوب النظر في فهم النصوص القرآنية. واستعمال العقل في معرفة آيات الله وأحكامه، وقد حفل التبيان بالعديد من الإشارات التي تنم عن المنهجية العقلية التي كان يتبعها مفسرنا في تصديه لتفسير آيات الكتاب العزيز.

٨. **المنهج التاريخي:** حيث ينبه المفسر إلى المكي والمدني من الآيات في كل سورة، مع ذكر أسماء بعض المفسرين وآرائهم. عند تفسيره للآية القرآنية كان يذكرها ثم يورد ما يتعلق بها من القراءة وأسباب النزول ـ إن وجدت ـ واللغة ومن ثم المعنى.

٩. **المنهج الموضوعي:** لم أجد ما يدل على أن الشيخ الطوسي قد اعتمد على المنهج الموضوعي في تفسيره للقرآن.

١٠ـ **مناهج أخرى (احتجاجي، أدبي، كلامي):** رد الشيخ الطوسي على أهل الكتاب وناقشهم في معتقداتهم، كما ناقش أصحاب المدارس الكلامية من الإسلاميين، واعترض على الكثير من مقولاتهم، كما هو الحال في رده على المعتزلة والأشاعرة والخوارج والمجبرة والمشبهة والمجسمة والقائلين بأن المعارف ضرورية وما شاكلهم، كما ودافع بحماس منقطع النظير عن الإمامية ومعتقداتهم[١٢].

نموذج من تفسيره:

حكى الله تعالى ما أجاب به قوم إبراهيم حين قال لهم إبراهيم عليه السلام (**مَا تَعْبُدُونَ**)؟ فإنهم (**قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ**) أي مقيمين مداومين على عبادتنا.

يقال: عكف عكوفاً، فهو عاكف، واعتكف اعتكافًا. قال: ابن عباس: معناه فنظل لها مصلين. وقيل: في وجه دخول الشبهة عليهم في عبادة الأصنام أشياء:

١. أنهم اعتقدوا أنها تقربهم إلى الله زلفى، كما يتقرب بتقبيل بساط الملك إليه.

٢. أنهم اتخذوا هياكل النجوم ليحظوا بتوجه العبادة إلى هياكلها، كما يفعل بالهند.

٣. ارتباط عبادة الله بصورة يرى منها.

٤. أنهم توهموا خاصية في عبادة الصنم يحظى بها، كالخاصية في حجر المغناطيس.

والشبهة الكبرى العامة في ذلك تقليد الذين دخلت عليهم الشبهة، ولذلك (**قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**) ولم يحتجوا بشيء سوى التقليد، الذي هو قبيح في العقول، والعبادة خضوع بالقلب في أعلى مراتب الخضوع، فلا تستحق إلا بأصول النعم ومما كان في أعلى المراتب من الإنسان، فكل من عبد غير الله، فهو جاهل بموجب العبادة، كافر لنعم الله، لأن من حقه إخلاص العبادة له.

فقال لهم إبراهيم عليه السلام: (**هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ**) هذه الأصنام التي تعبدوها إذا دعوتموها! أي هل يسمعون أصواتكم، لأن أجسامهم لا تسمع (**أَوْ يَنفَعُونَكُمْ**) بشيء من المنافع (**أَوْ يَضُرُّونَ**) بشيء من المضار! وإنما قال ذلك، لأن من لا يملك النفع والضر، لا تحسن عبادته، لأنه ضرب من الشكر، ولا يستحق الشكر إلا بالنعم، فمن لا يصح منه الإنعام يقبح شكره، ومن قبح شكره قبحت عبادته. فقالوا عند ذلك: (**وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**) أحالوا على مجرد

التقليد. فقال لهم إبراهيم منكرًا عليهم التقليد: (**أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ**) من الأصنام (**أَنتُمْ**) الآن (**وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ**) المتقدمون، فالأقدم الموجود قبل غيره، ومثله الأول والأسبق. والقدم وجود الشيء لا إلى أول.

ثم قال إبراهيم (**فَإِنَّهُمْ**) عدوٌّ لي يعني الأصنام جمعها جمع العقلاء، لما وصفها بالعداوة التي تكون من العقلاء، لأن الأصنام كالعدو في الصورة بعبادتها، ويجوز أن يكون، لأنه كان منهم من لا يعبد إلا الله مع عبادة الأصنام فغلب ما يعقل ولذلك استثناه، فقال (**إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ**) لأنه استثناه من جميع المعبودين، وعلى الوجه الأول يكون الاستثناء منقطعًا وتكون (إلّا) بمعنى لكن، ثم وصف رب العالمين فقال: هو (**الَّذِي خَلَقَنِي**) وأخرجني من العدم إلى الوجود (**فَهُوَ يَهْدِينِ**) لأن هداية الخلق إلى الرشاد أمر يجل، فلا يكون إلا ممن خلق الخلق كأنه قبل من يهديك؟ ومن يسد خلتك بما يطعمك ويسقيك؟ ومن إذا مرضت يشفيك؟ فقال ـ دالًا بالمعلوم على المجهول: (**الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ**) بمعنى أنه يرزقني ما يوصلني إلى ما فيه صلاحي (**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**) بأن يفعل ما يحفظ بدني ويصح جسمي ويرزقني ما يوصلني إليه.

١ـ مفردات ألفاظ القرآن الراغب الأصفهاني ص٦٩٦.
٢ـ تفسير سيد عبد الله شبر ص١٨٧.
٣ـ مناهج المتكلمين د. ستار الأعرجي ص٢١.
٤ـ نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ١/ ٦.
٥ـ انظر: المناهج التفسيرية في علوم القرآن/الشيخ جعفر السبحاني ص٧٣ ـ ٧٤.
٦ـ انظر: منهج الشيخ الطوسي في تفسير القرآن الكريم/د. كاصد ياسر ص١٩.
٧ـ انظر: في حياة الشيخ الطوسي ونشأته/مقدمة تحقيق رجال الشيخ الطوسي للسيد محمد صادق بحر العلوم. وما كتبه د. كاصد ياسر الزيدي في كتابه (منهج الشيخ أبو جعفر الطوسي في تفسير القرآن الكريم).
٨ـ انظر: منهج الشيخ الطوسي في تفسيره ص٤٣.
٩ـ الطوسي: كتاب التبيان ج١، ص٢.
١٠ـ السيوطي: كتاب الإتقان ج٢، ص٣٢١.
١١ـ التبيان: ج٢، ص٤٧٦.
١٢ـ الشيخ الطوسي وعقائده الإمامية: ص٢٧٩.

ذخائر أدعية الإمام الصادق عليه السلام
مضامين دعائه عند حضور شهر رمضان

د. أحمد جاسم مسلم الخيّال

بداية لشهر رمضان الكريم فضائل كثيرة لا يمكن إحصاؤها، وقد أشار الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة أهل البيت عليهم السلام إلى فضائل هذا الشهر الكريم في أحاديث عدّة، وهو شهر الله سبحانه وتعالى، فرض فيه الصيام على المسلمين جميعًا، وهو يجزي به، وهو الشهر الذي أنزل فيه القرآن الكريم، فهو شهر هدىً ورحمة ومغفرة.

لذا اهتمّ أهل البيت عليهم السلام بهذا الشهر الفضيل، ووردت عنهم أدعية كثيرة لكلّ ليلة وكلّ يوم من هذا الشهر، ومنها هذا الدعاء عن الإمام الصادق عليه السلام عند حضور شهر رمضان، وهو دعاء يشتمل على جملة كثيرة من المعارف، وسنوجز تلك المضامين العالية التي يتضمنها هذا الدعاء.

عن أبي محمد هارون بن موسى التلعكبري بإسناده إلى الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: يقول عند حضور شهر رمضان[1]:

(اللّهُمَّ إنَّ هذا شَهْرُ رَمَضان المُبارَكَ

الَّذي أنْزَلتَ فيه القُرآنُ وَجَعَلْتَهُ هُدىً للنَّاس وَبَيِّنات مِنَ الهُدى وَالفُرْقان قَدْ حَضَرَ، فَسَلِّمْنا فيه وَسَلِّمْهُ لَنا وَتَسَلَّمْهُ مِنَّا في يُسْرٍ مِنْكَ وَعافيَة).

يؤكد الإمام عليه السلام في مفتتح الدعاء أن شهر رمضان أُنزل فيه القرآن لبيان أهميته، وقد جعله الله هدى للناس وفرقاناً، ثمّ طلب عليه السلام بمجاز لطيف السلامة فيه وتسلّمه واستلامه منّا بيسر وعافية، وهو طلب المتيقّن العارف بقدر هذا الشهر وكرامته على الله سبحانه وتعالى.

(وأسألُكَ اللّهُم أن تَغفرَ لي في شهري هذا، وترحمني فيه، وتعتق رقبتي من النار، وتعطيني فيه خير ما أعطيت أحدًا من خلقك، وخير ما أنت معطيه، ولا تجعله آخر شهر رمضان صمته لك منذ أسكنتني أرضك إلى يومي هذا، واجعله عليّ أتمّهُ نعمة، وأعمّهُ عافية، وأوسعه رزقًا، وأجزله وأهناه).

هذا المقطع من الدعاء يصوّر عظمة شهر رمضان ومنح الله وعطاياه فيه، لذا نرى الإمام عليه السلام يسأل الله سبحانه وتعالى المغفرة والرحمة والعتق من النار، ويسأله أفضل عطائه، وهذا يبيّن أن عطاء الله في شهر رمضان لعباده غير محدود، وهو باب الرحمة والنعمة التامة والرزق الواسع، ولعظيم منن الله في هذا الشهر الفضيل لذا يسأل الإمام عليه السلام ألّا يكون هذا الشهر آخر شهر يدركه، وما ذلك إلّا رغبة بنيل فضائل وعطايا هذا الشهر الكريم.

(اللهمّ إني أعوذ بك وبوجهك الكريم وملكك العظيم أن تغرب الشمس من يومي هذا، أو ينقضي بقية هذا اليوم، أو يطلع الفجر من ليلتي هذه، أو يخرج هذا الشهر ولك قبلي معه تبعة أو ذنب أو خطيئة، تريد أن تُقايسني بذلك أو تؤاخذني به، أو تَقفَني به موقف خزي في الدنيا والآخرة، أو تعذّبني به يوم ألقاك يا أرحم الراحمين. ...).

يتجلّى أدب الدعاء وكمال الخضوع لله عزّ وجلّ في قوله عليه السلام، فيسأل الله ويعوذ به أن تبقى عليه تبعة ذنب أو خطيئة دون أن تغفر بعد انقضاء شهر رمضان، وهو شهر غفران الذنوب والعتق منها، لذا يقصر الإمام الصادق عليه السلام الفرج من الهمّ عليه سبحانه وتعالى، وأيضًا يقصر نيل الرحمة وكشف الكَرب وبلوغ الرغبة وقضاء الحاجة عليه سبحانه وتعالى، فهو بيده كلّ شيء، فلا ينال العبد شيئًا إلّا بعد إذنه عزّ وجلّ، ويوضح أدب الدعاء جليًّا في قوله عليه السلام: (ورحمتني به من ذكرك)، فذكْرُ الله رحمةٌ منّ بها علينا، فسأله الإمام بهذه الرحمة من أجل إجابة الدعاء والنجاة.

(اللهمّ صل على محمد وآل محمد، وافتح لي من خزائن رحمتك رحمةً لا تعذّبني بعدها أبدًا في الدنيا والآخرة، وارزقني من فضلك الواسع رزقًا حلالًا طيبًا، لا تفقرني بعده إلى أحد سواك أبدًا، تزيدني بذلك لك شكرًا وإليك فاقة وفقرًا، وبك عمن سواك غنى وتعفُّفًا).

افتتح الإمام الصادق عليه السلام هذا المقطع بالصلاة على محمد وآل محمد، وهذه الصلاة هي مفتاح إجابة الدعاء، ثمّ طلب على سبيل الدعاء ـ بأسلوب التفصيل بعد الإجمال ـ أن تُفتح له خزائن الرحمة التي تقي العذاب في الدنيا والآخرة، وطلب رزقًا حلالًا طيبًا واسعًا، من شأنه أن يبعد الفقر عنه ويغنيه عن مدّ اليد لغيره سبحانه وتعالى، ومن أروع العرفان وأكمله طلب الإمام عليه السلام أن يزيد فقره وفاقته إلى الله

سبحانه وتعالى، وأن يبقى محتاجًا إليه دون سواه من الخلق، ولَعمري إنها أشرف العبودية والمعرفة.

(اللهمّ إني أعوذ بك أن تكون جزاء إحسانك الإساءة مني، اللهم إني أعوذ بك أن أُصلِح عملي فيما بيني وبين الناس، وأُفسدَه فيما بيني وبينك. اللهمّ إني أعوذ بك أن تُحَوّلَ سريرتي بيني وبينك، أو تكون مخالِفَةً لطاعتك، اللهم إني أعوذ بك أن يكونَ شيء من الأشياء آثرَ عندي من طاعتك، اللهم إني أعوذ بك أن أعمل من طاعتك قليلًا أو كثيرًا، أريد به أحدًا غيرَك، أو أعملَ عملًا يخالطه رياء.

اللهمَّ إني أعوذ بك من هوىً يُردي من يَركبُه، اللهم إني أعوذ بك أن أجعل شيئًا من شكري فيما أنعمت به عليّ لغيرك، أطلب به رضا خلقك، اللهم إني أعوذ بك أن أتعدّى حدًّا من حدودك، أتزيَّنُ بذلك للناس وأركن به إلى الدنيا. اللهمّ إني أعوذ بعفوك من عقوبتك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بطاعتك من معصيتك، وأعوذ بك منك، جلّ ثناءُ وجهك، لا أحصي الثناء عليك ولو حرَصتُ، وأنت كما أثنيت على نفسك، سبحانك وبحمدك).

في هذه المقاطع من الدعاء يؤكد الإمام عليه السلام على أمور تربوية عدّة، وعلى صفات سلوكيّة على المؤمن أن يرعاها، ويستعيذ بالله منها، هي:

- على العبد ألاّ يقابل إحسان الله بالإساءة.
- ألاّ يصلح العبد أمره بين الناس ويفسده بينه وبين الله.
- أن تتطابق سريرة العبد مع علانيته وأن تكون موافقة لطاعة الله لا مخالفة لها.
- أن تكون طاعة الله عند العبد هي آثر الأشياء عنده ولا يفضّل عليها طاعة أخرى.
- أن لا تكون أعمال العبد مخالطة للرياء، وأن يكون قليلها وكثيرها لوجه الله ومرضاته.
- الاستعاذة من ركوب هوى النفس، ففيه هلاك للعبد.
- أن يكون الشكر لله خالصا على نعمه، ولا يطلب به رضا غيره.
- على العبد أن يلتزم بحدود الله، ولا يتعدّاها لزينة الدنيا أو الركون لها.
- طلب العفو والرضا والطاعة والثناء من الله سبحانه وتعالى، والتعوّذ مما ينافيها، وتسبيح الله وحمده في كلّ وقت.

فتزكية النفس تكون بالإخلاص والطاعة لله وحده دون غيره من مخلوقاته، وهذا ما أكّد عليه الإمام الصادق عليه السلام.

(اللهمّ إني أستغفرك وأتوب إليك من مظالم كثيرة لعبادك عندي، فأيُّما عبد من عبادك، أو أمة من إمائك، كانت لهُ قِبَلي مظلمة ظلمته إيّاها، في ماله أو بدنه أو عِرضه لا أستطيع أداء ذلك إليه، ولا أتحلّلُها منه، فصل على محمد وآل محمد وأَرضه أنت عني بما شئت، وكيف شئت، وهَبهَا لي. ..). طلب الاستغفار والتوبة من الله سبحانه وتعالى، وما أكثر المظالم التي تقع من قِبل الإنسان تجاه أخيه الإنسان، لذا طلبَ الإمام عليه السلام من الله أن يهب له هذه المظالم بعد الصلاة على محمد وآل محمد التي هي مفتاح استجابة الدعاء، وتوكيل الله سبحانه وتعالى بإرضاء أصحاب المظالم بما يشاء وكيف يشاء، ولا أعتقد إن هناك أمثل وأكمل من هذا الطلب، فإن مظالم العباد لا يمكن فكاك الرقبة منها أبدًا، لكن الله قادر على ذلك برحمته وسعة علمه، فرحمة الله وسعت كلّ شيء، وهو

الغني الواسع، ولو أنه تكرّم على الناس جميعًا بالرحمة فلا ينقص منها ذلك شيئا، فهي رحمة واسعة تامّة غير قابلة للنقصان، والاستفهام بـ (وما تصنع يا سيدي...) يفيد التوسّل الشديد به سبحانه وتعالى.

(اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه، ومما ضيَّعت من فرائضك وأداء حقك، من الصلاة والزكاة، والصيام والجهاد والحج والعُمرة، وإسباغ الوضوء والغسُل من الجنابة، وقيام الليل وكثرة الذكر، وكفّارة اليمين، والإسترجاع في المصيبة، والصدود من كل شيء قصرت فيه، من فريضة أو سنة.

.... فإني أتوب إليك منه ومن سفك الدم وعقوق الوالدين وقطيعةالرحم، والفرار من الزحف وقذف المحصنات وأكل أموال اليتامى ظلماً، وشهادة الزور، وكتمان الشهادة، وأن أشتري بعهدك في نفسي ثمنًا قليلًا.

وأكل الربا والغُلول والسحت والسحر، والكتمان والطيَرة، والشرك والرياء والسرقة، وشرب الخمر، ونقص المكيال وبخس الميزان والشقاق النفاق، ونقض العهد والفرية والخيانة، والغدر وإخفار الذمة والحلف، والغيبة والنميمة والبهتان، والهمز واللمز والتنابز بالالقاب.

وأذى الجار ودخول بيت بغير إذن، والفخر والكبر والإشراك والإصرار والإستكبار، والمشي في الأرض مَرَحاً، والجور في الحكم، والإعتداء في الغضب وركوب الحمية، وتعضد الظالم، وعون على الإثم والعدوان، وقلة العدد في الأهل والمال والولد، وركوب الظن واتباع الهوى، والعمل بالشهوة.

والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وفساد في الأرض، وجحود الحق والإدلاء إلى الحكام بغير الحق، والمكر والخديعة والبخل وقول فيما لا أعلم، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهل لغير الله به، والحسد والبغي والدعاء الى الفاحشة...

....وما رآه بصري وسمعه سمعي، ونطق به لساني، وبسطْتُ إليه يدي، ونقلت قدمي وباشره جلدي، وحدثتُ به نفسي مما هو لك معصية، وكلّ يمين زور.

ومن كل فاحشة وذنب وخطيئة عملتها في سواد الليل وبياض النهار، في ملأ أو خلاء، مما علمتُه أو لم اعلمه، ذكرته أو لم اذكره، سمعته أو لم أسمعه، عصيتك فيه ربي طرفة عين، وفيما سواها من حلّ أو حرام تعديت فيه أو قصرت عنه، منذ يوم خلقتني إلى أن جلست مجلسي هذا، فإني أتوب إليك منه، وأنت يا كريم تواب رحيم).

هذا المقطع كان تفصيلًا لما تقدّم من أجمال في المقطع السابق، بعد طلب التوبة والاستغفار من الذنوب على سبيل العموم، عدَّد الإمام عليه السلام الذنوب وسمّاها واستغفر الله منها، وكانت على ثلاثة أقسام:

الأول: ذنوب التقصير في العبادات، كتضييع العبادات والتقصير في الصلاة والزكاة والأمور العبادية الأخرى التي تتوقّف أداء الفرائض عليها.

الثاني: ذنوب ظلم النفس، من ارتكاب المعاصي وركوب الكبائر وغيرها، سواء أكان الوقوع فيها عمدًا أم خطأً، سرًّا أو علانية.

الثالث: الذنوب المتعلّقة بالآخر، من سفك الدم وقذف المحصنات وغيرها من الذنوب التي ذكرها بالتفصيل عليه السلام.

ومع ذلك ختم الإمام عليه السلام هذا المقطع بطلب المغفرة والتوبة من كلّ ذنب، ذكره أم لم يذكره، من يوم ولادته إلى يومه هذا، ثمّ خاطب الله بالكريم والتواب والرحيم، وهذه الأسماء الحسنى تتعلّق بما طلبه عليه السلام، ولا يهب هذه الذنوب إلاّ هو سبحانه وتعالى، ومن كانت هذه صفاته.

(اللهمَّ يا ذا المن والفضل والمحامد التي لا تُحصى، صلِّ على محمد وآل محمد واقبل توبتي، لا تردها لكثرة ذنوبي وما أسرفت على نفسي، حتى لا أرجع في ذنب تبت إليك منه، فاجعلها يا عزيز توبة نصوحا صادقة مبرورة لديك مقبولة مرفوعة عندك، في خزائنك التي ذخرتها لأوليائك حين قبلتها منهم ورضيت بها عنهم.

اللهمّ إنَّ هذه النفسَ نفسُ عبدك، وأسألك أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تحصّنها من الذنوب وتمنعها من الخطايا وتحرزها من السيئات، وتجعلها في حصن حصين منيع لا يصل إليها ذنب ولا خطيئة، ولا يفسدها عيب ولا معصية، حتى ألقاك يوم القيامة وأنت عني راض وأنا مسرور، تغبطني ملائكتك وأنبياؤك وجميع خلقك، وقد قبلتني وجعلتني طائعًا طاهرًا زاكيًا عندك من الصادقين.

اللهمّ إني أعترف لك بذنوبي فصل على محمد وآل محمد، واجعلها ذنوبًا لا تُظهرها لأحد من خلقك ياغفار الذنوب يا أرحم الراحمين. سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءً وظلمت نفسي، فصل على محمد وآل محمد واغفر لي، إنك أنت الغفور الرحيم.

....وأن ترزقني برحمتك ما أقيم به حدود دينك، وحتى أعمل في ذلك بسنن نبيِّك صلواتك عليه وآله، وافعلْ ذلك بجميع المؤمنين والمؤمنات في مشارق الأرض ومغاربها. اللهمّ إنك تشكر اليسير وتغفر الكثير، وأنت الغفور الرحيم).

بعد تفصيل ذكر الذنوب المتقدّم، وطلب المغفرة والتوبة، خاطب الإمام عليه السلام الله سبحانه وتعالى ونسب له المنّ والفضل والمحامد كلّها، ثمّ كرّر طلب الصلاة على محمد وآل محمد، من أجل قبول التوبة الصادقة التي لا رجعة بعدها إلى الضلال والذنوب والمعاصي، وهي لا تكون إلاّ بتوفيق الله، لأنه هو من يقبلها ويرفعها عنده، وتكرار الصلاة على محمد وآل محمد، يؤكّد أهمية وعظم هذه الصلاة، وأن الله يقبل بها الدعاء ويغفر الذنوب، ثمّ يلحّ الإمام عليه السلام بالدعاء ويطمع برحمة ربّه، فبعد قبول التوبة وغفران الذنوب يطلب عليه السلام أن لا تظهر هذه الذنوب لأحدٍ من الخلق، وأن يسترها ويحجبها وهو الغفور الرحيم.

ويتجلّى أدب الدعاء في إرجاع قبول التوبة إلى الله سبحانه وتعالى، فهي من عطائه ومنّه وفضله وقضائه، وهي رزق يرزق الله بها من يشاء، فطلب الإمام عليه السلام بعد قبول التوبة العصمة من الذنوب فيما بقي، والمعونة والجدّ والاجتهاد وحسن الطاعة ليصل إلى رضا الله، ثمّ طلب رزق إقامة حدود الله والعمل بسنّة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ دعا بمثل ذلك للمؤمنين والمؤمنات.

(اللهمّ اقسِمْ لي كلَّ ما تطفئ به عني نائرة كل جاهل، وتُخمِد عني شعلة كل قائل، وأعطني هدى من كل ضلالة، وغنى من كل فقر، وقوة من كل ضعف، وعزًا من كل ذلّ، ورفعة من كل ضعة، وأمنًا من كل خوف، وعافية من كل بلاء. اللهمّ ارزقني

عملًا يفتح لي باب كل يقين، ويقينًا يسد عني باب كل شبهة، ودعاء تبسط لي به الإجابة، وخوفًا تيسّر لي به كل رحمة، وعصمة تحول بيني وبين الذنوب، برحمتك يا أرحم الراحمين).

وختم الإمام عليه السلام دعاءه بطلب مجامع الخير كلّها بأبلغ أسلوبٍ وأفصحه، فطلب إطفاء عداوة الجاهلين وإخماد نار المتقوّلين، والهدى والغنى والقوّة والعزّ والرفعة والأمن والعافية، والخروج من أضداد هذه المعاني، من الضلالة والفقر والضعف والذلّ والضِعة والخوف والبلاء، ولعمري أن فيما طلب سعادة الدنيا والآخرة، ثم طلب عليه السلام عملاً يفتح له أبواب اليقين، ويقيناً يغلق أبواب الشبهة، ودعاءً مستجابًا وخوفًا منه سبحانه وتعالى متبوعًا برحمة، وعصمةً تعصمه من الذنوب والزلل، وهذا كلّه يعود إلى رحمته التي وسعت كلّ شيء، فهو أرحم الراحمين.

١ـ إقبال الأعمال/السيد ابن طاووس/ج١ص ١١٩ـ ١٢٤.

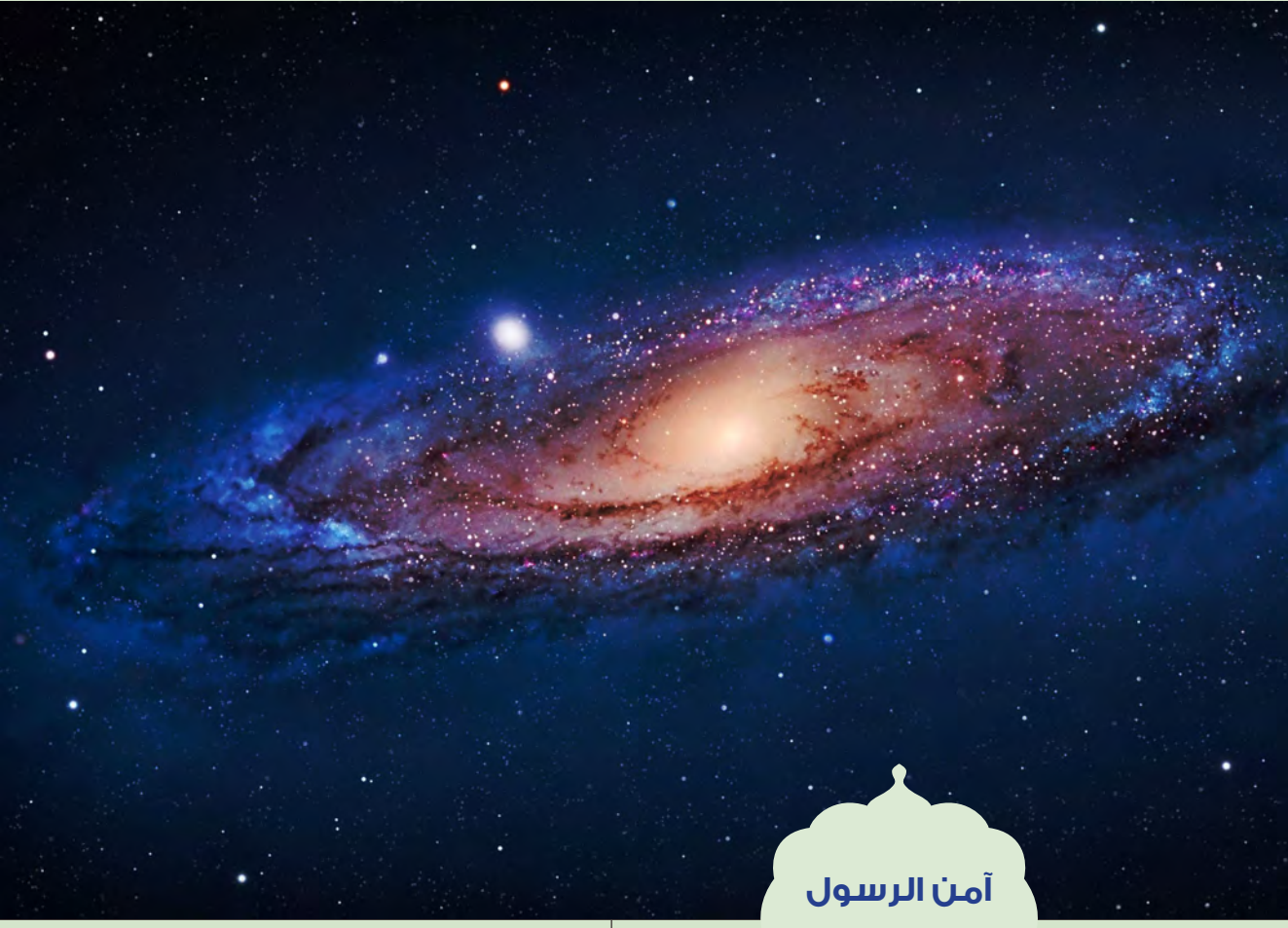

بعض صور القيامة في الكتاب والسنة

الباحث: محسن عبد العظيم الخاقاني

ينابيع يحفل القرآن الكريم وأحاديث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة أهل البيت عليهم السلام بصور يوم القيامة التي لها دلالة كبيرة في الترغيب والترهيب بإثارة الانفعالات الوجدانية وإشاعة اللذة النفسية وإجاشة الحياة الكامنة التي تسهم في تشكيل الصور الرائعة والمناظر الشاخصة بتصوير مناظر الجنة وما فيها من نعيم، ومشاهد النار وما فيها من عذاب.

ويبدأ يوم القيامة بالصورة الحسية المسموعة المتكررة، وهي النفخ في الصور، قال تعالى: (**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ**)(يس:٥١)، فيهلك من في السموات ومن في الأرض إلّا ما شاء الله، ثم تكون نفخة أخرى فيبعث الجميع ويخرجون من قبورهم، قال تعالى: (**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ**

فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ(الزمر:٦٨)، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: (هي ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين)[١].

فيحشر الناس بها من قبورهم (**فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا**)(الكهف:٩٩)، أي حشرنا الخلق يوم القيامة كلهم في صعيد واحد)[٢].

ويدل النفخ في الصور على الترهيب الحسي الذي يشمل الخلائق، حيث وُصف يوم القيامة بـ(يوم الوعيد) قال تعالى: (**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ**) (ق:٢٠)، واستعملت الآية الكريمة هذا اللفظ (الوعيد) لترهيب المجرمين من ذلك اليوم بالرغم من أن القيامة تشتمل على الوعد بالخير والوعيد بالشر.

ونجد أن القرآن الكريم قد عبر عن النفخة بألفاظ أُخرى لها الدلالة نفسها، كالصيحة، قال تعالى: (**إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ**) (يس:٥٣)، (**يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ**)(ق:٤٢)، والزجرة، قال تعالى: (**فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ**) (النازعات:١٣)، كما عبر عنها بالنقر في الناقور، قال تعالى: (**فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ**) (المدثر:٨)، وكذلك بالصاخة، قال تعالى: (**فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ**)(عبس:٣٣).

والقرآن الكريم يعرض لنا صورًا حسّية مختلفة لحشر الناس يوم القيامة، تُبين كيفية حشر المؤمن والكافر يوم القيامة، فعن حشر المتقين يقول الله تعالى: (**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا**) (مريم:٨٥)، وذكر المتقين بلفظ التبجيل، وهو أنهم يجمعون إلى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته، وهم كالوفد وهم قادمون على خير موفود اليه، إلى دار كرامته ورضوانه[٣]، وأما عن حشر الكافرين فيصور القرآن الكريم حالهم وهم أذلاء، فاقدون لوظيفة حواسهم ولا يمكنهم الانتفاع بها، لتمثل نوعًا من أنواع العذاب عليهم، قال تعالى: (**وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً**) (الإسراء:٩٧)، أي يسحبون على وجوههم إلى النار كما يفعل في الدنيا بمن يبالغ في إهانته وتعذيبه، والكافر يحشر يوم القيامة على وجهه وهو أعمى وأبكم وأصم، وقيل: المعنى عُميًا عما يسرُّهم، بُكمًا عن التكلم بما ينفعهم، صُمًّا عما يمتعهم، وقد سئل رسول الله ﷺ عن كيفية حشر الكافر على وجهه يوم القيامة، فقال: (إن الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة)[٤].

وقال تعالى: (**يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا**)(طه:١٠٢)، (قيل: معناه إنه ازرقت عيونهم من شدة العطش، وقيل: معناه عميًا، كما قال: (**وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً**)(الإسراء:٩٧)، كأنها ترى زُرقًا وهي عمي، وقيل: المعنى في (زُرقًا) تشويه الخلق: وجوههم سود وأعينهم زرق)[٥].

ونجد أن الترهيب الحسي في وصف حال المنكرين للبعث، والمسبوق بالقسم تُعبر عنه الصورة المفزعة والمروّعة، وهي صورة الحشر مع الشياطين، لتنقل السامع إلى عالم غير محدود من الخوف والرعب والفزع، يعجز عن وصفه اللفظ، وتقصر دون بلوغه العبارة، قال تعالى:

(**فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا**)(مريم:٦٨)، فهم محضرون وأمام أعينهم نار جهنم وهم حولها جاثون على ركبهم، تعبيراً عن الذل والهوان والاحتقار والصغار والخوف والرعب والفزع، فعندما يتكلم عن الظالمين والكافرين فكلامه يمهل ولا يهمل، وأراد أن يقول لهؤلاء المخالفين أن الله غنى عنكم وأعدّ لكم دار الجزاء في زمن محدودٍ وأجل مسمى، قال تعالى: (**وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ**) (إبراهيم:٤٢).

وقد خاطبهم القرآن الكريم وأنبأهم بتأخير الحساب في الدنيا إلى يوم الجزاء والحساب،وأعطاهم فرصة الاغتنام ولكنّهم لم يغتنموا ولم يتوبوا في الحياة الدنيا، فالتصوير القرآني صور الموقف بتدرج فقال تعالى: (**وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ**) (الأنبياء:٩٧)، والقرآن الكريم قد قال منذ أيام الرسول الله ﷺ اقتربت الساعة غير أن اقتراب الوعد لا يحدد زمناً معيناً فحساب الزمن في تقدير الله غيره في تقدير البشر[٦]، قال تعالى: (**وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ**) (السجدة:٥).

ففي يوم الحساب تشخص أبصار الخلائق لظهور الأهوال فلا تغمض عيونهم، من شدة ما يشاهدون من العذاب الذي يغشى وجوههم، قال تعالى: (**سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ**)(إبراهيم:٥٠)، والتأكيد على حاسة البصر في مواقف القيامة، يعطي بعداً دلالياً على أهمية التصوير الحسي، إذ لا يمكن لأحد أن يتصور شيئًا مالم يره من قبل، لذلك نجد القرآن الكريم يصف كيف تكون حاسة البصرِ يوم القيامة، قال تعالى: (**وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ* مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ**) (إبراهيم:٤٣)، وصف فظاعة حال المشركين يوم الحشر الذي هو وعيد لهم. وقال تعالى: (**خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ**)(القمر:٧)، وقال أيضاً: (**خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ**)(القلم:٤٣)، وقال تعالى: (**خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ**)(المعارج:٤٤)، وقال تعالى: (**أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ**)(النازعات:٩)، فصفة الأبصار تتغير عن حالتها الطبيعية التي كانت عليها في الدنيا. ففي ذلك اليوم، يوم القيامة تتقلب القلوب والأبصار خوفاً وفزعاً من هول المحشر، فخاشعة (أي ذليلة خاضعة لا يرفعونها لذلتهم (**تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ**) أي يغشاهم هوان ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون، أي يوم القيامة)[٧].

ومما لا شك فيه هو أن الله تعالى لا تخفى عليه خافية في الأرض، ولا في السماء، وهو الذي سيسأل العباد عما اكتسبوا، وأن الكرام الكاتبين (الملائكة) هم من الشهود، ومن أنكر سينطق الله جوارحه، حيث تشهد أعضاء الإنسان عليه وجوارحه، وماذا يكون موقف الشخص في ذلك الجواب حينما تنطق وهو ساكت،

وهي تحدد المصير إما إلى الجنة وإما إلى النار، وقدرة الله سبحانه وتعالى تُظهر يوم القيامة ما لا يمكن لعقلٍ محكوم عليه بالمحدودية أن يتصور ما يجري في ذلك اليوم، حتى أن حواس الإنسان تكون لها القدرة والقابلية على التكلم والنطق، فكل حاسة من الحواس تُجيب عمّا فعله صاحبها، فالأذن تجيب عمّا سمعت والعين عما رأت والجلد عما لمس واللسان عمّا قال والأيدي والأرجل عما أنجزت من الأعمال التي اكتسبها ذلك الإنسان، قال تعالى: (**حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ**)(فصلت:٢٠- ٢٢)، فالقرآن الكريم يُشير إلى وضع الكفار والمجرمين يوم القيامة، وسيختم في ذلك اليوم على أفواههم ولا تتكلم إلّا أيديهم وأرجلهم، إذًا (نحن أمام مشهد جديد عجيب، هؤلاء هم الكافرون يُختم على أفواههم فلا تملك ألسنتهم النطق، بينما تنطق أيديهم وأرجلهم فتشهد عليهم بما كانوا يكسبون، وإنه لمشهد عجيب يُثير الخيال ويحرك الوجدان، حيث تنقلب الأحوال، وحيث يُواجه الانسان هذا الحادث الفذ، يخذل بعضه فيه بعضًا، وتشهد جارحة على جارحة، وتتفكك الشخصية الإنسانية إلى أجزاء وآحاد)[٨]، وأن الكافرين قد حوسبوا على أعمالهم وأنكروها، فشهدت عليهم جوارحهم وجلودهم، وهي شهادة تكذيب وافتضاح عندما اعتذروا بإنكار بعض ذنوبهم التي قرأها عليهم كتابُهم، وتخصيص السمع والأبصار والجلود بالشهادة على هؤلاء دون بقية الجوارح، لأن للسمع اختصاصاً بتلقي دعوة النبي ﷺ وتلقي آيات القرآن، فيشهد عليهم بعدم سماع ذلك، ولأن للأبصار اختصاصاً بمشاهدة دلائل المصنوعات الدالة على انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير، وشهادة الجلود لأن الجلد يحوي جميع الجسد لتكون شهادة الجلود عليهم شهادة على أنفسها فيظهر استحقاقها للحرق بالنار[٩].

ولذلك اقتصروا في توجيه الملامة على جلودهم، لأنه (لا شك أن الحواس خمس السمع والبصر والشم والذوق واللمس، ولا شك أن آلة اللمس هي الجلد، فالله تعالى ذكر ههنا من الحواس وهي السمع والبصر واللمس، وأهمل ذكر نوعين وهما الذوق والشم، لأن الذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه، لأن إدراك الذوق إنما يتأتى بأن تصير جلدة اللسان والحنك مماسة لجرم الطعام، فكان هذا داخلاً فيه فبقي حس الشم وهو حس ضعيف في الإنسان، وليس لله فيه تكليف ولا أمر ولا نهي)[١٠]، فما تذكره الآية التي بين أيدينا من أعضاء تعد في الدرجة الأولى، لأن معظم أعمال الإنسان تتم بمساعدة العين والأذن، وإنّ الجلود هي أول من يقوم بملامسة الأعمال، والظاهر أنّ المقصود بذلك هو جلود الأعضاء المختلفة للجسم، جلد اليد والرجل والوجه وغير ذلك[١١].

وآيات القيامة الحسية في مجال الترغيب والترهيب كثيرة، وأن الناس

يختلفون اختلافًا كبيرًا فيما بينهم بالحساب يوم القيامة، فطائفة يشدد الله في حسابها وتضم الظَلمة والكافرين وذوي الأخلاق السيئة، وتكون وجوههم سوداء مظلمة تظهر ظُلمة القلوب التي كانت على الكفر في الحياة الدنيا، وبخلاف ذلك طائفة أخرى يكون حسابهم سهلًا يسيرًا، لإيمانهم وأعمالهم الصالحة وحُسن أخلاقهم، فتكون وجوههم بيضاء منيرة مملؤة بنور الإيمان، قال تعالى: (**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**)(آل عمران:١٠٦- ١٠٧)، فالناس يردون المحشر على صور مختلفة بما يتناسب مع نوعية أعمالهم، ومن أهم ما يُسأل عنه الإنسان يوم القيامة، ما ذكره رسول الله ﷺ حيث قال: (لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتّى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه ؟ وشبابه فيما أبلاه؟ وعن ماله من أين كسبه وفيما أنفقه؟ وعن حبّنا أهل البيت)[١٢].

فيحاسب الإنسان في موقف الحساب على كل صغيرة وكبيرة، وتنصب الموازين وتنشر صحائف الأعمال لينال كل أنسان جزاءه بما كسبت يداه، قال تعالى: (**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ* وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**)(النمل:٨٩ ـ ٩٠) ، ومن أفضل الحسنات هو حب أهل البيت عليهم السلام وولايتهم، فقد ورد عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في تفسير هذه الآية أنه قال: (الحسنة معرفة الولاية وحبنا أهل البيت، والسيئة إنكار الولاية وبغضنا أهل البيت، ثم قرأ عليه السلام (الآية)[١٣]، وينصب الصراط على متن جهنم وتُزلف الجنة للمتقين، وتُبرز الجحيم للغاوين، ومن تولى الله وأولياءه فقد نجا بمشيئته سبحانه، وإلّا فلا، قال تعالى: (**وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ**)(يس:٦٦)، وهذه الآية ناظرة إلى وضع طائفة من الناس أثناء عبورهم من الصراط (جسر جهنم) فإذا أراد الله محا أعينهم بشكل كامل حتى لا يقدروا على المرور من الصراط مهما جهدوا انفسهم في ذلك، وقد ورد عن النبي ﷺ في حديث طويل أنه قال: (...ثُمَّ يُوضَعُ عَلَيْهَا صِرَاطٌ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ وأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ عَلَيْه ثَلَاثُ قَنَاطِرَ الأُولَى عَلَيْهَا الأَمَانَةُ والرَّحْمَةُ، والثَّانِيَةُ عَلَيْهَا الصَّلَاةُ، والثَّالِثَةُ عَلَيْهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ لَا إِلَه غَيْرُه، فَيُكَلَّفُونَ الْمَمَرَّ عَلَيْهَا فَتَحْبِسُهُمُ الرَّحْمَةُ والأَمَانَةُ فَإِنْ نَجَوْا مِنْهَا حَبَسَتْهُمُ الصَّلَاةُ فَإِنْ نَجَوْا مِنْهَا كَانَ الْمُنْتَهَى إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ جَلَّ ذِكْرُه وهُوَ قَوْلُ اللَّه تَبَارَكَ وتَعَالَى: (**إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**)(الفجر:١٤)، والنَّاسُ عَلَى الصِّرَاطِ فَمُتَعَلِّقٌ تَزِلُّ قَدَمُه وتَثْبُتُ قَدَمُه والْمَلَائِكَةُ حَوْلَهَا يُنَادُونَ يَا كَرِيمُ يَا حَلِيمُ اعْفُ واصْفَحْ وعُدْ بِفَضْلِكَ وسَلِّمْ والنَّاسُ يَتَهَافَتُونَ فِيهَا كَالْفَرَاشِ فَإِذَا نَجَا نَاجٍ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى نَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ بَعْدَ يَأْسٍ بِفَضْلِه ومَنِّه إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ)[١٤]، ومما جاء في السُنة المطهرة من معانٍ للصراط، ما رواه المفضل بن عمر قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصراط، فقال: هو الطريق

إلى معرفة الله عزّ وجلّ، وهما صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، وأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة، فمن عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الذي هو جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم)[١٥].

والجدير بالذكر أن هذه الآيات وغيرها، وإن لم تصرح بالترغيب الحسي، إلّا إنها من النعم الحسية للمؤمنين، اذ تُعد ترغيباً لهم بعدم تذوق ألم العذاب الحاصل على الكافرين، قال تعالى: (**فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ**) (الطور:١٨)، فتكون بشرى لأولياء الله الذين يعلمون بأن حسابهم على الله وسوف يجزيهم الجزاء الأوفى، فتغرس في نفس المؤمن دروساً تربوية تنبهه على الثقة بالله وحسن الظن به وتعلمنا دروساً من صميم العقيدة الإسلامية، والاعتقاد الصحيح الجازم بقدرة الله تعالى على كل شيء، وهذا مما لاشك فيه ولا ريب، فيتبين من ذلك أهمية المشاهد الحسية في القرآن الكريم في بيان الترغيب والترهيب الحسي من خلال ما تتضمنه مشاهد القيامة ومشاهد أهل الجنة ونعيمهم، ومشاهد أهل النار وعذابهم، وهذه هي الظواهر الحسية، في يوم القيامة التي تم استخراجها من الكتاب العزيز وتم عرضها على السُنة الشريفة وتم الكشف عنها مع الاختصار، والقرآن الكريم استعمل التصوير الحسي لمعاني ومجردات العالم الآخر، ومنها يوم القيامة طبعاً، ليحصل حينئذٍ الامتثال لأوامر المولى عز وجل، والانتهاء عن مناهيه، والرغبة في وعده، والرهبة من وعيده.

١- الطوسي، التبيان في تفسير القرآن:٨ / ٤٤٩.
٢- الطبرسي، تفسير مجمع البيان: ٦ / ٣٤٩، وظ: التبيان في تفسير القرآن: ٦ / ٣٩١.
٣- ظ: الزمخشري، تفسير الكشاف: ٣ / ٤٢، وأبن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٥ / ٢٦٣.
٤- تفسير مجمع البيان: ٦ / ٢٩٦، وقد أورد مسلم هذا الحديث في صحيحه: ٤ / ٢١٦١.
٥- التبيان في تفسير القرآن: ٧ / ٢٠٣.
٦- ظ: سيد قطب: في ظلال القرآن: ٤ / ٢٣٩٨.
٧- الواحدي/ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١١٣٤.
٨- سيد قطب، مشاهد يوم القيامة: ٩٤.
٩- ظ: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير:٢٤ / ٢٦٧.
١٠- الرازي، تفسير مفاتيح الغيب: ٢٧ / ٥٥٦.
١١- ظ: الشيرازي، تفسير الأمثل: ١٥ / ٢٧٧.
١٢- ظ: الحويزي، تفسير نور الثقلين: ٤ / ٤٠٢، والصدوق، علل الشرايع: ١ / ٢١٨، والمجلسي، بحار الأنوار: ٧ / ٢٥٨، والطبراني، المعجم الأوسط: ٩ / ١٥٥؛ ح: ٩٤٠٦، وأخرجه أيضاً الطبراني في المعجم الكبير: ١١ / ١٠٢؛ ح ١١١٧٨.
١٣- تفسير نور الثقلين: ٤ / ١٠٤، والكافي: ١ / ١٨٥، ح ١٤.
١٤- الكافي: ٨ / ٣١٣، تفسير القمّي: ٢ / ٤٢١.
١٥- الصدوق، معاني الأخبار: ١ / ٢٣.

السيد المرتضى .. وتفسير دعوى اليهود: (يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ)

أ.م.د. محمد كاظم الفتلاوي
كلية التربية /جامعة الكوفة

ينابيع لما أسرفت يهود المدينة وما حولها في عداوة النبي ﷺ بعد ما فضلهم على مشركي قومه، وأقرهم على دينهم وما في أيديهم، بيّن الله تعالى له مخازيهم التي يشهد بها تاريخهم وكُتب دينهم، فكان منها اعتقاد اليهود أن الله سبحانه قد حدد وقدّر كل شيء منذ بدء الخليقة، وأنه سبحانه لا يستطيع من الناحية العملية أن يُغير ما قد تم تقديره من المصير والإرادة والأرزاق.

وهذا المعنى واضح في قوله تعالى: (**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**) (المائدة:٦٤). نلحظ هناك تساؤلات تطرح نفسها، وهي: ما اليد التي أضافتها اليهود إلى الله تعالى، وادّعوا أنها مغلولة؟ وما نرى أن عاقلاً من اليهود ولا غيرهم يزعم أن لربّه يداً مغلولة، واليهود تتبرأ من أن يكون فيها قائل بذلك؛ وما

معنى الدعاء عليهم بـ (**غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ**)، وهو تعالى ممن لا يصح أن يدعو على غيره؟ لأنه تعالى قادر على أن يفعل ما يشاء، وإنما يدعو الداعي بما لا يتمكّن من فعله طلباً له! وفي الجواب على هذه الاشكاليات نرتحل بجولة تفسيرية مع السيد علم الهدى، فنلحظ الجواب عنده بقوله: (قوم من اليهود وصفُوا اللّه تعالى بما يقتضى تناهي مقدورهُ فجرَى ذلك مجرى أن يقولوا: إن يده مغلولة، لأن عادة الناس جارية بأن يعبِّروا بهذه العبارة عن هذا المعنى، فيقولون: يد فلان منقبضة عن كذا، ويده لا تنبسط إلى كذا، إذا أرادوا وصفه بالفقر والقصور)[1].

وبعد هذا الإيضاح يعمد السيد المرتضى إلى الاستشهاد بآية قرآنية يدعم فيها رأيه، وهذه الطريقة في التفسير تُعرف في مناهج المفسرين بمنهج تفسير القرآن بالقرآن، فيقول: (ويشهد بذلك قوله تعالى في موضع آخر: (**لَقَدْ سَمِعَ اللّه قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللّه فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ**)(آل عمران:١٨١))[2].

وإنما وصف اللّه تعالى اليد بذلك، والمعنى: العطاء; لأن عطاء الناس وبذل معروفهم الغالب بأيديهم، فجرى استعمال الناس في وصف بعضهم بعضاً إذا وصفوه بجود وكرم أو ببخل وشح وضيق، بإضافة ما كان من ذلك من صفة الموصوف إلى يديه، لأن استعمال غل اليد في البخل وبسطها في الجود معروف في اللغة مألوف، كما قال الأعشى (ت٦٠هـ) في مدح رجل[3]:

يداك يدا مجد فكف مفيدة
وكف إذا ما ضن بالزاد تنفق

فأضاف ما كان صفة صاحب اليد من إنفاق وإفادة إلى اليد.

ولكي يبطل اللّه سبحانه عقيدة اليهود الباطلة التي توحي بالجبر وسلب قدرة اللّه في مخلوقاته والأرزاق والكون، قال سبحانه: (**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**)؛ وهذا تكذيب لهم، وهذا المعنى ذكره الإمام جعفر الصادق عليه السلام: إذ قال: (لم يعنوا أنه هكذا، ولكنهم قالوا: قد فرغ من الأمر، فلا يزيد ولا ينقص)[4]. أي أنهم ذهبوا أن لا نسخ في المجال التكويني.

وهذا المعنى في النسخ نجده في عقيدة الشيعة الإمامية في مصطلح البداء: وهو الإظهار أو الإبداء في القضاء الموقوف[5].

ويشير السيد المرتضى في تفسيره إلى هذا المعنى، ومعنى البخل أيضاً في قوله: ثم قال تعالى مكذباً لهم: (**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**)؛ أي أنه ممَّن لا يُعجزه شيء، وثنَّى اليدين تأكيداً للأمر، وتفخيماً له؛ ولأن ذلك أبلغ في المعنى المقصود من أن يقول: بل يده مبسوطة.

وقد قيل أيضاً: إن اليهود وصفوا اللّه تعالى بالبخل، واستبطؤوا فضله ورزقه؛ وقيل: إنهم قالوا على سبيل الاستهزاء: إن إلهَ محمد الذي أرسله؛ يداه إلى عنقه؛ إذ ليس يوسِّع عليه وعلى أصحابه، فردَّ اللّه قولهم وكذَّبهم بقوله: (**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**)، واليد هاهنا الفضل والنعمة، وذلك معروف في اللغة، متظاهر في كـلام العرب وأشعارهم)[6].

ويؤكد معنى البخل والشح ابن عباس في قوله: (لا يعنون بذلك أن يد اللّه موثقة ولكن يقولون: بخيل أمسك ما عنده، تعالى اللّه عما يقولون علوًا كبيرًا)[7].

إذن معنى يد اللّه مغلولة هو الوصف بالبخل في العطاء لأن العرب يجعلون

العطاء معبراً عنه باليد، ويجعلون بسط اليد كناية عن البذل والكرم، ويجعلون ضد البسط كناية عن البخل فيقولون: أمسك يده وقبض يده، والمفسرون لم يجدوا أن العرب تستعمل كلمة: غل يده[٨]، إلّا أن القرآن الكريم استعملها وفي موردين، أولها الآية موضوع البحث، وثانيها في قوله تعالى: (**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً**)، وهي كناية قوية لأن مغلول اليد لا يستطيع بسطها في أقل الأزمان، فلا جرم أن تكون كناية لشدة البخل والشح.

والسيد المرتضى كعادته في منهجه التفسيري في اقتفاء أفضل أساليب التفسير وهو تفسير القرآن بالقرآن يحتج بالآية القرآنية للدلالة على المعنى الذي يرومه، فيقول: (ويشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى: (**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**) (الاسراء:٢٩)، ولا معنى لذلك إلّا الأمر بترك إمساك اليد عن النفقة في الحقوق؛ وترك الإسراف، إلى القصد والتوسط)[٩].

ومما يلفت النظر أن اليهود عند ذكرهم لليد في الآية محل البحث كانت بصيغة المفرد: (**يَدُ اللهِ**)، في حين نلحظ أن الله في رده عليهم كلامهم الباطل قد ثنّى كلمة اليد، فقال سبحانه: (**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**)! ولم تغب هذه الالتفاتة على السيد المرتضى، فنلحظه يقول في ذلك: (ويمكن أن يكون الوجه في تثنية النعمة من حيث أريد بها نعم الدنيا ونعم الآخرة، لأن الكل - وإن كانت نعم الله تعالى - فمن حيث اختص كلٌ واحد من الأمرين بصفة تخالف صفة الآخر صارا كأنهما جنسان أو قبيلان. ويمكن أيضاً أن يكون تثنية النعمة أنه أريد بها النعم الظاهرة والباطنة)[١٠].

وهنا أيضاً إشارة واضحة من السيد المرتضى في أن الكرماء عندما يفيضون بنعمهم وكرمهم على الآخرين تكون بيدين مبسوطتين غير وجلين من النقص أو النفاد جراء هذا الانبساط، وذكر اليدين دليل على كمال القدرة والاستحواذ.

أما في قوله تعالى: (**غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ**)، فللسيد المرتضى آراء نجملها في وجوه[١١]:

أولها: أن لا يكون ذلك على سبيل الدُّعاء؛ بل على وجه الإخبار منه عز وجل عن نزول ذلك بهم؛ وفي الكلام ضميرُ (قد) قبل قوله: (**غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ**)، وموضع (**غُلَّتْ**) نصب على الحال، كأنه تعالى قال: وقالت اليهود كذا وكذا؛ في حال ما غلّ الله تعالى أيديهم ولعنهم، أو حكم بذلك فيهم، ويسوغ إضمار (قد) هاهنا، ويذكر السيد المرتضى في هذا المورد ما كان سائغاً في قوله عز وجل: (**إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ، وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ..**) (يوسف:٢٦-٢٧)، والمعنى: فقد صدقت، وقد كذبت.

وثانيها: أن يكون معنى الكلام وقالت اليهود يد الله مغلولة فغلّت أيديهم أو وغلت أيديهم، وأضمر تعالى الفاء والواو؛ لأن كلامهم تمّ، واستؤنف بعده كلام آخر؛ ومن عادة العرب أن تحذف فيما يجري مجرى هذا الموضع؛ ويأتي السيد المرتضى بشاهد على هذا الرأي بقوله تعالى: (**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا**)(البقرة:٦٧)، أراد: فقالوا أتتخذنا هزوًا، فأضمر تعالى الفاء؛ لتمام كلام موسى عليه السلام.

وثالثها: أن يكون القول خرج مخرج

الدعاء؛ إلّا أن معناه التعليم من الله تعالى لنا والتأديب؛ فكأنه جَلَّتْ عظمته وقَفنا على الدعاء عليهم، وعلّمنا ما ينبغي أن نقول فيهم، ولرفد هذا المعنى في الاستثناء يستشهد السيد المرتضى بآية كريمة أخرى في قوله تعالى: (**لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِين**)(الفتح:٢٧).

وهذا المعنى الأخير الذي يذهب إليه السيد المرتضى في إخراجه إخراج معنى الدعاء في قوله تعالى: (**غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ**)، وهو وجه من الوجوه التي ذكرها المفسرون أيضاً، والظاهر أن السيد المرتضى لا يقره به دعاءً من الله عليهم لما في ذلك من الشأنية لله سبحانه في أن عظمة الله سبحانه مما لا يمكن الدعاء على غيره وهو القادر العظيم، فنميل بهذا إلى ترجيح رأيه إلى أن الله سبحانه يُعلمنا الدعاء عليهم، وهذا المعنى وارد في القرآن الكريم والواضح في قوله تعالى: (**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**)(المسد:١).

وقد ذكر هذا المضمون جملة من المفسرين مع ذكرهم للرأي الآخر، فـ(المراد بالأولى (**تَبَّتْ**) خسرانه في نفسه وذاته؛ لأن سعي المرء لإصلاح نفسه وعمله. فأخبر بأن محروم منهما)[١٢].

إذن: بعد هذه الجولة التفسيرية مع السيد المرتضى لحظنا أن اليد التي أرادها اليهود في زعمهم هذا هو المعنى الذي يستعمله العرب في أن المراد بالغل هو البخل والشح، وكذلك المعنى الآخر الذي أرادوه من امتناع النسخ التكويني الذي لا يتفق مع عقيدة المسلمين الشيعة الإمامية والمعروف عندهم بالبداء، بأن الله سبحانه قدّر الأرزاق والأعمار وغيرها ولا يمكن أن تتغير.

والأمر الآخر مما أجابه السيد المرتضى هو القول بدعوى الله عليهم، وهذا أمر أنكره لكونه لا ينسجم مع القدرة الإلهية والمشيئة التي لا يصح معها الدعاء ممن بيده الأمور! فأوضح السيد المرتضى وجوهاً عدة في تفسيرها، اختار الباحث الوجه الأخير وهو التعليم على الدعاء. وتحقق أمر الله فيهم بغل اليد وهو البخل. والحمد لله رب العالمين

١- أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد، ٥/٢.
٢- م.ن.
٣- ديوان الاعشى، ص١٥٠.
٤- الصدوق، التوحيد، ص١٦٨.
٥- ظ: عبد الهادي الفضلي، خلاصة علم الكلام، ص١٠٥.
٦- أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد، ٥/٢.
٧- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٤٠٥/٦.
٨- ظ: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٤٩/٦.
٩- أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد، ٥/٢.
١٠- م.ن.
١١- ظ: م.ن، ٢/ ٦.

فضل تفطير الصائم

* عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: (مَنْ فَطَّرَ صائِمًا فَلهُ مِثلَ أجرِه).

(مصباح المتهجد/ الطوسي/ ص٦٢٦)

* عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: (إِفْطَارُكَ لأَخِيكَ المُؤْمِنِ أَفْضَلُ مِنْ صِيَامِكَ تَطَوُّعاً).

(الكافي/ للكليني/ ج٤ص١٥٠)

* قال الإمام الباقر عليه السلام : (أيُّما مؤمن فطَّر مؤمنًا ليلة من شهر رمضان كتب الله له بذلك مثل أجر من أعتق نسمة مؤمنة).

(المقنعة/ الشيخ المفيد/ ص٣٤٢)

* عَنْ الإمام أَبِي عَبْدِ الله الصادق عَنْ أَبِيه عليه السلام قَالَ: دَخَلَ سَدِيرٌ عَلَى أَبِي عليه السلام فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَقَالَ: يَا سَدِيرُ هَلْ تَدْرِي أَيُّ اللَّيَالِي هَذِه؟ فَقَالَ: نَعَمْ فِدَاكَ أَبِي، هَذِه لَيَالِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَمَا ذَاكَ؟ فَقَالَ لَه: أَتَقْدِرُ عَلَى أَنْ تُعْتِقَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ هَذِه اللَّيَالِي عَشْرَ رَقَبَاتٍ مِنْ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ؟ فَقَالَ لَه سَدِيرٌ: بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي لَا يَبْلُغُ مَالِي ذَاكَ، فَمَا زَالَ يَنْقُصُ حَتَّى بَلَغَ بِه رَقَبَةً وَاحِدَةً فِي كُلِّ ذَلِكَ، يَقُولُ لَا أَقْدِرُ عَلَيْه، فَقَالَ لَه: فَمَا تَقْدِرُ أَنْ تُفَطِّرَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ رَجُلاً مُسْلِماً؟ فَقَالَ لَه: بَلَى، وعَشَرَةً، فَقَالَ لَه أَبِي عليه السلام : فَذَاكَ الَّذِي أَرَدْتُ يَا سَدِيرُ، إِنَّ إِفْطَارَكَ أَخَاكَ المُسْلِمَ يَعْدِلُ رَقَبَةً مِنْ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ عليه السلام .

(الكافي/ للكليني/ ج٤ص٦٨)

* قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند ذكره لشهر رمضان: (... ومَنْ فَطَّرَ فِيه مُؤْمِنًا صَائِمًا كَانَ لَه بِذَلِكَ عِنْدَ الله عِتْقُ رَقَبَةٍ ومَغْفِرَةٌ لِذُنُوبِه فِيمَا مَضَى، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله لَيْسَ كُلُّنَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُفَطِّرَ صَائِماً، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُعْطِي هَذَا الثَّوَابَ لِمَنْ لَمْ يَقْدِرْ إِلَّا عَلَى مَذْقَةٍ مِنْ لَبَنٍ يُفَطِّرُ بِهَا صَائِماً، أَوْ شَرْبَةٍ مِنْ مَاءٍ عَذْبٍ، أَوْ تَمَرَاتٍ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ...)

(م.ن/ ص٦٧)

ملف العدد

الإمام جعفر بن محمد عليه السلام

الصادق

ومدرسته

الإمام الصادق عليه السلام ومعالم مدرسته (الحركة والتأثير)

الشيخ محمد آل حيدر
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع

مثّل الأئمة عليهم السلام دور الحجيّة الربّانيّة على وجه الأرض فتكاملت أدوارهم، وأخذوا من القيادة زمامها في كل شؤونهم، وأوضحوا ببياناتهم وسِيَرهم حقائق الدين ومعالم الحياة الصَادقة الناجحة وحددوا للبشر خطوط التطور الفكري والنضج الإنساني .. مستندين في ذلك إلى ما أولاهم الله تعالى من قدرات ذاتية تتناسب ومهمة القيادة الاجتماعية والنفسية، على المستويين: الشهودي والغيبي التي أوكلت لهم صلوات الله عليهم .. وكل واحد منهم يمثل حلقة في سلسلة شعّت منها أنوار ربّها وزيّنَت الفكر والحياة بواضحات حقائق الصلاح والنجاح.

ومن الحلقات المهمة في هذه السلسلة سيدنا الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام[1] والذي لا يرتاب أحد بمقامه ومكانته الدينية والعلمية والتاريخية من جميع الطوائف والطبقات، ومعالم مدرسته التي شاع صيتها بالآفاق.

وفي هذه السطور سنسلط الضوء على بعض ما ينفعنا في حياتنا وبعد مماتنا، فإنه إمامٌ أُمرنا بالتمسك به والأخذ عنه والانتظام بقافلته المباركة، ونأمل أن نوفق لنيل رضاه أولاً، واستحسان قرائنا ثانيًا.

وسنتناول تأثيره صلوات الله عليه الممتد إلى يومنا هذا، مما يمكننا أن نتلمس فيه معالم مدرسته المباركة، وخطواته القدسية، لنؤسس لحياة صالحة ولعاقبة ناجحة.

فمن تلك الخطوات المباركة:

أولاً: على مستويي التأسيس المعرفي والعقائدي:

فقد اهتم عليه السلام ببيان الحقائق الفلسفية معتمدًا في ذلك على الفطرة السليمة والكتاب الكريم مضمونًا، وعلى الحوار الهادئ والمنطقي أسلوبًا.

وقد أظهر صلوات الله عليه من الحقائق ما يمكن إدراج بعضها في هذه العجالة:

١ـ على مستوى النظرية المعرفية والمنهج التفكيري:

نلاحظ أنه عليه السلام فرّق بين مصادر المعرفة والتعامل مع كل مصدر بقوانينه وطبائعه وعدم الخلط بين الأشياء في

ذلك؛ ففي الكافي عندما قال له الزنديق في حوار طويل: (فَإِنَّا لَمْ نَجِدْ مَوْهُوماً إِلَّا مَخْلُوقاً)، أجاب أبو عبد الله عليه السلام بجواب نقضيّ، ثم جواب إثباتيّ؛ فقد قال له عليه السلام: (لَوْ كَانَ ذَلِكَ كَمَا تَقُولُ لَكَانَ التَّوْحِيدُ عَنَّا مُرْتَفِعاً لِأَنَّا لَمْ نُكَلَّفْ غَيْرَ مَوْهُومٍ)، وهذا نقض على المتكلم لأن الزنديقَ وإن لم يكن معتقدًا بالتوحيد ولكنه يناقش فيه وينفيه في قبال الإمام عليه السلام الذي يثبته ومن المستحيل الكلام عن غير متصوَّر، فإن إثبات الشيء ونفيه فرع تصوره.

ثم ميّز عليه السلام بين مُتَصَوّرٍ منشأُ التصور فيه الحواس، وبين غيره من المناشئ، فقال عليه السلام: (كُلُّ مَوْهُومٍ بِالْحَوَاسِّ مُدْرَكٌ بِهِ تَحُدُّهُ الْحَوَاسُّ وتُمَثِّلُهُ فَهُوَ مَخْلُوقٌ)، وبهذا رد عليه السلام على الزنديق خلطَهُ بين مصادر الفكر واعتباره إن كل متصوَّر فهو مخلوقٌ، وهنا يتساءلُ الزنديقُ مرة أخرى فيقول: (فَقَدْ حَدَدْتَه إِذْ أَثْبَتَّ وُجُودَه) ويرجع الإمام عليه السلام يصحح المفاهيم مرة أخرى فيقول: (لَمْ أَحُدَّه ولَكِنِّي أَثْبَتُّه إِذْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ النَّفْيِ والإِثْبَاتِ مَنْزِلَةٌ)[٢].

ومثال آخر على تحديد المنهج التفكيري، وهذه المرة في ضمن الإطار الإسلامي، إذ كان عليه السلام – وفي أكثر من مورد – يأخذ على أبي حنيفة منهجه الفكري القياسي، وينبهه على خطأه المنهجي بالأمثلة الفقهية الحيّة موضحًا أن هذا المنهج إبليسي لا يمكن الأخذ به لما له من آثار وضعية وفكرية. فـ (عن عِيسَى بْنِ عَبْدِ اللهِ الْقُرَشِيِّ قَالَ دَخَلَ أَبُو حَنِيفَةَ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام فَقَالَ لَه: يَا أَبَا حَنِيفَةَ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقِيسُ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَا تَقِسْ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ قَاسَ إِبْلِيسُ حِينَ قَالَ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وخَلَقْتَه مِنْ طِينٍ، فَقَاسَ مَا بَيْنَ النَّارِ والطِّينِ ولَوْ قَاسَ نُورِيَّةَ آدَمَ بِنُورِيَّةِ النَّارِ عَرَفَ فَضْلَ مَا بَيْنَ النُّورَيْنِ وصَفَاءَ أَحَدِهِمَا عَلَى الآخَرِ)[٣].

٢- تعامله عليه السلام مع أعظم الحقائق الكونية بمرتكزات إنسانية واضحة:

فقد روي أن الإمام الصادق عليه السلام قال لابن أبي العوجاء: (إِنْ يَكُنِ الأَمْرُ كَمَا تَقُولُ - ولَيْسَ كَمَا تَقُولُ - نَجَوْنَا ونَجَوْتَ، وإِنْ يَكُنِ الأَمْرُ كَمَا نَقُولُ - وهُوَ كَمَا نَقُولُ - نَجَوْنَا وهَلَكْتَ)[٤]، وفي هذا النص يعوّل الإمام في بيان فكرته في إثبات الأديان على أساس المرتكز العقلي والفطري السليم بالأخذ بالاحتياط في الأمور الكبرى وخصوصًا في أهمها وأعظمها شأنًا وهو المصير البشري بعد الموت.

٣- إثباته عليه السلام حقائق الدين والإيمان:

وذلك في ضوء المرتكزات والقرآن الكريم، في ضمن الإطار الإسلامي، وقد كان عليه السلام يتبع طريقتين في إثبات الحقائق الإسلامية، طريقة بيان الفكرة على حقيقتها، وطريقة الحوار والمناقشة؛ ولا يُتوهَّم أن الطريقة الأولى كان يستعملها عليه السلام مع تلامذته وخواصه وشيعته، والثانية مع غيرهم؛ بل كان صلوات الله عليه يستثمر كل فرصة لبيان حقائق الدين عملًا وقولًا، فمثلًا ذكر الشيخ الكراجكي طيب الله ثراه: ذكروا أن أبا حنيفة أكل طعامًا مع الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، فلما رفع الصادق عليه السلام يده من أكله قال: الحمد لله ربّ العالمين، اللهم هذا منك، ومن رسولك صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال أبو حنيفة: يا أبا عبد الله، أجعلت مع الله شريكًا؟

فقال له: ويلك، فإنَّ الله تعالى يقول في كتابه: **(وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ**

وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِه)(التوبة:٧٤)، ويقول في موضع آخر: (**وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ**)(التوبة:٥٩).

فقال أبو حنيفة: واللّه، لكأني ما قرأتهما قط من كتاب اللّه ولا سمعتهما إلّا في هذا الوقت!

وهنا جاء رد الإمام عليه السلام حازمًا على أبي حنيفة، فقال أبو عبداللّه عليه السلام: بلى، قد قرأتهما وسمعتهما، ولكن اللّه تعالى أنزل فيك وفي أشباهك: (**أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**) (محمد:٢٤)، وقال: (**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**)(المطففين:١٤)[٥].

وهذا الرد الشديد على الرجل لأنه اتخذ منهجةً فكريّة تُضعف الاعتماد على مصادر التشريع الأساسيّة، وهي القرآن والسُنَّة وتفسح للعقل حدودًا يتجاوز بها ميدانه الطبيعي إلى ميدان النص المقدس، وخصوصًا في المجال القانوني الذي لا تدرك مصالحه ومفاسده المتكاملة ولهذا فإن أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام يقول: (دين اللّه لا يصاب بالعقول)[٦] في قبال الفكر القياسي.

ولأن الرجل واجه الإمام عليه السلام مباشرة بالتكفير واتهمه بالشرك، فلم يكن من الإمام عليه السلام إلّا أن نبّهه بشدة تناسب هذا الاتهام وبيَّن له جهالته بسبب مسبقاته الفكرية التي يلوي عنق النصوص إليها بل يتجاوزها ويثبت أفكاره الخاصة.

ثانيًا: على المستوى السياسي والاجتماعي:

فقد عاش الإمام الصادق عليه السلام فترة صعبة في ظروفها العامة تبلورت بعض مشاهدها من خلال:

١ـ مرور قرن واحد فقط على وفاة أعظم مؤسس في التاريخ البشري وهو النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم حدثت خلالها مجازر دموية لو واجهتها أيّ أُمة لأحدثت فيها شروخًا كبرى ومؤثرة.

٢ـ تسلط الأمويين والعباسيين وأخذهم سبيلي التغرير والبطش كطريقة للحكم.

٣ـ دخول أقوام مختلفة المشارب والرؤى والأفكار إلى الإسلام.

٤ـ إبعاد أهل البيت عليهم السلام عن مسرح الحياة بكل طريقة مثل الاغتيال والتصفية الجسدية والتفقير، والمضايقة، والإقامة الجبرية، ومحاولات الإحراج وبيان المنقصة في العلم أو المهارة أو الشؤون الاجتماعية، ومحاولات ضرب الفكر الإسلامي الصحيح المتمثل بهم عليهم السلام بتحريفه، وتأييد مخالفيه من الزنادقة والملاحدة والمخالفين، وترجمة الكتب الفلسفية عن الأقوام الأخرى التي شبَّعت المجتمع النخبوي بأفكار بعيدة عن الأفكار الإسلامية الصحيحة.

وإلى غير ذلك من أساليب الإبعاد والقهر الفكري، وكذلك المشاهد والأحوال التي مرت بها الأمة الإسلامية.

وفي مقابل هذا كله عمل الأئمة عليهم السلام بخُطَة إلهية هي بحد ذاتها دليل على مقام أهل البيت صلوات اللّه عليهم وأحقيتهم. وقد اعتُمدت هذه الخطة من السماء لحفظ كيان الدين الرباني على الأرض، والتي يمكن بيان بعض ملامحها التي سنرى محورية الإمام الصادق عليه السلام فيها، إذ تركز هذا المخطط على ما يلي:

١ـ بيانات نبوية واضحة بما ينبغي أن يكون عليه الواقع الإسلامي بعده، وأنه يمتد بشخصيات هاشمية محددة ومعروفة.

٢ـ مثالية علوية في تطبيق الإسلام في كل الظروف الحياتية من القهر ومحاولة

الاستذلال إلى العزل والإبعاد عن الاختلاط بالمسلمين من الأمم الأخرى الذين بدأوا يتوافدون إلى الإسلام بعيد الفتوحات التي قام بها الخلفاء للدول الكبرى فضلًا عن صغار الدول إلى اقحامه في فتن لم يكن له فيها لا ناقة ولا جمل إلى حاكميته على دولة من أكبر دول التاريخ البشري وأكثرها مشاكل وخفايا وفي كل ذلك كان عليٌ مثالًا للحق والحقيقة في حركته وآثاره وفكره وعلمه.

٣ـ انتهاج مدرسة الإمام عليه السلام ثلاثة مناهج متكاملة في الحفاظ على الحقيقة الإسلامية بمستويات مختلفة:

المنهج الأول: الحفاظ على الهيئة الإسلامية العامة للمجتمع، وهذا المنهج قد يكون من أهم النقاط التي تسببت بسكوت الإمام علي عليه السلام وتنازل الإمام الحسن عليه السلام وشهادة الإمام الحسين عليه السلام وسكوت من بعده من الأئمة عليهم السلام.

المنهج الثاني: تربية نماذج إيمانية نخبوية على جميع الأصعدة فمنهم العلماء ومنهم أصحاب الأموال والنفوذ ومنهم الإعلاميون والشعراء وغيرهم من النماذج الخاصة.

المنهج الثالث: إقامة الدولة العميقة للشيعة في العمق الإسلامي، بل العالمي بحيث تتمكن من الدفاع عن ثوابت الإسلام، والحفاظ على أفكاره، واتخاذ المواقف المناسبة في اللحظات المفصلية.

ويتبين دور الإمام الصادق عليه السلام في كل منهج من حيثيات متنوعة ولكن يمكن ذكر بعضها فقط على نحو الفهرسة حيث أن تفاصيلها تخرجنا عن حد المقال المختصر.

فمثلًا في المنهج الأول كان لتأسيس فكر التقية والتعايش السلمي أثرهما في استقرار الوجود الإسلامي إلى اليوم، وهي التي تدفعنا إلى نبذ التنابز الطائفي وإلى التضحية لإيقاف التمدد التكفيري الخارجي.

وفي المنهج الثاني يمكن استقراء أي كتاب رجال أو تراجم أو تاريخ لنتبين التمدد الكمي والنوعي للإمام جعفر الصادق عليه السلام في مفاصل الأمة، فمؤسسو العلوم من تلامذته كمعاذ بن مسلم الهراء، وأبي جعفر الرواسي، وجابر بن حيان، والمفضل بن عمرو، وجابر بن يزيد الجعفي، وزرارة وإخوته، وأبان بن تغلب، وغيرهم من مؤسسي علوم الدين واللغة والطبيعة والطب. بل أكثر من هذا ما ذكر من مؤلفات تُنسب للإمام عليه السلام نفسه، بعضها وصلنا وبعضها افتقد، كتوحيد المفضل، والضيم، وخمسمائة رسالة في الكيمياء، ومصباح الشريعة.

وفي المنهج الثالث قام الإمام الصادق عليه السلام بتنظيم البناء الذي أسس له جدّه وأبوه السجاد والباقر عليهما السلام، فقد قام الإمام الصادق عليه السلام في هذا الصدد بمجموعة متكاملة من التنظيمات التي ساعدت فترةُ إمامته الطويلة، وطبيعةُ الظروف على بلورتها وتوظيفها بصورة عملية لتأسيس الواقع الشيعي، والذي قد يكون لهذا السبب يسمى بالمذهب الجعفري.

ومن هذه التنظيمات العملية التي قام بها الإمام عليه السلام والتي لا زالت قائمة وواضحة:

١ـ ابتعاد الأئمة عليهم السلام عن الزعامة السياسية، وعدم خوضهم عليهم السلام في أي عمل سياسي.

٢ـ الاهتمام بالتنظيم المالي، وتوضيح فكرة الخمس وتنظيمها مصدرًا وموردًا.

٣ـ تأسيس الحوزات العلمية في الحجاز والعراق.

٤ـ فتح متنفس للشيعة من الاضطهاد المباشر، وذلك من خلال تأسيس مدرسة مدينة قم المقدسة والتي أشرف الإمام عليه السلام على مؤسسيها تعليمًا وتوجيهًا.

٥ـ تأسيس نظام الوكلاء والقيّمين، وجعله شبكة متداخلة في الأوساط الاجتماعية.

وغير ذلك من الإجراءات التي جعلت من الواقع الشيعي مؤسسة كبرى تضم الدول ولا تضمها الدول، وتقوِّمُ نفسَها بنفسِها، ولا يضرّها في أصل وجودها أو في تطورِها فشلُ تجربة هنا أو خللٌ هناك، بل حتى الانحرافات التي تحصل فيه ولو على مستوى القيادات العليا - حاشا الأئمة عليهم السلام - لو افترضنا حصول ذلك فإنه لن يؤثر على المسيرة العامة.

وكل هذه المناهج العملية كانت تستند إلى أفكار نظرية قوية ووجود علمي للسلسلة العظيمة من خريجي مدرسة الأئمة عليهم السلام ونتاجهم الفكري الذي لم ينضب إلى يوم الناس هذا.

كما أنه يستند إلى قاعدة أخلاقية واعية تربت عليها أجيال وأجيال على امتداد الزمان والمكان، ولا شك في أن من امتداداتها مؤسساتنا ونخبنا وشعوبنا ومرجعياتنا الدينية، وكل هذا ببركة ما أسسه الأئمة عليهم السلام، وخصوصًا إمامنا الصادق عليه السلام.

فسلام عليه يوم ولد طاهرًا مطهرًا، وعاش عالمًا معصومًا مكرمًا...

واستشهد متممًا لما أراد الله منه، خاتمًا أيامَه بالشهادة، وحياتَه بالسعادة...

موقنا بما أنجز من الصلاح، مستقبلًا لأبواب النجاح، فصلوات ربي عليه ..

اللهم أحينا على ما أحييت عليه إمامنا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وأمتنا على ما مات عليه.

١ـ الإمام الصادق عليه السلام سادس أئمة أهل البيت عليهم السلام ولد في ١٧ربيع الأول/عام٨٠ هـ، واستشهد في ٢٥ شوال ١٤٨ هـ.

٢ـ راجع المحاورة كاملة في: الكافي/ للكليني/ ج١ص٤٨.

٣ـ م.ن/ج١ص٥٨.

٤ـ م.ن/ج١ص٧٨.

٥ـ كنز الفوائد/أبو الفتح الكراجكي/ص١٩٦.

٦ـ منهاج البراعة/حبيب الله الخوئي/ج١٠ص٢٢٥.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

من لم يغفر له في شهر رمضان لم يغفر له إلى قابل، إلا أن يشهد عرفة.

(المقنعة/الشيخ المفيد/ص٣٠٩)

مميزات مدرسة الإمام الصادق عليه السلام

أ.د. جواد كاظم النصر الله
كلية الآداب / جامعة البصرة

تمهيد

يعد موضوع الإمامة المفتاح لدراسة شخصية أي من أئمة أهل البيت عليهم السلام، إذ أن الإمامة كالنبوة منصب إلهي، وهما لطف[1] من الله يسبغهما على من يشاء من خلقه، إذ أن مهمة الإمام عليه السلام كمهمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهي: القيام على الشريعة وإيضاح مقاصدها للناس، أما مسألة تولي الحكم فهي جزئية من مهمات النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمام عليه السلام، فإن تولي النبي أو الإمام الحكم أو عدم توليهما لا يغير من الأمر شيء، فالنبي نبي سواء تولى الحكم أم لم يتوله وكذلك الإمام، فكم من نبي من الأنبياء لم يتول حكمًا، بل إن بعضهم استشهدوا على يد أقوامهم[2]، وهذا لم يخرجهم من دائرة الأنبياء، وكذلك الأئمة عليهم السلام[3]، ولذا قام الأئمة عليهم السلام بمهمتهم خير قيام رغم أنهم لم يلوا حكمًا[4]، ولكنهم كانوا

الأمناء على الشريعة.

وفي الواقع أن الإمام حتى يؤدي مهمته، فلابد أن يتميز عن سائر الناس، ومن أهم المسائل التي ينبغي أن يتميز بها الإمام (العصمة)[٥] لكيلا يكون قوله وفعله معرضان للخطأ، ومن ثم ستقع الأمة جميعًا بالخطأ، وكذلك يجب أن يكون الإمام أعلم الأمة، وأن يكون عالمًا بكل شيء، وعلمه لدنّي[٦] من الله، ولا يكون علم الإمام يدخل في دائرة الاجتهاد والرأي[٧].

ومن هنا يكون الإمام عالمًا بجميع الألسن (اللغات)، والعلوم والفنون، والصنائع[٨]، وقد أفرد الشيخ المفيد (قده) في كتابه أوائل المقالات فصلًا أسماه (القول في معرفة الأئمة بجميع الصنائع وسائر اللغات)، وجاء فيه: (أنه ليس يمتنع ذلك منهم، ولا واجب من جهة العقل والقياس، وقد جاءت أخبار عمن يجب تصديقه بأن أئمة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد كانوا يعلمون ذلك)[٩].

وقد وردت روايات عدة تؤكد معرفة الأئمة باللغات، وإنهم يسمعون كل فرد ويكلمونه طبقًا للغته، فعلى سبيل المثال كان أمير المؤمنين عليه السلام يعرف النبطية[١٠]، وكان الإمام الباقر عليه السلام يقرأ مناجاة إيليا عليه السلام باللغة العبرية[١١]، وأنه كان يقرأ بالسريانية[١٢]، وهناك روايات تشير لمعرفة الإمام الصادق عليه السلام باللغة الفارسية[١٣]، والعبرية[١٤] والنبطية[١٥]. وكان درسه يحضره الطلبة من مختلف البلدان واللغات، فكان يكلم كلا منهم حسب لغته[١٦].

من هنا أخذ الإمام جعفر الصادق عليه السلام يمارس مهمته الإلهية في القيام على الشريعة، كإمام للأمة رغم الموقف السلبي الذي اتخذته الأمة من أهل البيت عليهم السلام، ولكن إبعاده عن تولي الحكم لا يعني نهاية لموقعيته كإمام للأمة، إذ كانت الأمة ترى له هذه الموقعية لذا أصبح عليه السلام قطب الرحى الذي يلتف حوله الآلاف من طلبة العلم بغض النظر عن أديانهم وتوجهاتهم، فكانت مدرسته أشمل جامعة على مستوى العلوم والطلبة والفكر، ومن أهم ما تميزت به هذه المدرسة:

١- يقف على رأس هذه المدرسة وريث النبوة، وعملاق الفكر المحمدي في زمانه، المعروف بمواقفه الرسالية، واستقامته على خط الشريعة الربانية المحمدية، فكانت مدرسته حصنًا يلوذ به طلاب الحقيقة.

٢- لم تقتصر على الطلبة الموالين لأهل البيت عليهم السلام، بل كانت مفتوحة لجميع طلاب المعرفة لأن الإمام إمام الأمة بأسرها،

حتى وصل عدد طلابها ما يقارب أربعة آلاف طالب من بلدان واتجاهات شتى.

٣ـ لم تقتصر مدرسة الإمام الصادق عليه السلام على علوم محددة بل شملت جميع العلوم، ففضلًا عن الفقه والحديث والتفسير والكلام، إنما تناولت شتى صنوف المعرفة بما فيها العلوم الطبية والفلكية والطبيعية وغيرها.

٤ـ لم ترتبط هذه الجامعة بسياسة الحكومات، لذا لم تكن موضع شبهة وكراهية من الناس، ومن حلقته انطلق هؤلاء ليؤسسوا علومًا ومذاهبًا ورؤى، فكان مؤسسي الفرق الكلامية والمذاهب الفقهية والنحوية، وحتى العلوم الطبيعية كعلم الكيمياء الذي أول ما نبغ به في الإسلام تلميذه جابر بن حيان.

٥ـ تميزت بمنهجها العلمي السليم وعمقها الفكري واتجاهها العقائدي التربوي والإصلاحي، ولم تعتمد أسلوب حشو الذهن بالمعلومات، لذا كان الانتماء إليها يعد مفخرة لطالب العلم.

٦ـ لم يكن هدف الإمام من هذه المدرسة الجانب العلمي فحسب بل كان ينشد بناء الفرد الصالح ومن ثم المجتمع الصالح.

٧ـ اهتمت مدرسة الإمام الصادق عليه السلام بتدوين الحديث النبوي والحفاظ على مضمونه بعد تعرضه للتحريف والضياع والتوظيف السياسي، وكان يشيد بدور بعض أصحابه الذين بذلوا جهودًا في الحديث كزرارة بن أعين، وكان الإمام الصادق عليه السلام يحث طلابه على المباحثة والمدارسة، وكان نتيجة ذلك أن اجتمع أربعمائة كتاب سميت بالأصول الأربعمائة التي شكلت المجاميع الحديثية الأولى عند مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

٨ـ اعتنت مدرسة الإمام الصادق عليه السلام بالتخصص العلمي، فكان هشام بن الحكم وهشام بن سالم وغيرهما في الفلسفة وعلم الكلام والإمامة، أما زرارة بن أعين ومحمد بن مسلم وأبان بن تغلب وأبو حنيفة ومالك وسفيان بن عيينة في الفقه، وفي حكمة الوجود كان المفضل بن عمر، وفي التاريخ أبان بن عثمان الأحمر البجلي، أما في الكيمياء فكان جابر بن حيان الكوفي.

٩ـ تميزت مدرسة الإمام الصادق عليه السلام بالنتاج العلمي المتنوع في شتى الاختصاصات فكانت ستة آلاف وستمائة كتاب.

١٠ـ أحسن طلبة الإمام الصادق عليه السلام المناظرة والجدال بالأسلوب العلمي والتربوي.

١١ـ خطط الإمام الصادق عليه السلام في مدرسته لتنشيط حركة الاجتهاد وتخريج الفقهاء والمجتهدين في علوم الشريعة الإسلامية [١٧].

١- هو كل ما يوصل الإنسان إلى الطاعة ويبعده عن المعصية. ينظر: شرح الأصول الخمسة/ القاضي: عبد الجبار (ت٤١٥هـ)، ص٥١٨-٥٢٥، الملل والنحل/الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨هـ. ١/٨٢-٨٣، مذاهب الإسلاميين/عبد الرحمن بدوي: ١/٢٩٣-٢٩٧.

٢- كما هو الحال بالنسبة إلى النبي زكريا ويحيى عليهما السلام.

٣- وإلى ذلك أشار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام بأنهما: (إمامان إن قاما وإن قعدا). ينظر: علل الشرائع/ الشيخ الصدوق: ١/٢١١، المصابيح في إثبات الإمامة/: حميد الدين الكرماني/ص٨٨، روضة الواعظين/الفتال النيسابوري: ١/١٩٥، بحار الأنوار/المجلسي: ٤٣/٢٩١.

٤- يلاحظ هنا على سبيل المثال مواقف أمير المؤمنين عليه السلام يلاحظ هنا على سبيل المثال مواقف أمير المؤمنين عليه السلام من الخلفاء، وإجابات الأئمة عليهم السلام على أسئلة الخلفاء، ومواقفهم من التحديات التي واجهت الأمة الإسلامية خدمة لبيضة الإسلام كموقف الإمام زين العابدين عليه السلام في مشورته للخليفة الأموي عبد الملك في مسألة ضرب النقود الإسلامية ضد الإمبراطورية البيزنطية، وموقف الإمام الهادي عليه السلام ضد النصارى أيام العباسيين.

٥- العصمة: هي ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها. ينظر: التعريفات /الجرجاني: ص١٢٣، ولمزيد من التفاصيل ينظر: أصول العقيدة /السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم/ص١٩١-٢٠٣، ٣٧٩ - ٣٨٧، محاضرات في الإلهيات/الشيخ جعفر السبحاني: ص٢٨٠ - ٢٩٠.

٦- اللَدُنّي: من لدن العزيز الحكيم، قال تعالى (مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) سورة الكهف الآية:٦٥، وهي موهبة من الله تعالى يسبغها على من يشاء من خلقه. ينظر: تفسير السلمي: عبد الرحمن السلمي/ ٤١٤/١، فيض القدير في شرح الجامع الصغير/المناوي: ٥١٠/٤.

٧- لمزيد من التفاصيل عن مقام الإمامة يراجع: في رحاب العقيدة/السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم في ثلاثة أجزاء... الإمامة وأهل البيت عليهم السلام النظرية والاستدلال/السيد محمد باقر الحكيم: ص٧ - ٣٥١.

٨- لمزيد من التفاصيل عن ذلك. ينظر: الإمام الصادق عليه السلام كما عرفه علماء الغرب، نقله إلى العربية: نور الدين آل علي، ص٣١ - ٤١١.

٩- أوائل المقالات /الشيخ المفيد: ص٦٧.

١٠- بصائر الدرجات/الصفار: ص٣٥٥ - ٣٥٦.

١١- مناقب آل أبي طالب/ابن شهر أشوب: ٣/ ٣٢٧.

١٢- م.ن

١٣- بصائر الدرجات/الصفار: ص٣٥٦، الاختصاص /المفيد: ص٢٩٠، ٣٢٥، دلائل الإمامة /الطبري: ص٤٦٠، مدينة المعاجز /- البحراني: ١٥/٦، بحار الأنوار /المجلسي: ١٩١/٢٦، ٨٥/٤٧، ٨٩.

١٤- الصفار: بصائر الدرجات ص٣٥٤، ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ٣٤٧/٣، بحار الأنوار /المجلسي/ ٨١/٤٧.

١٥- بصائر الدرجات/الصفار: ص٣٥٦، بحار الأنوار /المجلسي/ ٤٨/٤٧، ٢٧/٦٣.

١٦- الخرائج والجرائح /الراوندي: ٦١٥/٢ - ٦١٦، ٧٥٣، مدينة المعاجز /- البحراني: ٨٠/٦، بحار الأنوار /المجلسي ٩٩/٤٧، ١١٩.

١٧- تاريخ الإسلام /المنظمة العالمية للحوزات والمدارس الإسلامية: ٤١٩/٢ - ٤٢٤.

جوائز شهر رمضان

* عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبل بوجهه على الناس فيقول:

يا معشر الناس إذا طلع هلال شهر رمضان غلت مردة الشياطين وفتحت أبواب السماء وأبواب الجنان وأبواب الرحمة وغلقت أبواب النار واستجيب الدعاء وكان لله فيه عند كل فطر عتقاء يعتقهم من النار، وينادي مناد كل ليلة: هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ اللهم أعط كل منفق خلفًا، وأعط كل ممسك تلفًا، حتى إذا طلع هلال شوال نودي المؤمنون أن اغدوا إلى جوائزكم فهو يوم الجائزة..

ثم قال الإمام أبو جعفر عليه السلام: أما والذي نفسي بيده ما هي بجائزة الدنانير والدراهم).

الإمام الصادق عليه السلام ومناهجه التعليمية

الشيخ الدكتور حسن كريم الربيعي

ينابيع

يعد الإمام الصادق عليه السلام صاحب أعظم مدرسة علمية في العالم الإسلامي بالنظر إلى آثاره وآثار تلاميذه، بل هو الغالب على الفقه وأحكامه، ويصح إطلاق لفظ الفقه الباقري والصادقي على الفقه الإمامي، وذلك من آثار هذه المدرسة العظيمة التي تخرج منها الآلاف من الطلبة.

روى للناس الفقه والحديث عن أبيه، وسمع الناس منه، وأخذوا عنه وعن أبيه، ولقيه أبو حنيفة النعمان بن ثابت صاحب مدرسة الرأي في الكوفة، ومالك بن أنس فقيه أهل المدينة، وسفيان الثوري وشعبة وسفيان بن عيينة وحي بن صالح وأيوب السجستاني وعمرو بن دينار، وكثير من علماء الأمصار[1]. قال عبد الحليم الجندي في كتابه: الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ما نصه:

(فلقد تتلمذ أبو حنيفة ومالك للإمام الصادق عليه السلام وتأثر كثيرًا به سواء في الفقه أو في الطريقة، ومالك شيخ الشافعي، والشافعي يدلي إلى أبناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأسباب من العلم والدم، وقد تتلمذ له أحمد بن حنبل سنوات عشرة، فهؤلاء أئمة أهل السنة الأربعة تلاميذ مباشرون أو غير مباشرين للإمام الصادق عليه السلام[2]، وفي هذا الكلام دلالة واضحة على أهمية دراسة علم الإمام الصادق عليه السلام بعد تأثر هؤلاء الأئمة بالمنهج والطريقة، ولأن أصحابه إذا رووا عنه قالوا:

أخبرنا العالم[3]، وعرفه الجميع ونقلوا عنه العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر ذكره في البلدان، فإن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات فكانوا أربعة آلاف رجل[4].

وفي بيان منهجه كان يعطي لكلامه وحديثه التوثيق الكامل وهو المنهج السندي إشارة لاعتبار ذلك عند أخذ الأحاديث، وبالأخص في الأحكام والقضايا، بل ربما في غيرهما، فكان يردد: (إن حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وحديث علي أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحديث رسول الله قول الله عز وجل)[5].

وفي هذا النص يعطي الإمام أهمية بالغة لطرق الحديث من الجهة السندية إيضاحًا لوثاقته وعدالته في كل السلسلة، وعلى هذا تؤخذ الأخبار والروايات ليصح البناء عليها، وهي إشارات لعلم الجرح والتعديل ولعلم الدراية وكيفية التعامل مع هذا الكم الهائل من الأحاديث، وعلى هذا النهج سار أغلب المحدثين في اختيار أحاديثهم في جوامعهم الحديثية.

واتضحت المدرسة الكلامية عند الإمام الصادق عليه السلام بمنهج الحوار العلمي الهادئ والهادف للوصول للحقيقة، والكلام وسيلة لهذه المعرفة العقائدية التي يجب أن تدخل القلوب وتستقر بالإقناع والممارسة الصحيحة، فكان ينهى عن المجادلة والخصومة لأنها تبعد عن الله عز وجل، وكان يوصي بعض تلامذته بقوله: (إياك وكثرة الخصومات فإنها تبعدك من الله)[٦]، وقال أيضًا: (ليست البلاغة بحدة اللسان ولا بكثرة الهذيان ولكنها إصابة المعنى وقصد الحجة)[٧].

وهذا النص يشير إلى المنهج الكلامي والهدف منه إصابة المعنى وقصد الحجة العلمية على الخصم، ولا يقصد من الدفاع عن العقيدة التعصب الأعمى بلا قصد ولا حجة، فالعقود تابعة للقصود كما يجري في القاعدة الفقهية، كذلك يجري في القواعد الكلامية ومناهجها.

أما المنهج التربوي لطلبة العلم فيوصي الإمام الصادق عليه السلام بقوله: (لا تطلب العلم لثلاث: لترائي به، ولا لتباهي به، ولا لتماري ... الخ)[٨].

فإن الطلب بهذا الشكل لا يحقق هدف التعلم، لأن العنصر الأول من طلب العلم العنصر التربوي والسلوكي المتغير وهو الابتعاد عن الرياء والتصنع والادعاء ما ليس موجودًا أصلاً، ولا المجادلة والمخاصمة التي تنخر في الهيئة الاجتماعية وتزرع التناحر والتحاسد والتباغض وفتور العلاقات الاجتماعية بين المسلمين.

ومن أهم مناهجه بيان المنهج الإسلامي الذي حدده الإسلام بقانونه الإلهي، فكان يؤكد لطلابه بقوله: (الإسلام عريان، فلباسه الحياء وزينته الوقار ومروءته العمل الصالح وعماده الورع .. الخ)[٩]. وهنا يؤكد المنهج العام للإسلام في اللباس المعنوي والمادي ليصدق قول الإنسان هذا مسلم.

ومن أعظم ما قاله في جمع وحدة المسلمين قوله: (الاستقصاء فرقة)[١٠]، فإن المنهج العلمي يقتضي عرض جميع الأقوال ومقارنتها والأخذ بأحسنها وبما يوافق المنهج العقلي الذي علّمه تلاميذه ومريديه.

المنهج العقلي:

وضع الإمام الصادق عليه السلام التطبيق الفعلي بعد التأمل النظري واتخاذ العقل حجة وطريقاً للمعرفة الصحيحة باستخدام النقد وإخضاعه للعقل لمعرفة وجه الحق، فيعد الإمام الصادق عليه السلام أول من نظر في الروايات والتاريخ بعين النقد والتمحيص وكان يرى أن اختلاط التاريخ بالخرافة والأسطورة يفقده أثره من حيث العبر واستخلاص الموعظة والدرس[١١].

وهذا المنهج يجري في الأخبار المتعارضة وطريقة الترجيح ضمن هذا المنهج، فقد جاء في موثقة ابن أبي يعفور عن أبي عبد الله عليه السلام: (إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهدًا من كتاب الله أو من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وإلاّ فالذي جاءكم

أولى به)[١٢]، وجاء في اختلاف الحديث يرويه من يثق ومن لا يثق به، والمراد من الأخير من لا يكون خبره معتبرًا ولم يثق بدينه لكنه يثق في نقله[١٣].

وأعطى الإمام الصادق عليه السلام نظرية العرض على القرآن الكريم، باعتباره الأصل وما عداه يرد إليه لمعرفة مدى صحته وقبوله، فقد جاء عنه قوله: (ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف)[١٤]، وهنا أعطى للفقهاء قاعدة أساسية لمعرفة الأحاديث ومدى صحتها بعد أن فشا الكذب والتدليس والوضع في الأحاديث.

ومن منهجه أن يأمر بالكتابة والتدوين للعلم، وهي دعوة حضارية نابعة من أن الإسلام دين العلم والقراءة والكتابة، فقد ورد عنه عليه السلام: (اكْتُبُوا فَإِنَّكُمْ لَا تَحْفَظُونَ حَتَّى تَكْتُبُوا)، وقال أيضًا: (اكتب وبث علمك في إخوانك ... الخ)، والكتابة تزيد الحفظ، وبهذا المعنى قال عليه السلام: (القلب يتكل على الكتابة)[١٥]، والكتابة والتدوين هما نتاج الحضارة الإسلامية، ومن أثر هذه المنهجية وصلت إلينا آلاف الكتب وفي مختلف العلوم الدينية والطبيعية والأدبية.

ومن منهجه وضع قواعد الفقه المقارن وطريقة المناظرات بالتي هي أحسن، والوصول للحقيقة وطلبها هو الغاية العلمية عند المقارِن والمناظر، ونقل لنا التاريخ الكثير من المناظرات الدينية والعلمية والأدبية حتى مع الدهريين وغيرهم، وعلى أرفع مستوى من الرزانة والهدوء العلمي بعيدًا عن التعصب والجدل غير النافع.

كان جُلّ المناظرات تدور حول الإمامة، بل أنها جوهر الجدل الأساس بين المذاهب والفرق الإسلامية، ومن المدرسة تخرج هشام بن الحكم وهشام بن سالم ومؤمن الطاق وغيرهم[١٦].

كانت هذه المدرسة فتحًا جديدًا في التطوير والتجديد في شتى النواحي والدراسات العقلية بالأخص وعلوم الحكمة والفلسفة والأدب، ومدرسة الإمام الصادق عليه السلام تفرق بين الحكمة والفلسفة وتضع الحكمة في منزلة متقدمة على العلم وعلى الفلسفة، والدين متقدم عليهما لأنه أفضل السبل للتوجه إلى الله ومعرفته[١٧].

لقد بيّن الإمام الصادق عليه السلام في مدرسته أهمية اليقين والشك، فاليقين هو القطع والعلم، والشك هو الجهل الذي لا يزيل اليقين أبدًا، وهي نظرية اعتمدت كثيرًا عند الفقهاء وبني عليها أصل الاستصحاب في علم الأصول والفقه، وقد تأثرت المدرسة الأوربية بهذه النظرية[١٨].

وفي مجال التاريخ أمر الإمام الصادق عليه السلام بتحكيم العقل في تناول القضايا التاريخية ومعرفة الروايات الصحيحة من غيرها[١٩].

المنهج التجريبي:

وردت روايات تشير إلى أن مدرسة الإمام الصادق عليه السلام اهتمت بعلم الطب، وكان الإمام عليه السلام يلقي دروسًا في الطب، أفاد منها كثير من الأطباء والباحثين والمرضى في القرنين الثالث والرابع الهجريين[٢٠].

ومن أهم نظرياته التي انتفع بها الأطباء في عصره وبعد مماته رأيه في إمكان تنشيط الدورة الدموية عند حدوث سكتة مفاجئة أو توقف مؤقت بقطع وريد بين أصابع يد المريض اليسرى إسالة للدم منه[٢١].

ونقل عن الإمام الصادق عليه السلام عدة

مناظرات من أهمها مناظرته مع الطبيب الهندي طبيب المنصور وكانت المناظرة في مجلسه وكانت هذه المناظرة تدور حول جسم الإنسان ومتطلباته[٢٢]. وسأله أحد النصارى عن أسرار الطب فأجابه، وعَلّم الإمام الصادق عليه السلام المفضل بن عمر الدورة الدموية متتبعًا دخول الغذاء جوف الإنسان مبينًا كيفية الدورة الدموية وهو يشبه ما توصل إليه الطب الحديث وهي من المسائل الطبية الجليلة ولم يدركها الأطباء إلاّ بعد اثني عشر قرنًا عندما ظهر الأستاذ هارفي مكتشف الدورة الدموية، وهو أهم مكتشف في عصر الاختراعات في العالم[٢٣].

وأشار الإمام الصادق عليه السلام إلى الحواس والمحسوسات، إلى البصر وإدراكه الألوان وإلى السمع ليدرك الاصوات وكذلك بقية الحواس وأثبت وجود أشياء تتوسط بين الحواس والمحسوسات لا يتم الحس إلاّ بها كمثل الضياء والهواء، فالضياء يظهر اللون للبصر، والهواء يؤدي الصوت للسمع، وهو يشابه ما توصل إليه العلم الحديث[٢٤].

وأشار الإمام الصادق عليه السلام إلى نظرية العدوى والجراثيم، فنقل عنه: (لا يكلم الرجل مجذومًا إلاّ أن يكون بينهما قدر ذراع أو قدر رمح)[٢٥]، ويبدو أن هذه المسافة التي لا تستطيع الميكروبات أن تنتقل وتؤثر في العدوى للغير، وهناك الكثير من الفوائد الطبية المجربة قد أشار إليها الإمام الصادق عليه السلام في منهجه التجريبي مأخوذًا من طب جده الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم[٢٦].

وفي مجال الكيمياء فقد برع هشام بن الحكم (ت ١٩٩هـ) بهذا العلم وهو من أشهر تلامذة الإمام الصادق عليه السلام، وله نظرية في جسمية الأعراض كاللون والطعم والرائحة، وقد أخذها عنه تلميذه إبراهيم بن سيار النظّام المعتزلي، أما جابر بن حيان الكوفي (ت٢٠٠هـ) فكان هو البارع في هذا العلم مع علم الطب، ولكنه اشتهر بالكيمياء أكثر، فقد دوّن آراء الإمام الصادق عليه السلام وأجرى التجارب الكثيرة في هذا الحقل من العلوم[٢٧] ويعد علم الكيمياء من فروع العلوم الطبيعية التي موضوعها البحث عن مظاهر الطبيعة وإيجاد المناسبات بين الحوادث، والكيمياء مشتقة من كلمة مصرية قديمة (سيميا) وتعني السواد وربما هي رمز من رموز السر والخفاء[٢٨].

اهتم جابر بن حيان بهذا العلم ورغب إليه رغبة صادقة ومخلصة، وعرف ذلك الإمام الصادق عليه السلام منه، فعلمه أسراره وأوصاه، وهو يذكر ذلك ويكرره فيما وصل إلينا من رسائله في الكيمياء، فقد نقل عنه قوله: (وحق سيدي لولا أن هذه الكتب باسم سيدي صلوات الله عليه لما وصلت إلى حرف من ذلك آخر الأبد ..)[٢٩].

تعلم جابر بن حيان المنهج التجريبي من أستاذه الإمام الصادق عليه السلام وبه نال لقب الكيميائي، ونال ثقة واطمئنان الإمام عليه السلام ولولا هذه الثقة لم يعطه الإمام عليه السلام هذا العلم المهم والخطير، لذلك نقل عنه عليه السلام: (والله يا جابر لولا أني أعلم أن هذا العلم لا يأخذه عنك إلّا من يستأهله وأعلم علمًا يقينًا أنه مثلك، لأمرتك بإبطال هذه الكتب من العلم)[٣٠].

وذكره ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) في مقدمته ووصفه بأنه إمام المدونين فيه، والكيمياء علم جابر وله فيها سبعون رسالة مع نقده اللاذع لهذا العلم، وعبر عن رسائله بأنها ألغاز[٣١]، وعلى هذا يعد جابر بن حيان

أول رجل ظهر في العالم جدير بأن يلقب بالكيميائي، وقد أثنى عليه بول كراوس وعده من أعظم رواد العلوم التجريبية، لأنه جعل الميزان أساسًا للتجريب[٣٢].

يبدو من الروايات التاريخية والرسائل التي دونها جابر بن حيان أن الأمر بالتدوين كان من الإمام الصادق عليه السلام وحتى الترتيب في الأبواب، أي خطة العمل كما نطلق عليها اليوم كانت بأمره أيضًا، فقد جاء في بعض رسائله قوله: (اعلم أن سيدي رضي الله عنه لمّا أمرني بتأليف هذه الكتب رتبها لي ترتيبًا لا يجوز لي مخالفته فيها وإن كنت عالمًا ببعض أغراضه في ترتيبها، فإما بجميع أغراضه فلا ...)[٣٣].

ومن هذا النص يتضح المنهج وغرضه في مدرسة الإمام الصادق عليه السلام في التدوين والتأليف والأبواب وكيفية وصفها وترتيبها عنده، وقد يفهم المصنف أو التلميذ أغراض الوضع، وقد يفهم جزءًا منها، وقد لا يعرف ما هو الهدف من أوامر الإمام عليه السلام.

هذه المنهجية في القرن الثاني الهجري تحتاج من الباحثين التأمل والنظر لأنها توصل إلى الطريق العلمي الصحيح والذي ينتفع به سواء ما أبداه الإمام الصادق عليه السلام في المنهجين العقلي أو التجريبي.

ويعد المنهج التجريبي اليوم من أهم مصادر المعرفة العلمية وبه نهضت أوربا ودول العالم المتحضر ووصلت إلى ما وصلت إليه.

١- المناقب والمثالب/القاضي النعمان المغربي، ص٣٣٥.
٢- الإمام جعفر الصادق عليه السلام/عبد الحليم الجندي/ص٣.
٣- تاريخ اليعقوبي/ اليعقوبي /ج٢ص٢٦٦.
٤- الإرشاد/الشيخ المفيد / ص٢٧٠.
٥- م.ن، ص٢٧٤.
٦- تحف العقول/ ابن شعبة الحراني/ ص٢٢٥.
٧- م.ن، ص٢٢٧.
٨- م.ن، ص٢٢٧.
٩- م.ن، ص٢٢٣.
١٠- م.ن، ص٢٢٩.
١١- الإمام الصادق عليه السلام كما عرفه علماء الغرب/ مجموعة من العلماء الغربيين/ص٢٤٤.
١٢- الكافي/للكليني: ج١، ص٦٩.
١٣- كتاب التعارض/ محمد كاظم اليزدي/ ص٣٩٠.
١٤- الكافي/للكليني: ج١، ص٦٩.
١٥- م.ن/ ج١، ص٥٢.
١٦- جامعة الإمام الصادق عليه السلام ومدارس الإسلام الأخرى/ أسد حيدر: بالاستناد إلى موسوعة الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الاربعة، إعداد وتلخيص: عباس الموسوي (كمال السيد) /ص٢٥٠.
١٧- الإمام الصادق عليه السلام كما عرفه علماء الغرب/مجموعة من العلماء الغربيين، ص٣٤٨.
١٨- م.ن، ص٣٥٤.
١٩- م.ن، ص٢٤٤.
٢٠- م.ن، ص١٠٩.
٢١- الإمام الصادق عليه السلام كما عرفه علماء الغرب/ مجموعة من العلماء الغربيين، ص١٠٩ .
٢٢- طب الإمام الصادق عليه السلام /محمد الخليلي /ص٢٥.
٢٣- م.ن، ص٣١.
٢٤- طب الإمام الصادق عليه السلام /الخليلي، ص٣٣.
٢٥- م.ن، ص٣٥.
٢٦- للمزيد ينظر: طب الإمام الصادق عليه السلام.
٢٧- الإمام الصادق عليه السلام كما عرفه علماء الغرب/ مجموعة من العلماء الغربيين، ص٤٠.
٢٨- الإمام الصادق عليه السلام مُلهَم الكيمياء/محمد يحيى الهاشمي، ص٢٣.
٢٩- م.ن، ص١٢٢.
٣٠- الإمام جعفر الصادق عليه السلام /الجندي، ص٢٠٢.
٣١- تاريخ ابن خلدون (المقدمة) ج١، ص٥٠٤.
٣٢- الحضارة الإسلامية/ طه عبد المقصود أبو عُبيَة / ج١، ص٤١٥.
٣٣- مختار رسائل جابر بن حيان/ جابر بن حيان، تحقيق: بول كراوس، ص١١٥.

الأمن الاجتماعي عند الإمام الصادق عليه السلام

أ.د. نجم عبدالله الموسوي
كلية التربية – جامعة ميسان

ينابيع تعتبر عملية بناء المجتمع من الأمور المهمة التي أكدت عليها جميع الأديان السماوية والقوانين الوضعية، فهي ترى أنه لا تبنى البشرية ولا تستقيم إلّا بوجود بناءات مجتمعية صحيحة، ولا يطمئن الفرد ولا يستقر إلّا بوجوده داخل مجتمع قويم يمنحه الاطمئنان ويحفظ حقه وكرامته ويصونه.

والإسلام الحنيف الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو خاتم الأديان وأفضلها بتصريح القرآن الكريم، قال تعالى: (**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ**) (آل عمران:١٩)، فقد احتوت المنظومة الإسلامية برنامجًا متكاملًا لبناء الفرد وبناء المجتمع، ولتنظيم علاقة الفرد بالله تعالى وبالآخرين الذين يعيش معهم، فلم يكن الإسلام برنامجًا عباديًّا فقط بل عباديًا واجتماعيًّا واقتصاديًّا سياسيًا وغيرها ... دخل في ميادين الحياة جميعها وأعطى الخطوط المستقيمة الناجحة لبناء الفرد ذاتيًا والمجتمع كليًا.

لقد حرص الإسلام الحنيف عن طريق القران الكريم وسنة المعصومين بدءًا من الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانتهاءً بالإمام الحجة بن الحسن (أرواح العالمين له الفداء) على صناعة الفرد وصناعة المجتمع على وفق أسس ربانية سليمة وصحيحة.

وكان للإمام الصادق عليه السلام على هذا الأساس وضمن هذه السلسلة المباركة من السنة الشريفة دور متميز لا يمكن إنكاره في حرصه على زرع القيم والنظم والنبل الإلهية الإسلامية الرصينة في داخل المجتمع الذي يعيش فيه وللمجتمعات في الأجيال القادمة.

فأعطى عليه السلام في هذا الصدد كمًا كبيرًا من التوجيهات السديدة والآراء الفاضلة التي إن أخذ بها المجتمع الإسلامي تسامى وارتفع شأنه وعلت

همته وسارت العلاقات بين المسلمين أنفسهم وبين غيرهم من أتباع الأديان الأخرى سيرًا صحيحًا وأصبحت القلوب متآلفة متحابة ضمن دائرة العلاقات الإنسانية الصحيحة.

والأمن الاجتماعي (Social Security) مقوم أساسي من مقومات بناء المجتمعات وضرورة حتمية لها، وكانت وما زالت المجتمعات غير الآمنة تعيش الفوضى والضياع والتشرد وعدم التكيف والتوافق، حتى أن الكثير من الأفراد في هذه المجتمعات يهاجرون بحثًا عن المجتمع الآمن والمستقر.

ويعرف الأمن لغة من آمن يأمن أمنًا؛ فهو آمن، وآمن أمنًا وأمانًا، اطمأن ولم يخف، فهو آمن وأمن وأمين، والأمن يعني الاستقرار والاطمئنان، نقول: أمن منه أي سلم منه، وأمن على ماله عند فلان أي جعله في ضمانه، والأمان والأمانة بمعنى واحد، فالأمن ضد الخوف، والأمانة ضد الخيانة، والمأمن الموضع الأمن[1].

ويعد الأمن الاجتماعي أحد مظاهر الشخصية السوية وضرورة للتكيف الحسن يضاف إلى ذلك فإن الشعور بعدم الأمان والطمأنينة ينعكس على أداء الفرد فيتحاشى الخبرات الجديدة والمواقف غير المتوقعة فيسعى للبحث عن الطمأنينة ويكون سلوكه كثير الشبه بسلوك الأطفال [2].

والأمن الاجتماعي حالة نفسية – اجتماعية (Psychological - Social) ينشدها الإنسان لصيانة كيانه وذاته وجعله مستقرًا في بيئته ومجتمعه، فضلًا عن أنها تخلق حالة التماسك بين أفراد المجتمع وتعزز حبهم وانتماءهم لمجتمعهم وإنهم جميعًا منضوون تحت مبادئ وقيم واحدة.

وليس مبالغة أن نقول أن للإمام الصادق عليه السلام توجيهات كثيرة وعديدة تعتبر من أسس الأمن الاجتماعي الإنساني في هذا العصر، وبهذا الصدد يقول الإمام الصادق عليه السلام: (من روّع مؤمنًا بسلطان ليصيبه منه مكروه فلم يصبه، فهو في النار، ومن روّع مؤمنًا بسلطان ليصيبه منه مكروه فأصابه فهو مع فرعون وآل فرعون في النار)[3]، ويدل هذا الحديث الشريف على حرمة الإنسان المؤمن وعلى ضرورة احترام كيانه وشخصيته وعدم ترويعه وإرهابه وتخويفه، وهذه كلها حرمات محفوظة، إذ أن المجتمع المثالي هو المجتمع الآمن الذي يأمن فيه الفرد المسلم وغير المسلم على نفسه وماله وعرضه، ولا يختلف اثنان على أهمية الاطمئنان من الآخرين في تقوية أواصر المحبة واللحمة بين أبناء المجتمع الواحد وتكوين علاقات طيبة آمنة ومجتمع قوي متماسك.

ونجد هناك أقوالًا عديدة بهذه الصدد تؤكد على حرمة الآخرين وعدم الإساءة إليهم والتي منها، قال الأمام الصادق عليه السلام: (قال الله عزّ وجلّ: ليأذن بحرب مني من آذى عبدي المؤمن، وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن، ولو لم يكن من خلقي في الأرض فيما بين المشرق والمغرب إلا مؤمن واحد مع إمام عادل، لاستغنيت بعبادتهما عن جميع ما خلقت في أرضي، ولقامت سبع سماوات وأرضين بهما، ولجعلت لهما إيمانهما أنسًا لا يحتاجان إلى أنس سواهما)[4].

وقال عليه السلام: (من حقّر مؤمنًا مسكينًا، لم يزل الله عز وجل حاقرًا له ماقتًا، حتى يرجع عن حقرته إياه)[٥].

وقال عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى يقول: (من أهان لي وليًا فقد أرصد لمحاربتي، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي)[٦].

وقال عليه السلام: (من روى على مؤمن رواية، يريد بها شينه وهدم مروءته ليسقط من أعين الناس، أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان، فلا يقبله الشيطان)[٧].

وقال عليه السلام: (إن الله عز وجل خلق المؤمنين من نور عظمته وجلال كبريائه، فمن طعن عليهم أو ردّ عليهم قولهم، فقد ردّ على الله في عرشه، وليس من الله في شيء، إنّما هو شرك شيطان)[٨].

ومن جانب آخر نرى أن الإمام الصادق عليه السلام يرى من الضروري أن يكون هناك في المجتمع التفاعل الايجابي مع الآخرين (Positive interaction with others) أخذًا وعطاءً وانسجامًا وتعاونًا، قال عليه السلام: (اقرأ على من ترى أنه يطيعني منهم ويأخذ بقولي السلام، وأوصيكم بتقوى الله عزّ وجلّ والورع في دينكم، والاجتهاد لله وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأدّوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها برًا أو فاجرًا، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يأمر بأداء الخيط والمخيط، صِلوا عشائركم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدّوا حقوقهم، فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدّى الأمانة وحَسن خُلقه مع الناس، قيل: هذا جعفريّ)[٩].

وقال عليه السلام: (عليكم بالصلاة في المساجد وحسن الجوار للناس وإقامة الشهادة وحضور الجنائز، إنّه لا بدّ لكم من الناس، إنّ أحدًا لا يستغني عن الناس في حياته، والناس لابدّ لبعضهم من بعض)[١٠].

وكأن الإمام عليه السلام يريد أن تطغى في المجتمع مشاعر الخير والإنسانية وأن يترسخ مبدأ التعاون بوصفه حالة فطرية طبيعية لدى الإنسان فهو يحتاج الآخرين وهم يحتاجون إليه، ويريد عليه السلام أن لا تكون هناك أحقاد وأضغان وكراهية وعدوان وأن يعيش الفرد حالة انسجام طبيعي مع الآخرين.

ومما تقدم نستنتج من الأحاديث المباركة أن الإمام عليه السلام يطمح إلى أن يكون الإنسان متواجدًا فعلا ضمن الحالة الإنسانية التي أودعها الله تعالى عنده، وأن يعيش صفته الإنسانية مبتعدًا عن جنسه ولونه وعرقه وأي مؤهلات أخرى عدا التقوى كونها معيارًا سماويًا، وكلما عاش الإنسان إنسانيته ترسخت قيم المساواة والعدالة واحترام الحقوق والواجبات.

ومن إضاءات هذه الأحاديث الطيبة أن أفراد المجتمع يجب أن يتوافقوا مع بيئتهم ومجتمعهم وأن يحترموا الآخرين على اختلاف أديانهم وتوجهاتهم الفكرية والسياسية، ويريد أن يعطي فكرة لأتباعه (الجعفريين) وغيرهم بإلغاء عقبات الاختلاف وعيش حالة الإنسانية فيما بين أفراد المجتمع البشري، فالفرد ملزم أن يعدل سلوكه الشخصي السلبي على وفق الرؤى العامة الإيجابية وما يستحسنه المجتمع

الإسلامي أو الإنساني.

وتعتبر هذه التوجيهات المباركة بمثابة تكاليف اجتماعية راقية لبناء المجتمع وحفظه وصيانته، فالإمام الصادق عليه السلام يرسم بأقواله الشريفة حركة الفرد في المجتمع ويحددها على أن تكون حركة فاعلة ذات تأثير ايجابي، فهو فرد متعاون لا يمكنه الاستغناء عن الآخرين، وعلى وفق ذائقة الإمام الصادق عليه السلام في بناء المجتمع، فالفرد المسلم اجتماعي الطبع، مقبول اجتماعيا، لا ينفر الآخرين منه، يحب الخير للآخرين.

فتوفير الأمن داخل المجتمع وتشخيص حاجاته بهذا الصدد يعد ضرورة قصوى لنمو المجتمع وتحقيق التكيف الذي يجعل الفرد مطمئنًا، وأن الفرد الذي يعيش في مجتمع غير آمن ومتوافق يعطي إحساسًا للفرد بالعجز والخوف والشعور بعدم الارتياح وعدم المساواة، وشعوره بأن الآخرين قد يعتدون عليه في أي لحظة وأن البيئة التي يعيش فيها ليست بيئة آمنة ولا مستقرة.

وعليه فإن الأمن الاجتماعي في الحياة الإنسانية لا يتحقق ما لم يتم التسليم والانقياد التام للضوابط والتوجيهات الإسلامية التي رسخها الإسلام عن طريق القرآن الكريم والسنة المطهرة وما أوجده المجتمع من قيم ومُثُل عُليا لا تتعارض مع روح الإسلام.

وختاما لما سبق يمكن أن نبين الفائدة المرجوة من تحقيق الأمن الاجتماعي الذي استعرضناه في أحاديث الإمام الصادق بما يأتي:

١. رفع مستوى الصحة النفسية للفرد والمجتمع وترسيخ العوامل ذات التأثير الإيجابي وخلق حالة القبول الاجتماعي والابتعاد عن السلبيات وما يفكك المجتمع ويوهنه ويشتته.

٢. إن المجتمع الآمن مجتمع يساعد على خلق حالة المناخ النفسي والاجتماعي المناسب للإبداع والتميز وزيادة العطاء، وتكثر فيه المحبة والمودة والتكاتف والأخوة.

٣. إن خلق الجو الاجتماعي الآمن والمناسب يعتبر عنصر تماسك المجتمع وتآزره وتوحده ومبدأً هامًا لرقيّه وتحضره وتطوره.

٤. إن توافر الألفة بين أفراد المجتمع يدفع الآخرين إلى العمل الجاد واحترام مصلحة الآخرين ومصلحة المجتمع والحفاظ على ممتلكات المجتمع.

١- لسان العرب ، ج١، ص١٦٣.

٢- Fontana, D. (١٩٨١). Personality and Education, London Mcmilon press, P٧٢

٣- الكافي، ج٢ ، ٣٦٨.

٤- الكافي، ج ٢، ٣٥٠.

٥- الكافي، ج ٢، ٣٥١.

٦- الكافي، ج ٩، ٣٥١.

٧- الكافي، ٢ ج، ٣٥٨.

٨- ثواب الأعمال، ٢١٤.

٩- الكافي، ج ٢، ٤٦٤.

١٠- الكافي، ج ٢، ٤٦٤.

الإمام الصادق عليه السلام
بين إمارة القلوب وإمارة الأبدان

م . م : محمد رضا الشريفي

ينابيع

ينطلق أهل البيت عليهم السلام في نظرتهم لقضية الحكم والسلطة من عدّة مبادئ أساسية اعتمدوها من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فكانت تلك المبادئ الأصيلة هي المتحكمة في رسم حركتهم التاريخية عبر العهود والأجيال التي عاصروها، وهي التي فرضت على الأئمة عليهم السلام نوعًا معينًا من الحركة والتصرف، قد يبدو مختلفًا أو متناقضًا لمن قاس الأمور بظواهرها السطحية دون التفقه بما وراء تلك الظواهر، ومن أبرز تلك المبادئ الأساسية : أن قضية الحكم في الإسلام ليست ضرورة اجتماعية أو حضارية فحسب، بل هي ركن أساس من أركان الدين، وواجب مقدّم من واجبات العبادة، ولذا فإن مواصفات ومهمات الحاكم في النظام الإسلامي تختلف عنها في بقية الأنظمة والشرائع، فبالإضافة إلى مهمات الحاكم العامة في كل نظام؛ من إقامة العدل، وحماية المجتمع، وتنظيم حياته، والمحافظة على ثرواته، فإن الحاكم المسلم مكلّف بمهمة جليلة تتمثل بإقامة الدين والمحافظة على الشريعة. قال تعالى : (**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**) (سورة الحج :٤١)، والمراد من هذا التمكن السلطنة ونفاذ القول على الخلق لأن المتبادر إلى الفهم من قوله : (**مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ**) ليس إلّا هذا، فلا بد أن يكون الحاكم مبسوط اليد، قادرًا على التصرّف في أنحاء حكمه،

ولا بدّ للشعب أن ينهض معه لتحقيق هذه المهمة. وقد كان أهل البيت عليهم السلام يدركون جيدًا هذا البعد الرسالي للولاية، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: (اللَّهُمَّ إنَّك تعلم أنَّه لم يكن الذي كان منَّا منافسةً في سلطان، ولا التماس شيءٍ من الحطام، ولكن لنردَّ المعالم من دينك، ونُظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتُقام المعطَّلة من حدودك)[1].

فمهمات الحاكم المسلم هي مهمات شاملة تندرج تحتها كل أعمال الإعمار والتنمية المادية والبشرية، بلحاظ تطبيق شريعة الله والظفر برضاه.

وقد مثّلت مدرسة الإمام الصادق عليه السلام هذه الفلسفة العميقة في النظر إلى مسألة الحكم والسلطة، فقد كان عهده حافلًا بالأحداث المهمة والتغييرات الحادة على الصعيد السياسي والاجتماعي والفكري للأمة الإسلامية، فعندما تولى الإمام مقاليد الإمامة بعد وفاة أبيه الباقر عليه السلام قام عمه الشهيد زيد بن علي بن الحسين بثورته المعروفة على حكم الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بالكوفة سنة ١٢٢ هـ ، لكن تلك الثورة الخاطفة سرعان ما أجهضت في مهدها فقُتل قائدها زيد، ثم صلب جسده الشريف فترة من الزمن. وقد نقلت لنا بعض الأخبار تألم الإمام الصادق عليه السلام على عمه زيد الشهيد وإطراءه عليه، فعن الفضيل بن يسار قال : فلما قُتل اكتريت راحلة، وتوجهت نحو المدينة، فدخلت على الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، فقلت في نفسي : لا أخبرته بقتل زيد بن علي فيجزع عليه، فلما دخلت عليه قال لي : يا فضيل، ما فعل عمي زيد ؟ قال : فخنقتني العبرة، فقال لي : قتلوه ؟ قلت : إي والله، قتلوه. قال : فصلبوه ؟ قلت : إي والله صلبوه. قال : فأقبل يبكي ودموعه تتحدر على ديباجتي خده كأنها الجمان. ثم قال : يا فضيل، شهدت مع عمي قتال أهل الشام ؟ قلت : نعم . قال : فكم قتلت منهم ؟ قلت : ستة. قال : فلعلك شاكٌّ في دمائهم ؟ قال : فقلت : لو كنت شاكا ما قتلتهم. قال : فسمعته وهو

يقول : أشركني الله في تلك الدماء، مضى والله زيد عمي وأصحابه شهداء، مثلما مضى عليه علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه[٣]. وفي خبر آخر أنه عليه السلام قال عن زيد : رحمه الله أنه كان مؤمنًا وكان عارفًا وكان عالمًا وكان صادقًا، أما أنه لو ظفر لوفى، أما أنه لو ملك لعرف كيف يضعها[٣].

وأبدى الإمام الصادق عليه السلام تألمه جراء بقية الثورات والحركات العلوية التي استهدفت الظالمين من بني أمية وبني العباس على حد سواء، فلما قتل يحيى بن زيد الشهيد أبدى الإمام حزنه ولوعته وترحمه عليه، فَبَكَى واشْتَدَّ وَجْدُه به.

وقَالَ : رَحِمَ اللهُ ابْنَ عَمِّي وأَلْحَقَه بِآبَائِه وأَجْدَادِه. وكان الصادق يبكي ويترحم على محمد بن عبد الله بن الحسن (ذي النفس الزكية) الذي ثار على المنصور العباسي سنة ١٤٥هـ في المدينة المنورة، ولكن ثورته فشلت حتى قُتل، وقتل أخوه إبراهيم بباخمرى من نواحي الكوفة. فقال الإمام عنهما : رحم الله ابني هند إنهما إن كانا لصابرين كريمين، والله لقد مضيا ولم يصبهما دنس[٤].

لكن الإمام الصادق عليه السلام كان ينظر إلى الساحة الإسلامية آنذاك بعين الواقعية، كما أنه كان يستشرف المستقبل جيدًا، وكان فكره الثاقب وما ألهمه الله من علم يخبره أن الظروف لم تكن مهيأة آنذاك لاستلام السلطة من قبل زيد أو غيره من العلويين الذين ثاروا على بني أمية، فآثر أن لا يظهر تأييده العلني لهم. فعن مُتَوَكِّل بْنِ هَارُونَ قَالَ : لَقِيتُ يَحْيَى بْنَ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام وهُوَ مُتَوَجِّه إِلَى خُرَاسَانَ بَعْدَ قَتْلِ أَبِيه فَسَلَّمْتُ عَلَيْه، فَقَالَ لِي : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ قُلْتُ : مِنَ الْحَجِّ. فَسَأَلَنِي عَنْ أَهْلِه وبَنِي عَمِّه بِالْمَدِينَة، وأَحْفَى السُّؤَالَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام فَأَخْبَرْتُه بِخَبَرِه وخَبَرِهِمْ وحُزْنِهِمْ عَلَى أَبِيه زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام فَقَالَ لِي : قَدْ كَانَ عَمِّي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام أَشَارَ عَلَى أَبِي بِتَرْكِ الْخُرُوجِ وعَرَّفَه إِنْ هُوَ خَرَجَ وفَارَقَ الْمَدِينَةَ مَا يَكُونُ إِلَيْه مَصِيرُ أَمْرِه فَهَلْ لَقِيتَ ابْنَ عَمِّي جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام قُلْتُ : نَعَمْ، قَالَ : فَهَلْ سَمِعْتَه يَذْكُرُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِي، قُلْتُ : نَعَمْ. قَالَ : بِمَ ذَكَرَنِي خَبِّرْنِي، قُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا أُحِبُّ أَنْ أَسْتَقْبِلَكَ بِمَا سَمِعْتُه مِنْه. فَقَالَ : أَبِالْمَوْتِ تُخَوِّفُنِي ! هَاتِ مَا سَمِعْتَه، فَقُلْتُ : سَمِعْتُه يَقُولُ : إِنَّكَ تُقْتَلُ وتُصْلَبُ كَمَا قُتِلَ أَبُوكَ وصُلِبَ...)[٥]

وفي السنوات الأخيرة من حكم بني أمية استغل الإمام الصادق عليه السلام تضعضع ملكهم وتراجع سطوتهم، فطفق ينشر علومه ويبث فقهه بين صفوف طلابه ومريديه الذين لم ينحصروا بطائفة معينة ولون خاص، حتى نهل من علومه القريب والبعيد، والموالي والمخالف، فكان عصره من أبهى عصور الفكر والعقيدة، وكان بحق هو عصر التأسيس الفكري المنهجي لفقه أهل البيت عليهم السلام وعلومهم الشريفة في زمن نشط فيه الاجتهاد الفقهي وظهرت فيه التيارات والمذاهب الإسلامية المختلفة في الفقه والعقيدة، كما خاض الإمام عليه السلام

غمار حرب فكرية مقدسة ضد الأفكار والنزعات الإلحادية والتشكيكية التي ازداد سعيرها آنذاك نتيجة الانفتاح الثقافي على الحضارات الأخرى وازدهار حركة الترجمة والتأليف، فكانت مناظراته العقائدية مع رؤوس الإلحاد من أعمق الدروس الفكرية في الدفاع عن العقيدة الإسلامية.

وعلى الصعيد السياسي بقي الإمام عليه السلام يرصد الوضع عن كثب حتى آلت أمور بني أمية إلى المزيد من التدهور وآل ملكهم إلى الانحلال والتفكك إلى أن حانت الثورة على الأمويين، وهي إنما قامت بسبب مشاعر السخط والتبرم التي اجتاحت العالم الإسلامي من جور بني أمية وسياستهم الظالمة الجائرة في الأمة الإسلامية، ومبالغتهم في التنكيل بالعلويين وأئمة أهل البيت عليهم السلام وذراريهم، حتى أن شعار الثورة نفسه كان هو دفع الأمر إلى (الرضا من آل محمد)، وقد بدأت الثورة في خراسان ثم امتدت كالنار في الهشيم إلى بقية الأقطار، وقد قاد الثورة آنذاك اثنان من أخطر رجال ذلك العصر وأبرز قادته وهما؛ أبو سلمة الخلال وأبو مسلم الخراساني اللذان وجدا نفسيهما مضطرين لعرض الحكم والخلافة على أعيان أهل البيت عليهم السلام في ذلك الزمان، وكان منهم بل على رأسهم الإمام الصادق عليه السلام لأنهما يعرفان جيدًا مشاعر الاحترام والتبجيل التي يكنها المسلمون لآل البيت فأرادا أن يصلا إلى أهدافهما وأن يضفيا الشرعية على عملهما بذلك العرض، وقد حاول أبو مسلم وأبو سلمة الخلال أن يزجّا بالإمام الصادق عليه السلام في خضم الأحداث وذلك لمكانته المرموقة في المجتمع الإسلامي ولأنه يمثل البقية الباقية من الشرعية التي نص عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فعَنِ الْفَضْلِ الْكَاتِبِ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَأَتَاهُ كِتَابُ أَبِي مُسْلِمٍ، فَقَالَ: لَيْسَ لِكِتَابِكَ جَوَابٌ، اخْرُجْ عَنَّا. فَجَعَلْنَا يُسَارُّ بَعْضُنَا بَعْضًا، فَقَالَ: أَيَّ شَيْءٍ تُسَارُّونَ يَا فَضْلُ؟ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ ذِكْرُهُ لَا يَعْجَلُ لِعَجَلَةِ الْعِبَادِ، وَلِإِزَالَةِ جَبَلٍ عَنْ مَوْضِعِهِ أَيْسَرُ مِنْ زَوَالِ مُلْكٍ لَمْ يَنْقَضِ أَجَلُهُ...)[٦]

فالإمام عليه السلام قد تفحص الواقع مليًّا وعلم أن هذين الرجلين ومن كان على شاكلتهما ليسوا بأكثر من طلاب سلطة، وأنهم لا يتورعون عن ركوب أية موجة من أجل الظفر بغاياتهم، فقد روي من عدّة وجوه أنّ أبا العبّاس السفّاح قدم هو وأهله سرًّا على أبي سلمة الخلّال بالكوفة فستر أمرهم وعزم على أن يجعلها شورى بين ولد عليّ والعبّاس حتّى يختاروا منهم من أرادوا. ثمّ قال : (أخاف ألّا يتفقوا)، فعزم أن يعدل بالأمر إلى ولد الحسين أو الحسن عليهما السلام.

فكتب إلى ثلاثة نفر منهم جعفر بن محمّد، وعمر بن علي بن الحسين بن علي، وعبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي. ووجّه بكتبهم مع رجل من مواليهم من ساكني الكوفة. فبدأ بجعفر الصادق عليه السلام فلقيه ليلًا فأعلمه أنّه رسول أبي سلمة وأنّ معه كتابًا إليه. فقال :وما أنا وأبو سلمة ؟ هو شيعة لغيري. فقال الرسول : تقرأ الكتاب وتجيب

بما رأيت. فقال جعفر لخادمه : قرّب السراج منّي. فقرّبه فوضع عليه كتاب أبي سلمة فأحرقه. قال : ألا تجيبه؟

قال : قد رأيت الجواب. ثمّ أتى عبد الله بن الحسن، فقرأ كتابه وركب إلى جعفر بن محمّد. فقال له جعفر : أمر جاء بك يا أبا محمّد ؟ لو أعلمتني لجئتك. قال : وأيّ أمر ؟ هو ممّا يجل عن الوصف. قال : وما هو ؟ قال : هذا كتاب أبي سلمة يدعوني إلى الخلافة ويراني أحقّ الناس به. وقد جاء به شيعتنا من خراسان. فقال له جعفر عليه السلام : ومتى صاروا شيعتك ؟ أنت وجّهت أبا مسلم إلى خراسان وأمرته بلبس السواد. هل تعرف أحدًا منهم باسمه ونسبه؟ كيف يكونون شيعتك وأنت لا تعرف أحدًا منهم ولا يعرفونك ؟ فقال عبد الله : ما هذا الكلام منك إلّا لشيء. فقال له جعفر : قد علم الله أنّي أوجب النصح على نفسي لكلّ مسلم وكيف أدّخره عنك فلا تمنّينّ نفسك إلّا الأباطيل فإنّ هذه الدولة تتمّ لهم وما هي لأحد من ولد أبي طالب. وقد جاءني ما جاءك، فلم أجبّ إلّا بما ستعرف خبره. فانصرف غير راض بما قاله[٧] . ، وقد نظم أبو هريرة الأبّار صاحب الإمام الصادق عليه السلام هذا شعرًا فقال :

ولما دعا الداعون مولاي
لم يكن ليُثْنَى عليه عزمُه بصوابِ
ولما دعوه بالكتاب أجابهم
بحرق الكتاب دون رد جوابِ
وما كان مولاي كمشري ضلالة
ولا ملبساً منها الردى بثوابِ
ولكنه لله في الأرض حجة
دليل إلى خير وحسن مآبِ[٨]

ومن كلّ ما تقدم يتأكّد لدينا اختلاف نظرية الحكم والسلطة عند أهل البيت عليهم السلام عنها عند غيرهم، فهم بجميع أشخاصهم، وفي جميع أطوارهم وأدوارهم لا يستهدفون الاستحواذ على السلطة من أجل غايات دنيوية عابرة، وإنما يستهدفون منها إقامة الدين وبناء الإنسان، فهم أمراء القلوب لا أمراء الأبدان.

١- نهج البلاغة/الشريف الرضي /شرح الشيخ محمد عبدة ، ج٢ص ١٣.
٢- الأمالي/الشيخ الصدوق، ص ٤٣١.
٣- اختيار معرفة الرجال/الشيخ الطوسي ، ج ٢ص ٥٧٠.
٤- مقاتل الطالبيين/أبو الفرج الأصفهاني ، ص ١٧٠.
٥- مقدمة الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليهم السلام/ص١٢.
٦- الكافي / للكليني / ج٨ص٢٧٤.
٧- تجارب الأمم/ابن مسكويه الرازي ، ج ٣ ، ص ٣١٨.
٨- مناقب آل أبي طالب/ابن شهراشوب/ ج ٣ص ٣٥٦.

ما يستحب للصائم:

* عَنْ الإمام أَبي عَبْد الله الصادق عليه السلام قَالَ:

كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله إِذَا أَفْطَرَ بَدَأَ بِحَلْوَاءَ يُفْطِرُ عَلَيْهَا، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَسُكَّرَةٍ أَوْ تَمَرَاتٍ، فَإِذَا أَعْوَزَ ذَلِكَ كُلُّه فَمَاءٍ فَاتِرٍ، وكَانَ يَقُولُ: يُنَقِّي الْمِعِدَةَ والْكَبِدَ ويُطَيِّبُ النَّكْهَةَ والْفَمَ ويُقَوِّي الأَضْرَاسَ ويُقَوِّي الْحَدَقَ ويَجْلُو النَّاظِرَ ويَغْسِلُ الذُّنُوبَ غَسْلاً ويُسَكِّنُ الْعُرُوقَ الْهَائِجَةَ والْمِرَّةَ الْغَالِبَةَ ويَقْطَعُ الْبَلْغَمَ ويُطْفِئُ الْحَرَارَةَ عَنِ الْمِعِدَةِ ويَذْهَبُ بِالصُّدَاعِ.

(الكافي/للكليني/ج٤ص ١٥٣)

...

* عَنْ الإمام أَبي جَعْفَرٍ الباقر عَنْ آبَائِه عليهم السلام:

أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله كَانَ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ صُمْنَا، وعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْنَا، فَتَقَبَّلْه مِنَّا، ذَهَبَ الظَّمَأُ وابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ وبَقِيَ الأَجْرُ.

(الكافي/للكليني/ج٤ص ٩٥)

...

* عَنْ أَبي بَصِيرٍ عَنْ الإمام أَبي عَبْد الله الصادق عليه السلام قَالَ:

تَقُولُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ عِنْدَ الإِفْطَارِ إِلَى آخِرِه: الْحَمْدُ لله الَّذِي أَعَانَنَا فَصُمْنَا، ورَزَقَنَا فَأَفْطَرْنَا، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا، وأَعِنَّا عَلَيْه، وسَلِّمْنَا فِيه، وتَسَلَّمْه مِنَّا فِي يُسْرٍ مِنْكَ وعَافِيَةٍ، الْحَمْدُ لله الَّذِي قَضَى عَنَّا يَوْماً مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ.

(الكافي/للكليني/ج٤ص ٩٥)

فقرات من كتاب (التوحيد) الذي رواه المفضل بن عمرو:

ينابيع

قال الإمام الصادق عليه السلام للمفضل بن عمرو:

(جهل الشُكّاك بأسباب الخِلقة ومعانيها):

(....إن الشُكّاك جهلوا الأسباب والمعاني في الخلقة، وقصرت أفهامهم عن تأمل الصواب، والحكمة فيما ذرأ[1] الباري جل قدسه، وبرأ[2] من صنوف خلقه في البر، والبحر، والسهل، والوعر، فخرجوا بقصر علومهم إلى الجحود، وبضعف بصائرهم إلى التكذيب والعنود، حتى أنكروا خلق الأشياء، وادعوا تكونها بالإهمال، لا صنعة فيها ولا تقدير ولا حكمة من مدبر، ولا صانع، تعالى الله عما يصفون، وقاتلهم أنى يؤفكون[3].

فهم في ضلالهم وغيهم وتجبرهم بمنزلة عميان دخلوا دارًا قد بنيت أتقن بناء وأحسنه، وفرشت بأحسن الفرش وأفخره، وأعد فيها ضروب الأطعمة والأشربة والملابس والمآرب التي يحتاج إليها ولا يستغني عنها، ووضع كل شيء من ذلك موضعه على صواب من التقدير، وحكمة من التدبير، فجعلوا يترددون فيها يمينًا وشمالًا، ويطوفون بيوتها إدبارًا وإقبالًا، محجوبة أبصارهم عنها، لا يبصرون بنية الدار، وما أعد فيها وربما عثر بعضهم بالشيء الذي وضع موضعه، وأعد للحاجة إليه، وهو جاهل للمعنى ولما أعد ولماذا جعل كذلك؟ فتذمر وتسخط وذم الدار وبانيها.

فهذه حال هذا الصنف في إنكارهم ما أنكروا من أمر الخلقة وثبات الصنعة. فإنهم لما غربت[4] أذهانهم عن معرفة الأسباب والعلل في الأشياء، صاروا يجولون في هذا العالم حيارى، فلا يفهمون ما هو عليه من إتقان خلقته، وحسن صنعته، وصواب هيئته. وربما وقف بعضهم على الشيء يجهل سببه، والأرب[5] فيه، فيسرع إلى ذمّه ووصفه بالإحالة والخطأ، كالذي أقدمت عليه المنانية[6] الكفرة، وجاهرت به الملحدة المارقة الفجرة، وأشباههم من أهل

الضلال المعللين أنفسهم بالمحال[٧].

فيحق على من أنعم الله عليه بمعرفته، وهداه لدينه، ووفقه لتأمل التدبير في صنعة الخلائق، والوقوف على ما خلقوا له من لطيف التدبير وصواب التقدير، بالدلالة القائمة الدالة صانعها أن يكثر حمد الله مولاه على ذلك، ويرغب إليه في الثبات عليه والزيادة منه فإنه جل اسمه قال: (**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**)(إبراهيم: ٧).

وحول (أعضاء البدن وفوائد كل منها)،

قال الإمام الصادق عليه السلام للمفضل بن عمرو:

(... فكر يا مفضل في أعضاء البدن أجمع، وتدبير كل منها للأرب فاليدان للعلاج، والرجلان للسعي، والعينان للاهتداء، والفم للاغتذاء والمعدة للهضم، والكبد للتخليص، والمنافذ[٨] لتنفيذ الفضول، والأوعية لحملها، والفرج لإقامة النسل، وكذلك جميع الأعضاء، إذا ما تأملتها وأعملت فكرك فيها ونظرك، وجدت كل شيء منها قد قدر لشيء على صواب وحكمة.

(زعم الطبيعيين وجوابه):

قال المفضل: فقلت: يا مولاي إن قومًا يزعمون أن هذا من فعل الطبيعة!!

فقال عليه السلام: سلهم عن هذه الطبيعة أهي شيء له علم وقدرة على مثل هذه الأفعال، أم ليست كذلك؟؟ فإن أوجبوا لها العلم والقدرة فما يمنعهم من إثبات الخالق، فإن هذه صنعته!![٩]، وإن زعموا أنها تفعل هذه الأفعال بغير علم ولا عمد، وكان في أفعالها ما قد تراه من الصواب والحكمة، علم أن هذا الفعل للخالق الحكيم، فإن الذي سموه طبيعة هو سنته في خلقه، الجارية على ما أجراها عليه[١٠].

(عملية الهضم وتكون الدم وجريانه في الشرايين والأوردة):

فكر يا مفضل في وصول الغذاء إلى البدن، وفيه من التدبير، فإن الطعام يصير إلى المعدة فتطبخه، وتبعث بصفوه إلى الكبد، في عروق دقاق واشجة[١١] بينهما، قد جعلت كالمصفى للغذاء، لكيلا يصل إلى الكبد منه شيء فينكأها[١٢] وذلك أن الكبد رقيقة لا تحتمل العنف، ثم إن الكبد تقبله

فيستحيل بلطف التدبير دمًا، وينفذه إلى البدن كله في مجاري مهيأة لذلك، بمنزلة المجاري التي تهيأ للماء ليطرد في الأرض كلها وينفذ ما يخرج من الخبث والفضول إلى مفائض[١٣] قد أعدت لذلك فما كان منه من جنس المرة[١٤] الصفراء جرى إلى المرارة[١٥] وما كان من جنس السوداء جرى إلى الطحال، وما كان من البلة والرطوبة جرى إلى المثانة[١٦].

فتأمل حكمة التدبير في تركيب البدن، ووضع هذه الأعضاء منه مواضعها، وإعداد هذه الأوعية فيه، لتحمل تلك الفضول، لئلا تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه، فتبارك من أحسن التقدير، وأحكم التدبير، وله الحمد كما هو أهله ومستحقه.

(أول نشوء الأبدان: تصوير الجنين في الرحم):

قال المفضل: فقلت: صف نشوء الأبدان ونموها حالًا بعد حال حتى تبلغ التمام والكمال. قال عليه السلام: أول ذلك تصوير الجنين في الرحم حيث لا تراه عين ولا تناله يد، ويدبره حتى يخرج سويًا مستوفيًا جميع ما فيه قوامه وصلاحه من الأحشاء والجوارح والعوامل، إلى ما في تركيب أعضائه من العظام، واللحم، والشحم، والعصب، والمخ، والعروق والغضاريف.

فإذا خرج إلى العالم تراه كيف ينمو بجميع أعضائه وهو ثابت على شكل وهيئة لا تتزايد ولا تنقص إلى أن يبلغ أشده إن مدّ في عمره أو يستوفي مدته قبل ذلك، هل هذا إلّا من لطيف التدبير والحكمة.

(اختصاص الإنسان بالانتصاب والجلوس دون البهائم):

انظر يا مفضل ما خص به الإنسان في خلقه تشرفًا، وتفضلًا على البهائم، فإنه خلق ينتصب قائمًا، ويستوي جالسًا، ليستقبل الأشياء بيديه وجوارحه، ويمكنه العلاج والعمل بهما فلو كان مكبوبًا على وجهه كذوات الأربع، لما استطاع أن يعمل شيئًا من الأعمال.

(تخصص الإنسان بالحواس وتشربها دون غيره):

انظر الآن يا مفضل إلى هذه الحواس[١٧] التي خص بها الإنسان في خلقه، وشرف بها على غيره. كيف جعلت العينان في الرأس، كالمصابيح فوق المنارة؟ ليتمكن من مطالعة الأشياء، ولم تجعل في الأعضاء التي تحتهن، كاليدين والرجلين، فتعترضها الآفات ويصيبها من مباشرة العمل والحركة، ما يعللها ويؤثر فيها وينقص منها، ولا في الأعضاء التي وسط البدن، كالبطن، والظهر، فيعسر تقلبها، واطلاعها نحو الأشياء.

كتاب (التوحيد)/المفضل بن عمرو الجعفي/ص٩- ٢٠

---

١ ـ ذرأ الله الخلق: خلقهم.

٢ ـ برأه: خلقه من العدم.

٣ ـ أي ينصرفون عن الحق.

٤ ـ أي غابت.

٥ ـ الأرب: بالفتح = المهارة أو الحاجة.

٦ ـ أو المانوية: هم أصحاب مذهب مزيج من

المجوسية والنصرانية.

٧- أي الشاغلين أنفسهم عن طاعة ربهم بأمور يحكم العقل السليم باستحالتها.

٨- المنافذ هنا بمعنى النوافذ من الإنسان، أي كل سم أو خرق فيه كالفم والأنف، والظاهر أن المراد بها هنا محل خروج البول والغائط.

٩- لعل المراد أنهم إذا قالوا بذلك فقد أثبتوا الصانع، فلم يسمونه بالطبيعة، وهي ليست بذات علم ولا إرادة ولا قدرة؟

١٠- أي ظاهر بطلان هذا الزعم، والذي صار سببا لذهولهم إلى إن الله تعالى أجرى عادته بأن يخلق الأشياء بأسبابها، فذهبوا إلى استقلال تلك الأسباب في ذلك. وبعبارة أخرى إن سنة الله وعادته قد جرت لحكم كثيرة، فتكون الأشياء بحسب بادي النظر مستندة إلى غيره تعالى، ثم - يعلم - بعد الاعتبار والتفكر - إن الكل مستند إلى قدرته أو تأثيره تعالى، وإنما هذه الأشياء وسائل وشرائط لذلك ومن هنا تحيروا في الصانع تعالى.

١١- الواشجة: مؤنث الواشج اسم فاعل بمعنى المشتبك، يقال: وشجت العروق والأغصان إذا اشتبكت. والمراد بالواشجة هنا الموصلة أو الواصلة.

١٢- نكأ القرحة قشرها قبل أن تبرأ فندبت.

١٣- المفائض: المجاري، مأخوذة من فاض الماء، وفي بعض النسخ بالغين من غاض الماء غيضا، أي نضب وذهب في الأرض.

١٤- المرة: بكسر ففتح - خلط من أخلاط البدن وهو الصفراء أو السوداء، جمعه مرار.

١٥- المرارة: هنة شبه كيس لاصقة بالكبد تكون فيها مادة صفراء هي المرة أشار إليها الإمام، جمعها مرائر ومرارات.

١٦- في كلام الإمام عليه السلام هنا معان صريحة عن الدورة الدموية - التي اكتشفها العالم الإنكليزي وليم هارفي (١٥٧٨ - ١٧٥٦) بل أن الإمام قد فصل القول - كما نرى هنا - عن جريان الدم في الأوردة والشرايين ، وإن مركزه هو القلب ، فنستطيع إذن أن نقول بأن الإمام هو المكتشف الأول للدورة الدموية.

١٧- لعل الأصل في كلمة محسوس هنا هو (حس) ولا تأتي كلمة محسوس هنا، لأن حس بمعنى شعر وعلم فعل لازم، ومن البديهي عدم جواز صيغة اسم المفعول من الفعل اللازم، إلا إذا عدي بحرف الجر أو جاء مع المصدر أو الظرف، ويأتي فعل حسن متعديا بغير هذا المعنى، فيقال:

آداب الصوم:

قال الإمام الصادق عليه السلام:

إذا صمت فليصم سمعك وبصرك وفرجك ولسانك، وتغض بصرك عما لا يحل النظر إليه، والسمع عما لا يحل استماعه إليه، واللسان من الكذب والفحش.

(الهداية/ الشيخ الصدوق/ ص١٨٩)

مختارات رمضانية

ليلة القدر

يَـا لَيْلَـةً تَفْضُـلُ الأَعْـوَامَ وَالحِقَبَـا ... هَيَّجْـتِ لِلقَلْـبِ ذِكْـرَى فَاغْتَـدَى لَهَبَـا
وَكَيْـفَ لا يَغْتَـدِي نَـارًا تُطِيـحُ بِـهِ ... قَلْـبٌ يَـرَى هَـرَمَ الإِسْـلامِ مُنْقَلِبَـا
يَـا لَيْلَـةَ القَـدْرِ يَـا ظِـلاً نَلُـوذُ بِـهِ ... إِنْ مَسَّـنَا جَاحِـمُ الرَّمْضَـاءِ مُلْتَهِبَـا
ذِكْـرَاكِ فِي كُلِّ عَـامٍ صَيْحَـةٌ عَـبَرَتْ ... مِـنْ عَـالَمِ الغَيْـبِ تَدْعُـو الفِتْيَـةَ العُرُبَـا
يَـا لَيْلَـةَ القَـدْرِ يَـا نُـورًا أَضَـاءَ لَنَـا ... قَـاعَ السَّـمَاءِ فَأَبْصَرْنَـا مَـدًى عَجَبَـا
تَنَـزَّلُ الـرُّوحُ رَفَّافًـا بِأَجْنِحَـةٍ ... بِيـضٍ عَـلَى الكَـوْنِ أَزْخَاهُـنَّ أَوْ سَـحَبَا
عَطْـفُ الأُمُومَـةِ فِي عَيْنَيْـهِ مُتَّقِـدٌ ... وَإِنْ يَكُـنْ لِلتُّقَـاةِ المُحْسِـنِينَ أَبَـا
وَلِلمَلائِـكِ تَسْـبِيحٌ وَزَغْـرَدَةٌ ... تَـكَادُ رَنَّاتُهَـا أَنْ تُذْهِـلَ الشُّـهُبَا

وقال بدرشاكر السياب:

حَصِّـنْ صِيَامَـكَ بِالسُّـكُوتِ عَـنِ الخَنَـا ... أَطْبِـقْ عَـلَى عَيْنَيْـكَ بِالأَجْفَـانِ
لا تَمْـشِ ذَا وَجْهَـيْنِ مِـنْ بَـيْنِ الـوَرَى ... شَرُّ البَرِيَّـةِ مَـنْ لَـهُ وَجْهَـانِ

وقال المؤرّخ الأندلسي عبدالله القحطاني

رَمَضَـانُ مَـا أَدْرِي وَنُـورُكَ غَامِـرٌ ... قَلْبِـي فَصُبْحِـي مُـشْرِقٌ وَمَسَـائِي
أَأَنَـالُ بَعْـدَ مَثَالِبِـي وَمَسَـاوِئِي ... بِـكَ مِنْهُـمَا بَعْـدَ القُنُـوطِ شِـفَائِي؟
وَبِأَنَّنِـي سَـأَنَالُ مِنْـكَ حِمَايَتِـي ... وَوِقَايَتِـي مِـنْ مُعْضِـلِ الأَرْزَاءِ
مَـا أَنْـتَ إِلاَّ رَحْمَـةٌ ومَحَبَّـةٌ ... لِلنَّـاسِ مِـنْ ظُلْـمٍ قَسَـا وَعَـدَاءِ

النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأقسام العلم

الشيخ حسن العيساوي
باحث وخطيب

تمهيد

قسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم العلم النافع إلى ثلاثة أقسام مهمة، وأوصى بتعلمها والاهتمام بها، باعتبارها نافعة منجية يوم القيامة، فقد ورد عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: (دخَلَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وآله وسلم الْمَسْجِدَ فَإِذَا جَمَاعَةٌ قَدْ أَطَافُوا بِرَجُل، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقيلَ: عَلَّامَةٌ، فَقَالَ: وَمَا الْعَلَّامَةُ؟ فَقَالُوا لَه: أَعْلَمُ النَّاس بِأَنْسَاب الْعَرَب وَوَقَائعهَا وأَيَّام الْجَاهليَّة والأَشْعَار الْعَرَبيَّة، قَالَ: فَقَالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: ذَاكَ علْمٌ لَا يَضُرُّ مَنْ جَهلَه ولَا يَنْفَعُ مَنْ عَلمَه، ثُمَّ قَالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّمَا الْعلْمُ ثَلَاثَةٌ آيَةٌ مُحْكَمَةٌ أَوْ فَريضَةٌ عَادلَةٌ أَوْ سُنَّةٌ قَائمَةٌ ومَا خَلَاهُنَّ فَهُوَ فَضْلٌ)[1].

سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن هذا العلّامة بكلمة (ما)، لمعرفة حقيقة الوصف الذي وصف الناس هذا الشخص به وهو العلم بقولهم (علّامة) لأن غرض النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم بمعرفة الوصف لا بمعرفة الشخص، وإلّا لسأل بكلمة (من) التي تستعمل للسؤال عن الشخص وتميزه عن الآخرين، (فإنّهم

أخطأوا وأجابوا عن السؤال المذكور بأنّه أعلم الناس بالأمور المذكورة - بأَنْسَاب الْعَرَب ووَقَائعهَا وأَيَّام الْجَاهليَّة والأَشْعَار الْعَرَبيَّة -، زعماً منهم أنّ للأمور المذكورة مدخلاً في كونه علاّمة، ولذلك نبّههم على الخطأ، فقال النبيّ ﷺ: ذاك علم لا يضرّ من جهله ولا ينفع من علمه) في الآخرة، وإنّما ذاك نوع فضيلة يصطاد به الحطام ويكتسب به صرف قلوب العوام، وما هذا شأنه لا يعتدّ به ولا يعدّ صاحبه علاّمة. ثمّ قال النبيّ ﷺ إرشاداً لهم إلى العلم الذي يضرّ جهله يوم المعاد، وينفع يوم يقوم فيه الأشهاد)[٢].

يتضح أن العلم النافع الذي يقصده النبي ﷺ هو العلم النافع يوم القيامة، وأما بقية العلوم كالطب والهندسة وغيرها من العلوم فهي بحد ذاتها غير نافعة يوم القيامة، ولكنه ﷺ لم ينه من تعلمها لأغراض دنيوية، بل شجع على طلبها واكتسابها، فقد تواتر عنه ﷺ قوله: (اطلبوا العلم ولو بالصين، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم)[٣]، فأي علم في الصين قصده النبي ﷺ بقوله؟ لابد أنه لم يقصد علوم الدين. وقد وصف ﷺ العلوم التي خارج نطاق الدين بأنها (فضل)، إذا استخدمت بالخير لخدمة البشرية، أما إذا استخدمت بالشر فهي دمار للبشرية ووبال على أصحابها يوم القيامة.

أقسام العلم

قسم النبي ﷺ العلم إلى ثلاثة أقسام، تقسيمًا حصريًا لأنه ﷺ استخدم كلمة (إنما) وهي تفيد الحصر، فهذه الأقسام الثلاثة فقط فيها العلم النافع في الآخرة، أما غيرها وإن كانت علمًا لكنها غير نافعة، وكما عبر النبي ﷺ لا ينفع من علمه، ولا يضر من جهله، وعلى الإنسان العاقل أن يبحث عن علم ينفع من علمه، ويضر من جهله، وهذا منحصر في الأقسام الثلاثة :

القسم الاول : آية محكمة

أراد النبي ﷺ به العلوم الالهية والعقائدية والعقلية التي يستدل بها على وجود الله وأسمائه وصفاته والمعاد وما فيه من ذكر أحوال يوم القيامة حسب ما ذكره العلماء في تفسير الحديث، وهذه العلوم تعد من أفضل العلوم لأن فيها التقرب إلى الله سبحانه ومعرفته، وهذا أمل كل عالم في هذه الدنيا، لأن الذي يعمل مع العلم يصل إلى القرب الالهي، أما الذي يعمل بدون علم فإنه يفسد أكثر مما يصلح ويعتقد أنه يقترب من الله وهو يبتعد عنه، قال الامام الصادق عليه السلام: (الْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ لَا تَزِيدُهُ سُرْعَةُ السَّيْرِ إِلَّا بُعْدًا)[٤]، ولكن شرط هذه العلوم أن تؤثر في القلب فيحصل الإيمان الذي به تقبل الأعمال ويحصل على الثواب الذي فيه نعيم الأبد والدخول إلى الجنة بهذا الإيمان، وأما إذا استخدمت هذه العلوم من أجل المراء والجدال مع الأقران وإظهار تفوقه العلمي وقابليته على النقاش واستعمال المصطلحات بسرعة وسهولة في هذه المسائل فمثل هذا الإنسان يكون حاله حال الشيطان الذي يعلم بأسماء الله وصفاته ويعلم بالجنة والنار ويعلم بالملائكة التي يعجز الإنسان عن رؤيتها، ومع ذلك لم ينفعه علمه، فهو من أهل جهنم خالدًا فيها أبدًا لأنه لم يطع الله سبحانه وتعالى عندما أمره بالسجود لأدم عليه السلام ولم يحصل على نعيم الأبد فلم ينفعه العلم وهذه عبرة

لكل إنسان أن ينتبه لذلك.

القسم الثاني : فريضة عادلة

بين النبي ﷺ في هذا الحديث علم الأخلاق الذي هو من أهم العلوم في هذه الدنيا، لأن الخُلق الحسن هو الحد الوسط بين الإفراط والتفريط وكلاهما مبغوضان من قبل الشارع المقدس، وأما حُسن الخلق فهو أمنية كل مؤمن لأن به يحصل على الثواب العظيم، وإن كان ضعيف العبادة كما قال رسول الله ﷺ: (إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف العبادة)[٥]، وعلى

ضده سوء الخلق، فإنه ينزل بصاحبه النار وإن كان ممن يصوم النهار ويقوم الليل، كما روي عن النبي ﷺ وقد قيل له: أن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها. فقال: لا خير فيها هي من أهل النار)[٦]، بل يصل بسوء الخلق أسفل درك من الجحيم، كما قال رسول الله ﷺ: (إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم)[٧]. على هذا لابد للمؤمن من معرفة هذا العلم وفهم أصوله حتى يحصل على الثواب ويبتعد عن السيئات والذنوب، وهذا أنفع شي للإنسان في هذه الدنيا، وهذا العلم يعتمد على أصول أربعة يجب على الطالب لهذا العلم معرفتها، وهي:

أولًا :

الحكمة: وهي الحالة الوسط بين السفه والبله، والسفه هو استعمال الفكر في غير مورده، والبله هو تعطيل القوة الفكرية في الموارد التي ينبغي استعمالها فيه، فمن السفه أن يستخدم الإنسان فكره وقواه الأخرى في خداع الناس، والمكر والغدر بهم أو استعمال قابلياته الذهنية في ابتكار طرق لسرقتهم والتسلط على حقوقهم التي جعلها الله لهم، أو يعطل تلك القوى الذهنية عن العمل والإبداع وخدمة نفسه ومجتمعه، وهذا من البله، فالإنسان الحكيم يستخدم قواه الفكرية والمعرفية بما يخدم بها نفسه ومجتمعه، داخل الإطار الذي ترسمه الشريعة له و(خير الناس من نفع الناس)، ولمعرفة الأطر الشرعية لحركته، عليه التفقه في معرفة أحكام الدين ومعرفة الأحكام الشرعية والمسائل العقائدية التي ترسمها الشريعة، لكي لا يقع في المحاذير

والوقوع في حبائل الشيطان، روي عن الامام الصادق عليه السلام قوله: (عليكم بالتفقه في دين الله ولا تكونوا أعرابًا، فإن من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة، ولم يزك له عملاً)[٨]، وروي عنه عليه السلام أيضا: (من لم يتفقه في دينه ثم أتجر ارتطم في الربا ثم ارتطم في النار)[٩]، وقال عليه السلام أيضاً: (من أراد التجارة فليتفقه في دينه، ليعلم بذلك ما يحل له مما يحرم عليه. ومن لم يتفقه في دينه، ثم أتجر، تورط في الشبهات)[١٠].

ثانيا:

الشجاعة: وهي الحالة الوسط بين الجبن والتهور، والجبن هو الخوف والهروب في مورد لا ينبغي للنفس ان تخاف وترتبك، وبين عدم الخوف في مورد ينبغي فيه الخوف، وهذا هو التهور، فالإنسان المؤمن يدرك هذه الفضيلة بصورة عادلة فلا يجبن في مواجهة عدو يريد به وبدينه أو عرضه أو ماله شرًا، والمواجهة لا تعني بالضرورة استخدام القوة العضلية أو قوة السلاح، فإذا كان بالإمكان رد المعتدي عن طريق الفكر والمنطق والمحاججة، فلا ينبغي استخدام القوة برد العدوان، بل يعد هذا الاستخدام تهورًا، وهذا هو المنهي عنه في الشريعة، فالشجاعة هي عدم السكوت والخضوع للمعتدي ويعد ذلك جبنًا، ولا التهور في استخدام القوة ما دام هناك سبيل لرد العدوان بالعقل، قال تعالى: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)(فصلت:٣٤)، وقد أجمل القرآن الكريم حالة التعامل مع العدو بكلتا الحالتين بقوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ.... وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ...) (الأنفال:٦٠-٦١).

ثالثًا:

العفة: وهي الحالة الوسط بين الشره والخمود، والشره هو استخدام الشي أكثر من محله، فينغمس في الشهوات، سواء في شهوة الجنس أو شهوة الأكل والشرب أو شهوة حب المال، وبين الخمود الذي يترك الزواج ويعرض عن الدنيا، فتراه يعيش مع الآخرين بجسده لا بروحه ومشاعره، فهو يعيش حالة من الرهبانية التي نهى الإسلام عنها، وقد تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (لا رهبانية في الإسلام)[١١]، أما المؤمن فإنه يعيش حالة العفة، فإنه يتزوج ويأكل ويشرب ويختلط مع الناس يساعدهم على أعمالهم ويحل مشاكلهم، وهذا كان دأب أهل البيت عليهم السلام فكانوا يتزوجون ويأكلون ويعملون، بعكس الذين ينخدعون بأساليب الشيطان ويعرضون عن الدنيا ويعتقدون بأن هذا يقرب من الله سبحانه وتعالى، وخير شاهد على ذلك قول الإمام علي عليه السلام لأحد أصحابه حين علم بانعزاله عن الناس وهجر أهله وانصرف للعبادة والتبتل و(لَبِسَ الْعَبَاءَةَ وتَخَلَّى عَنِ الدُّنْيَا، قَالَ عليه السلام : يَا عُدَيَّ نَفْسه لَقَد اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ ـ الشيطان ـ ، أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ أَتَرَى اللَّه أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَات وهُوَ يَكْرَه أَنْ تَأْخُذَهَا أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّه مِنْ ذَلِكَ)[١٢].

رابعا:

السخاء: وهو الحال الوسط بين الإسراف والبخل، والإسراف هو بذل

الشيء في غير محله، والبخل عدم بذل الشيء فيما ينبغي بذله، والإسراف محرَّم لأن الشيطان اللعين يصور للإنسان بأن هذا جود وكرم إذا أسرف في البذل، وكذلك تصور البخل على أنه اقتصاد، وفي الحالين يقع الإنسان فريسة لحبائل الشيطان، وقد وصف القرآن الكريم حال المؤمنين في الإنفاق بقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا)(الفرقان:٦٧).

القسم الثالث:

السُنّة القائمة

وهذا العلم يعود إلى العلوم التعبدية وهي سنة مأخوذة من المعصوم عليه السلام وما يعبر عنها بقول المعصوم وفعله وتقريره والذي يطابق الحكم الواقعي الذي يريده الله في كافة الأمور التي يتعبد بها الإنسان في هذه الدنيا، ويحصل على نعيم الأبد، فالصلاة والصوم والحج والزكاة والخمس وغيرها يجب أن تطابق ما يقوله ويؤديه المعصوم عليه السلام وإلّا كانت فاسدة وكانت يوم القيامة هباءً منثورًا كما عبر القرآن بذلك، وعندها تظهر الحسرة الحقيقية والخسران الذي لا يجبره شيء لكل إنسان ترك المعصوم عليه السلام وتمسك بغيره.

وكما ذكرنا سلفاً أن بعض العلوم الدنيوية كعلم الطب والهندسة والفيزياء والكيمياء والتاريخ والفلك والجغرافية وغيرها، لا بأس بتعلمها وتعليمها إذا استخدمت للخير، بل أكثر من ذلك، فيمكن للإنسان أن يجعلها من الآية المحكمة في بيان عظمة الله سبحانه وقدرته، فيحصل الإيمان بالله والتسليم له والاعتقاد بالمعاد والثواب العظيم، فيندفع مثل هذا الإنسان نحو العمل الصالح وأداء الواجبات إلى آخر عمره، فيكون هذا العمل عليه خيرًا وبركة وتوفيقًا إلهيًا نحو الإيمان والحصول

على النعيم الأبدي.

وعلى هذا ينبغي لطلاب هذه العلوم أن يكونوا حذرين منتبهين في كيفية استخدامها واستثمارها في الخير، لئلا تكون وبالاً عليهم في الآخرة. وقد أتحفنا مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى حكمه حول العلم وفضله، وما ينبغي على طالب العلم أن يتصف به، بقوله: (يا طالبَ العلم، إنّ العلم ذو فضائل كثيرة: فرأسُه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، وأُذُنه الفهم، ولسانه الصِّدْق، وحفظه الفحص، وقلبُه حُسن النيّة، وعقله معرفة الأشياء والأمور، ويده الرحمة، ورِجلُه زيارة العلماء، وهمّته السلامة، وحكمته الورع، ومستقرّه النجاة، وقائده العافية، ومَركبُه الوفاء، وسلاحه لِين الكلمة، وسيفه الرضى، وقوسه المداراة، وجيشه محاورة العلماء، وماله الأدب، وذخيرته اجتناب النوب، وزاده المعروف، وماؤه الموادعة، ودليله الهدى، ورفيقه محبّة الأخيار)[13]، وإذا لم يكن فيه هذه الصفات فقد درس علمًا لا يضر من جهله ولا ينفع من علمه.

---

١. الكافي/للكليني/ج١ص٣٢.
٢.شرح أصول الكافي/محمد صالح المازندراني/ ج٢ ص٢٢.
٣.روضة الواعظين /الفتال النيسابوري / ص١١.
٤- الكافي/للكليني/ج١ص٤٣.
٥- المحجة البيضاء ٥\٩٣.
٦- البحار ٦٨\٣٩٤.
٧- جامع السعادات/النراقي/ج١ص٢٧١.
٨- الكافي/للكليني/ج١ص٣١.
٩- روضة الواعظين/الفتال النيسابوري/ص٤٦.
١٠- المقنعة/الشيخ المفيد/ص٥٩١.
١١- تفسير مجمع البيان/الطبرسي ج٩ص٤٠٢.
١٢- نهج البلاغة/صبحي الصالح/ص٣٢٤.
١٣- الكافي /للكليني/ج١ص٤٨.

فضل دعاء البهاء في السحر

قال الإمـام أبو جـعفر الباقر عليه السلام :

لو يعلم الناس من عظم هذه المسائل عند الله وسرعة إجابته لصاحبها لاقتتلوا عليها، ولو بالسيوف، والله يختص برحمته من يشاء.

وقال عليه السلام: لو حلفت لبررت أن اسم الله الأعظم قد دخل فيها، فإذا دعوتم فاجتهدوا في الدعاء فإنه من مكنون العلم، واكتموه إلّا من أهله، وليس من أهله المنافقون والمكذبون والجاحدون، وهو دعاء المباهلة.

إقبال الأعمال
السيد ابن طاووس/ ج١ ص١٧٥

الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام والامتحان الصعب

طالب علي الشرقي

تمهيد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والسلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أنصار الحسين؛ قال تبارك وتعالى: (**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**) (الزمر:٩)، ويقيناً أن من مصاديق هذه الآية الشريفة زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد تفرّد في عبادته وصدق توجهه فسمي زين العابدين، وحين رآه الناس لا يقوم من سجود إلا إلى سجود، سموه السجاد، وحين ارتفعت علامات السجود في جبهته سموه ذا الثفنات[١].

ولد في المدينة المنورة يوم الجمعة الخامس من شعبان سنة ٣٨هـ وكنيته أبو محمد، وألقابه كثير منها إضافة لما سبق: زين العابدين، وصي الوصيين، منار القانتين والخاشعين، المتهجد، الزاهد، العابد، العدل، البكاء، أبو الأئمة[٢].

عاش بعد أبيه الإمام الحسين عليه السلام ٣٤سنة وهي مدة إمامته، عاصر من ملوك بني أمية، يزيد بن معاوية، ومعاوية بن يزيد، ومروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك. وله من الأولاد اثنا عشر ولداً وأربع بنات، وكان نقش خاتمه: وما توفيقي إلا بالله. استشهد مسمومًا بأمر الوليد بن عبد الملك في الخامس والعشرين من المحرم سنة ٩٥هـ[٣]، ولكن ابن الصباغ المالكي يقول: توفي علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في الثاني من المحرم سنة ٩٤هـ[٤] وجاء في تقويم الشيعة: شهادة الإمام السجاد عليه السلام: في هذا اليوم ٢٥ محرم الحرام من سنة ٩٤ على المشهور أو ٩٥هـ وقيل ١٢محرم، ١٨محرم، ١٩محرم وله سبع وخمسون

سنة، عاش بعد أبيه خمساً وثلاثين سنة[٥].

واختلف الرواة والمؤرخون في اسم أُم الإمام ونسبها، فقال ابن قتيبة: يقال إن أمه سندية يقال لها سلافة، ويقال غزالة[٦].

وقال البلاذري: قالوا كانت أم علي بن الحسين سجستانية تدعى سلافة[٧].

وقال المبرد في الكامل: كان اسم أم علي بن الحسين سلافة من ولد يزدجر معروفة النسب، وقيل اسمها خولة[٨]، والمشهور إن اسمها شاه زنان ـ ملكة النساء ـ وهي إحدى بنات الملك الفارسي يزدجرد[٩] وعن جابر بن عبد الله أنه قال: .. أبو محمد علي بن الحسين العدل أمه شهر بانو بنت يزدجرد(١٠) وبعد كل ذلك يرى أحد المحققين أن أم الإمام السجاد عليه السلام عربية تيمية.

بزغ نجم الإمام زين العابدين عليه السلام في واقعة كربلاء التي تمثل بداية الامتحان الصعب له عليه السلام، بل الامتحان الذي لا يجتازه إلّا نبي أو وصي .. وكان السجاد عليه السلام مريضًا، فهل جاء مع أبيه وهو مريض أصلاً أم أنه مرض في وقت لاحق؟ فهو أثناء المعركة (كان مريضًا ملقىً على فراشه وقد أنهكته العلة والمرض، ولما قتل والده قال شمر بن ذي الجوشن: اقتلوا هذا الغلام، فقال بعض أصحابه: تقتل مريضًا لم يقاتل؟! فتركوه. قال ابن عمر: هذا هو الصحيح وليس قول من قال بأنه كان صغيرًا حينئذ لم يقاتل وأنه ترك بسبب ذلك)[١١]، وهذه النجاة الأولى من القتل. إنها من ثمار كربلاء، فيها تجلى دليل اللطف الإلهي بحفظ منزلة الإمامة بعد استشهاد الإمام السبط الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وذلك بسلامة شخص الإمام علي بن الحسين والتي تعد شبه مستحيلة، وتحسب في خانة الإعجاز، فالمواجهة لم يسلم منها أحد من جنود الحق، وقد نالت سيوف البغي والعدوان حتى الصبيان بل والرضيع ـ عبد الله ـ نجل الإمام الحسين عليه السلام ويبقى علي بن الحسين عليه السلام حيًا، كيف؟!

وبعد الزوال ارتحل عمر بن سعد إلى الكوفة ومعه نساء الحسين عليه السلام وصبيته وجواريه وعيالات الأصحاب ومعهنّ السجاد عليه السلام وعمره ثلاث وعشرون سنة وهو على بعير ضالع بغير وطاء، وقد أنهكته العلّة ومعه ولده الباقر عليه السلام وله سنتان وشهور. ومرّ الركب على ساحة المنازلة فارتعبت النساء ولطمن الوجوه ... أما علي بن الحسين عليه السلام فإنه قد عظم عليه ذلك واشتد قلقه، فلما تبينت ذلك منه زينب الكبرى، أهمها أمره فأخذت تسلّيه وتصبّره، وفيما قالت له: ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وإخوتي، فو الله إن هذا لعهد من الله إلى جدك وأبيك ... ووصل ركب السبايا إلى الكوفة[١٢].

وفي الكوفة، قال أبو مخنف ... عن حُميد بن مسلم قال: إني لقائم عند ابن زياد حين عرض عليه علي بن الحسين، فقال له: ما اسمك؟ قال: أنا علي بن الحسين. قال: أو لم يقتل الله علي بن الحسين؟ فسكت، فقال له ابن زياد: مالك لا تتكلم؟ قال: قد

كان لي أخ يقال له علي فقتله الناس، قال: إن الله قتله، قال: فسكت عليٌّ، فقال له: ما لك لا تتكلم؟ قال: إن الله يتوفى الأنفس حين موتها .. قال: أنت والله منهم، ويحك، انظروا هل أدرك؟ والله إني لأحسبه رجلاً، قال: فكشف عنه مُريّ بن معاذ الأحمري، فقال: نعم قد أدرك، فقال: اقتله. فقال علي بن الحسين: من توكل بهؤلاء النسوة؟ وتعلقت زينب عمته به، فقالت: يا ابن زياد حسبك منّا، أما رويت من دمائنا؟ قال: فاعتنقته وقالت: ... إن قتلته لمّا قتلتني معه. قال: فنظر إليها - ابن زياد - ساعة ثم نظر إلى القوم، فقال: عجبًا للرحم، والله إني لأظنها ودّت لو أني قتلته أني قتلتها معه، دعوا الغلام، انطلق مع نسائك[١٣]، وهذه النجاة الثانية، إنها إرادة الله سبحانه وتعالى وليست رغبة الفاجر ابن زياد فهو والرحمة على طرفي نقيض.

لقد رأى الإمام علي بن الحسين عليه السلام تفاصيل واقعة كربلاء منذ البداية حتى النهاية بأم عينه، ولله صبره، ولكن لشد ما مرّ به من موقف لا يطاق، وهو ينظر إلى ابن مرجانه وبيده العود ينكث ثنايا أبيه الحسين عليه السلام في قصر الإمارة في الكوفة، إنه من المفارقات التي يذم بها الدهر ...

وبدأ المسير إلى الشام بأمر من يزيد بن معاوية، وأمر عبيد الله بن زياد بعلي بن الحسين فغُلّ بغل إلى عنقه[١٤]، وسارت قافلة الأسرى يتقدمهم رأس الإمام الحسين عليه السلام ورؤوس من قتل معه إلى يزيد، وفي أول يوم من صفر دخلوا دمشق، فأوقفوهم على باب الساعات، وقد خرج الناس بالدفوف والبوقات وهم في فرح وسرور[١٥]. ترى ماذا فعل هذا المشهد بالإمام المنهك المريض ومن معه من النساء؟ إنها فعلة الجبناء مسلوبي القيم والأخلاق الإسلامية، فالسبايا أبناء العترة المطهرة، وليسوا من الديلم كما يزعم الظالمون.

وفي مجلس يزيد يواجه الإمام السجاد عليه السلام الأسير أصعب المواقف، فبعد سؤال وجواب وإفحام الطاغية بأجوبة الإمام، وثب رجل من أهل الشام، فقال: دعني أقتله، فألقت زينب عليها السلام نفسها عليه، وقالت: يا يزيد حسبك من دمائنا[١٦]، وهذه المرة الثالثة التي ينجو فيها الإمام عليه السلام من القتل، ليس بفضل من يزيد الغادر بل لأن الله تبارك وتعالى قضى بأن لا تخلو الأرض من حجة لله سبحانه.

وموقف صعب آخر حيث أمر يزيد بمنبر وخطيب يصعد ويذم الحسين عليه السلام وأباه، فصعد الخطيب المنبر ... ثم بالغ في ذم أمير المؤمنين والحسين الشهيد عليه السلام وأطنب في مدح معاوية ويزيد وذكرهما بكل جميل: فصاح به الإمام علي بن الحسين عليه السلام : ويلك أيها الخاطب، اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق فتبوّأ مقعدك من النار، وطلب أن يسمح له بارتقاء المنبر، وبعد إصرار الحضور على إعطائه فرصة الحديث، أذعن يزيد إلى طلبه، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم خطب خطبة أبكى فيها العيون وأوجل منها القلوب، وخشي يزيد أن

تكون فتنة، فأمر المؤذن فقطع عليه الكلام، ولما قال المؤذن .. أشهد أنّ محمداً رسول الله، التفت الإمام من فوق المنبر إلى يزيد فقال: محمد هذا جدّي أم جدّك يا يزيد؟ فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنه جدي فلم قتلت عترته[١٧]؟

وبعد أيام الامتحان العسير في شام آل أبي سفيان، توجه السجاد عليه السلام وبقية السبايا إلى مدينة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتحدث بحديث مليء باللوعة والمرارة والضغط النفسي الذي يتعدى حدود التحمل، يقول بعد خطبة شرح فيها ما حصل من قتل وسبي وإذلال: والله لو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصية بنا لما زادوا على ما فعلوا، وإنا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أعظمها وأفجعها وأكضها وأفظعها وأمرّها، فعند الله نحتسب مصابنا [١٨].

وعاش الإمام زين العابدين عليه السلام حياةً لا يحسد عليها، فكان الحزن والبكاء ديدنه، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: بكى علي بن الحسين عليه السلام عشرين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلا بكى، حتى قال مولى له: ... أما آن لحزنك أن ينقضي؟ فقال له: ويحك، إن يعقوب النبي كان له اثنا عشر ابنًا، فغيّب الله واحدًا منهم، فابيضت عيناه من كثرة البكاء عليه، وأحدودب ظهره من الغم، وكان ابنه حيًا في الدنيا، وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني[١٩]؟

ومع ذلك لم يتخل الإمام عليه السلام عن تفعيل دوره القيادي الشرعي في المجتمع، فحين رأى العبادة بين الناس طقوسًا تؤدى (روتينيًا) كعادة وليس كعبادة، دون إخلاص ونيّة، أراد تهذيبها، فقال: إني أكره أن أعبد الله ولا غرض إلّا ثوابه .. وأكره أن أعبده لخوف عذابه .. فقيل له: فبمَ تعبده؟ قال: أعبده لما هو أهله بأياديه وإنعامه[٢٠].

ولما بدأ الصراع الهائل بين أنصار الحزب المرواني والحزب الزبيري، كان هذا المناخ كفيلاً بأن يهب الإمام فرصته ذهبية وهو في بداية إمامته الشرعية، فتولى قيادته السياسية والعلمية .. واغتنم الفرصة على أحسن وجه، وتفرغ لمسؤوليته العلمية فأفتى وفسّر ودعا وشرّع وبيّن وأعرب، وحدب على مجموعة من تلامذته ييسّر الأحكام ويفسّر القرآن ويفقّه المتعلمين .. [٢١].

وفي الوقت الذي حُرمَ فيه الإمام من ارتقاء المنابر لتوعية الأمّة، ولم يقدَّر له تسلم مهام قيادته الإلهية بشكل كامل وهو بين سيف غاشم ومعتدٍ ظالم، فعمد إلى ما لا يستطيعون منه وهو التوجه إلى الله متوسلاً، وتنبيه المشاعر مورّيًا، وإنكار الطغيان والحرمان داعيًا .. [٢٢].

لقد واجه الإمام زين العابدين عليه السلام مجتمعًا مغلوبًا على أمره مستسلمًا لواقع انتقل إليه الترف وظهرت فيه مظاهر اللهو والمجون، مما صعب عليه الجهر بالإصلاح المنقذ من الانحدار في عهد حكام أبعد ما يكونون عن الخلق الإسلامي والجبلّة الإنسانية الخيّرة، لسوء معتقدهم وفساد منبتهم

كيزيد ومروان وعبد الملك بن مروان وشرطيّه الفاتك الحجاج بن يوسف الثقفي الذي يقول: واللّه ما أعلم اليوم رجلاً على ظهر الأرض هو أجرأ على دم مني، والوليد الذي قال عمر بن عبد العزيز عنه: إنّه ممن امتلأت الأرض به جورًا[٢٣]، ووصفه المسعودي بأنه كان جبارًا عنيدًا غشومًا[٢٤] وعلى يديه استشهد السجاد عليه السلام.

وعن المنهال بن عمر قال: دخلت على عليّ بن الحسين عليه السلام، فقلت: كيف أصبحت أصلحك اللّه؟ فقال: ما كنت أرى شيخاً من أهل المصر مثلك لا يدري كيف أصبحنا، فلما إذ لم تدر فسأخبرك: أصبحنا في قومنا بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون، إذ كانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، وأصبح شيخنا وسيّدنا يُتقرب إلى عدونا بشتمه وسبه على المنابر ..[٢٥].

إنها زفرة مهموم لا يقدر على الجهر بحقه والوقوف بوجه المعتدين الذين يملكون كل أنواع القوة والقهر.

وكانت الوسيلة التي وظّفها الإمام عليه السلام للتنفيس عن نفسه وبثّ شكواه إلى خالقه جل جلاله، ولنشر تعليماته ومفردات رسالته هي: الإكثار من الدعاء. (وأدعية الإمام عليه السلام برامج ثقافية للمعارف والأخلاق، وسلسلة رفيعة في الحكم والنصائح، ومجموعة فريدة في التوجيه والعرفان، وكتلة كبيرة من المواعظ والآداب)[٢٦].

وينسب إلى الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام قول الشعر، فإن صح فهو لا يعدو أن يكون تعبيرًا عن صور الابتلاء والصبر، ومن ذلك:

نحن بنو المصطفى ذو غصص
عظيمة في الأنامِ محنتنا
يفرح هذا الورى بعيدهمُ
يحكم فينا، والحكم فيه لنا
يجرعها في الأنام كاظمنا
أوّلنا مبتلى وآخرنا
ونحن أعيادنا مآتمنا
جاحدنا حقنا وغاصبنا[٢٧]

ثمة حقيقة لا يختلف عليها منصفان تفيد بأن واقعة كربلاء كانت سببًا مباشرًا لتحفيز المعارضين للنهضة ضد التسلط الأموي، حتى قامت جملة من الانتفاضات والثورات المسلحة على اختلاف أهدافها ونوايا قادتها، وكان الإمام السجاد عليه السلام يتحرّق إلى تأييد الصادقين من الثوار، ولكنه لا يريد إعطاء حجة للطغاة للفتك به وضياع فرصة التغيير العقائدي والاجتماعي والسياسي الذي تصدّى له، (إنه يختط منهجًا تمليه عليه طبيعة مكانته من الولاية الإلهية)[٢٨].

وعلى الرغم من تبني الإمام عليه السلام مبدأ الصفح والتسامح من أجل هدف عظيم لحمته وسداه الحفاظ على سلامة العقيدة، والإصلاح المنجي، وتحجيم سلطة الحاكم قدر المستطاع. إلّا أن الحقد الدفين والشعور بالضعف والخوف من تمكن الإمام من كسب جانب سواد الناس، والانقلاب على حكومة أبناء الطلقاء وطريدي رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم واجتثاث شأفتهم، فإن الخبيث المارق من الدين (الوليد بن عبد الملك بن مروان) أمر باغتيال الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام بالسّم، وقد تحقق له ما أراد،

فاستشهد الإمام في اليوم الخامس والعشرين من شهر المحرم الحرام سنة ٩٤ هـ على الأشهر.

١- علي محمد دخيّل/الإمام علي بن الحسين عليه السلام/ ص١٩.
٢- ابن شهر آشوب/ مناقب آل أبي طالب ٤: ١٧٥.
٣- علي دخيّل/ المصدر السابق/ص٩.
٤- ابن الصباغ/ الفصول المهمة/ص١٩٤.
٥- مؤسسة إحياء التراث الشيعي/ تقويم الشيعة/ ص٤١.
٦- ابن قتيبة/ المعارف/ص٢١٤.
٧- البلاذري/أنساب الأشراف/ص١٠٦.
٨- المصدر السابق/ ص١٠٦ هامش رقم ١.
٩- علي دخيّل/ الإمام علي بن الحسين/ص٩.
١٠- الشيخ الصدوق/ عيون أخبار الرضا A/١: ٤٨.
١١- ابن الصباغ/ الفصول المهمة/ص١٩٤.
١٢- السيد عبد الرزاق المقرم/مقتل الحسين A.
١٣- الطبري/تاريخ الطبري/٥: ٤٥٤.
١٤- البلاذري/أنساب الأشراف/ص٢٢١.
١٥- السيد المقرم/مقتل الحسين عليه السلام/ص٣٦٦-٣٦٧.
١٦- أبو الفرج الأصفهاني/مقاتل الطالبيين/ص٨٠.
١٧- علي دخيّل/الإمام علي بن الحسين عليه السلام/ص٤٥-٤٩.
١٨- المصدر السابق/ص٥٠-٥١.
١٩- ابن شهر آشوب/مناقب آل أبي طالب ٤: ١٦٦.
٢٠- أ. د. محمد حسين الصغير/ موسوعة أهل البيت الحضارية/ الإمام زين العابدين عليه السلام/ص٢٣.
٢١- أ. د. محمد حسين الصغير/ المصدر السابق/ ص٢٠.
٢٢- المصدر السابق /ص٥٥.
٢٣- السيوطي/تاريخ الخلفاء/ص٢٢٣.
٢٤- المسعودي/مروج الذهب/٣: ٩.
٢٥- ابن سعد/الطبقات الكبير/٥: ١٦٢-١٦٣.
٢٦- علي دخيّل/ الإمام علي بن الحسين A/ص٨٥.
٢٧- المصدر السابق/ص٩٩.
٢٨- أ. د. محمد حسين الصغير/ المصدر السابق/٧٥.

من وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام:

يا علي إن للمؤمن ثلاث علامات: الصيام. والصلاة. والزكاة.

وإن للمتكلف من الرجال ثلاث علامات: يتملق إذا شهد. ويغتاب إذا غاب. ويشمت بالمصيبة.

وللظالم ثلاث علامات: يقهر من دونه بالغلبة. ومن فوقه بالمعصية. ويظاهر الظلمة. للمرائي ثلاث علامات: ينشط إذا كان عند الناس. ويكسل إذا كان وحده. ويحب أن يحمد في جميع الأمور.

وللمنافق ثلاث علامات: إن حدث كذب. وإن ائتمن خان، وإن وعد أخلف.

وللكسلان ثلاث علامات: يتوانى حتى يفرط. ويفرط حتى يضيع. ويضيع حتى يأثم. وليس ينبغي للعاقل أن يكون شاخصًا إلّا في ثلاث: مرمة لمعاش (أي اصلاح لما يعيش به). أو خطوة لمعاد. أو لذة في غير محرم.

يا علي أربع خصال من الشقاء: جمود العين. وقساوة القلب. وبعد الأمل. وحب الدنيا.

يا علي إذا أثني عليك في وجهك فقل: اللهم اجعلني خيرًا مما يظنون واغفر لي مالا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون.

(تحف العقول/ابن شعبة الحراني/ص١٠)

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

س الصائم ندبًا يستحب له الإفطار إذا دعاه مؤمن، فهل يستحب ذلك إذا كان الصوم واجبًا غير معين؟

ج **نعم يستحب، إلّا أنه لا يجزيه، بل لابد من أن يصوم يومًا بدله.**

س إذا كان الإنسان مطالبًا بالخمس لعدة سنوات ولا يدفعه، وصار لديه مبلغ يكفي إما للحج مع بقاء جميع الخمس أو بعضه في ذمته، وإما للخمس من دون حج، وهو بانٍ على عدم التخميس، فهل يجب عليه الحج ويستقر في ذمته لو تركه أم لا؟

ج **لم يستقر الحج في ذمته في الحالة المذكورة.**

س امـرأة توفيـت فـي حـادث حريـق وتدّعـي فـي حياتهـا أن ممتلكاتهـا مخمسـة، فهـل يكفـي هـذا أم يجـب علـى الورثـة تخميسـها؟

ج **لا يجب على الورثة التخميس.**

س مـا هـو الحكـم الشـرعي لشـخص يسـكن فـي بيـت والـده وهـو غيـر مـؤدٍ للحقـوق الشـرعية بالنسـبة لصلاتـه وصيامـه وسـكنه فـي ذلـك المسـكن، مـع العلـم أنـه ملتـزم شـرعيًا ولا يملـك القـدرة للعيـش خـارج المسـكن؟

ج **يجوز له السكنى في بيت والده حتى في الحالة المذكورة.**

س زيـد عنـده بضاعـة تعلـق بهـا الخمـس، وقيمتهـا فـي بلـد زيـد تسـاوي ألـف دولار، وفـي بلـد آخـر يبعـد عـن بلـده كيلومترين قيمـة البضاعة ألفـا دولار، فهـل يكفـي إخـراج الخمـس بلحـاظ قيمـة البلـد أم لابـد مـن إخـراج الخمس بلحـاظ قيمـة البلـد المجـاور لبلـده، بـل تتفـاوت القيمـة فـي البلـد الواحـد بيـن منطقـة السـوق والمناطـق الراقيـة، وبيـن سـعر المفـرد والجملـة، فمـا هـي القيمـة المعتبـرة فـي الخمـس؟

ج **تحسب القيمة بحسب مكان المكلف، وأما من جهة المفرد والجملة فالموجود عند المكلف إذا كان الجملة فلابد أن يحسب بسعر الجملة، وأما إذا كان الموجود عنده أعداد قليلة فإن أمكن القسمة فاللازم القسمة، وإن لم يمكن القسمة فاللازم التصالح مع الحاكم الشرعي لتحديد السعر أو احتسابها بالسعر الأعلى.**

س شـاع مؤخـرًا وعلـى ألسـنة بعـض الخطبـاء خصوصًـا فـي البصـرة أنـه يجب اسـتخراج مـا يسـمى مخمـس زكاة الفطـرة ويضاف إلـى زكاة الفطـرة، وأنه هنـاك روايـة عـن أئمـة أهـل البيـت (ع) أن زكاة الفطـرة إذا لـم تكن مخمسـة بالخمـس المذكـور تبقـى معلقـة بين السـماء والأرض.
ما صحة هذا الأمر في الشريعة المقدسة؟ وهل توجد مثل هذه الرواية؟

ج **لا توجد مثل هذه الرواية ولا يجب تخميس زكاة الفطرة إذا أخرجها المكلف من المال الذي ربحه خلال هذه السنة كما هو المتعارف.**

س

إذا استلمت من شخص شيكًا بمبلغ أستحقه عليه ولم أصرف الشيك، ثم جاءت رأس سنتي، فهل يجب أن أخمس مقدار هذا الشيك؟ وعلى فرض أن تاريخ الشيك مؤجل إلى شهر مثلًا، فمتى يجب عليَّ تخميسه؟ ولو فرضنا أني أخرجت خمسه قبل سحب الشيك وحين صرف الشيك لم يكن في رصيده مال فما هو الحكم؟

ج

إن الشيك مستحقًا كان ما يقابله من الفوائد التي يجب تخميسها عند حلول رأس السنة، غايته أنه لا يجب التعجيل بإخراج الخمس إذا تعذر قبضه عند حلول رأس السنة، بل يجوز تأخير تخميسه كما هو الحال في سائر الديون المستحقة على الناس، ولو عجل بإخراج خمسه كفاه ذلك من تخميسه عند قبضه سواءً قبضه عن طريق الشيك أم غيره كما لو لم يكن للشيك رصيد مقابل، واستلمه عن طريق آخر، أما لو لم يقبضه أصلاً، فالخمس الذي دفعه يكون هدرًا، وإن كان قادراً على قبضه عند حلول رأس السنة أو قبله لكنه رضي بالشيك فيجب عليه المبادرة بالتخميس. هذا ولو لم يكن الشيك مستحقًا شرعًا كالمدفوع هدية أو نحوها فلا يكون مقابله من الفوائد إلّا بعد قبضه، فهو من فوائد سنة قبضه، لا فوائد سنة استلام الشيك.

س

حلّت رأس السنة وكان عند شخص مثلًا (٥٠ ألف دينار) وخمّسها، وكان الباقي لديه (٤٠ ألف دينار) مخمسة، والآن حلت رأس السنة الثانية وكان الفائض السنوي لديه (٤٠ ألف دينار)؟

أ ـ فهل عليه اخراج خمسها إذا صرف الـ (٤٠ ألف)، المخمسة التي كانت عنده من السنة السابقة؟

ب ـ إذا كان الفائض (٦٠ ألف) وليس (٤٠ ألف) فهل يطرح الـ (٤٠ ألف) السابقة من الـ (٦٠ ألف) وتخميس الـ (٢٠ ألف) أم يخمس الـ (٦٠ ألف) كلها؟

جـ ـ إذا كان الفائض (٢٠ ألف) عند حلول السنة الثالثة، فهل عليه أن يخمس هذا المقدار لأنه قلّ عن المبلغ المثبت في سجله الخاص؟

ج

أـ لا يجب عليه تخميسها في مفروض السؤال.

ب ـ نعم يطرحها ويخمس عشرين ألف دينار.

جـ ـ يجب تخميس ما يزيد على رأس ماله المخمس، وتوضيح الجواب يحتاج إلى شرح شفوي.

س بعض المؤمنين يعملون في محلات يباع فيها الخمر ولحم الخنزير، يعني محلات فيها أمور محللة وأمور محرمة، فما حكم الأجرة التي يتقاضونها هل هي محرمة أم محللة؟ وهل يجب فيها الخمس (خمس المال المختلط بالحرام)؟ وهل هناك فرق في الحكم بين الموظف وصاحب المحل؟

ج **الأجرة التي يتقاضونها حلال لهم، إلّا أن يكون قسم منها معينًا في مقابل عمل محرم، فيحرم. أما مجرّد استئجار الشخص ليعمل في المحل من دون تعيين نوع العمل مع اشتمال المحل على بعض الأعمال المحرمة فهو لا يوجب حرمة شيء من الأجرة. نعم لا يجوز للأجير القيام بالعمل المحرم ومباشرته بنفسه.**

س الحاجيات التي لم تستعمل وعند اقتراب سنتها استعملت لا عن حاجة وإنما للفرار من الخمس، فهل يُسقِط هذا الاستعمال، الخمس عنها؟

ج **إذا كان استعمالها بالوجه المتعارف بنحو يناسبه المقام سقط الخمس.**

س هل يجب الخمس في الكتب التي اشتريتها من أجل الاقتناء ولم تستعمل حتى مرّت عليها سنة أو أكثر؟

ج **نعم يجب الخمس.**

س تَطلُب مني بعض المؤسسات الأهلية وليست الحكومية رقم حسابي البنكي لإنزال بعض المساعدات المالية فيه. فأقوم بإعطائهم رقم حسابي البنكي، فيقوموا بإنزال المبلغ فيه (علماً بأنه بنك أجنبي)، هل بمجرد نزول المبلغ في حسابي البنكي (بحيث أستطيع سحبه في أي وقت أشاء) يدخل في ملكيتي، أي أنه: هل يكون نزول المبلغ في الحساب البنكي بمنزلة القبض في مفروض السؤال؟ أم أنه يحتاج إلى القبض باليد لكي يدخل في ملكيتي؟

ج **يكفي ذلك في تحقق القبض في الموردين.**

زواج الكتابية من منظور حديثيّ

محمد دعيبل
كاتب وإعلامي

تمهيد

لاريب أن التشريع الإسلامي يدور مدار المصالح والمفاسد، كما قررته فلسفة التشريع في الإسلام، كونه الدستور الخالد الذي أنزله الله، بغية سعادة البشرية في داريّ الدنيا والآخرة، سعيًا إلى التكامل والفوز برضوانه عز وجل، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم.

ثم إن المطلع على كُتب ورسائل الفقهاء يرى جليًا وقوع الخلاف بالقول في مسالة نكاح الكتابية، ويمكن حصر آرائهم على ثلاثة أقوال، ولذا ارتأينا أن نقسم الموضوع إلى مطلبين:

المطلب الاول: الروايات الفقهية، وفيه:

الفقرة الأولى: روايات المنع، وهي:

أولًا: صحيحة زرارة عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: (لا ينبغي نكاح أهل الكتاب)[1]، قلت: وأين تحريمه؟ قال: قوله تعالى: **(وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ)**(الممتحنة:١٠).

ثانيًا: صحيحة ابن سنان عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: (وما أحبّ للرجل المسلم أن يتزوّج اليهوديّة ولا النصرانيّة مخافة أن يتهوّد ولده أو يتنصّر)[2].

ثالثًا: خبر محمد بن مسلم عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: (سألته عن نصارى العرب أتؤكل ذبائحهم؟ فقال: (كان عليّ عليه السلام ينهى عن ذبائحهم وعن صيدهم وعن مناكحتهم)[3].

رابعًا: خبر أبي بصير، قال: سألت الإمام أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن تزويج اليهوديّة والنصرانية؟ قال: (لا)[4].

الفقرة الثانية: روايات الترخيص:

على نقيض ما تقدم من روايات المنع ثمة روايات قد ذكرتها العديد من الكتب الحديثية أشارت إلى الترخيص في مسالة نكاح الكتابية، إلّا أن منها ما أشار إلى نوع آخر من أنواع الزواج، وهو زواج المتعة، أي الزواج المنقطع وهو كالزواج الدائم إلّا أنه يختلف عنه بالصيغة فضلًا عن كونه ذا مدة محدودة، إلا أن هذه الروايات تختلف عن سابقتها من ناحية السند.

ونورد تلك الروايات كما يلي:

أولًا: خبر التفليسيّ عن الإمام الرّضا عليه السلام: (يتمتّع الرجل من اليهوديّة والنصرانيّة))؟ قال: (يتمتّع من الحرّة المؤمنة وهي أعظم حرمة منها)[5].

ثانيًا: خبر زرارة: (سمعته عليه السلام يقول: (لا بأس أن يتزوج اليهوديّة والنصرانيّة متعةً وعنده امرأة)[6].

ثالثًا: موثقة الأشعري: (سألته عن الرجل

يتمتّع من اليهوديّة والنصرانيّة، قال: لا أرى بذلك بأساً)[٧].

رابعًا: مرسلة ابن فضّال عن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام: (لا بأس أن يتمتّع الرجل باليهوديّة والنصرانيّة وعنده حرّة)[٨].

المطلب الثاني: فقه الحديث.. وفيه: أقوال الفقهاء على اختلافها، مع تقريب الاستدلال بتلك الروايات، وبيان الأقرب منها للصحة، مع بيان القول الفصل والحكمة من التشريع.

إن القراءة الأولية للروايات أعلاه تبين من خلالها التعارض الذي يتحقق من الجوانب التالية: الصدور والظهور والجهة، ولذا انقسم الفقهاء إلى ثلاثة أقسام في القول في الموضوع

وكل قسم له استدلاله، وكما يلي:

أولًا: المنع مطلقاً، وهو قول المفيد والمرتضى وابن إدريس والطبرسي والمقداد والحرّ العامليّ، واعتمد عليه أبو العباس واختاره فخر المحققين من الشيعة الإماميّة. كما ذهب إليه الهادي والقاسم والنفس الزكيّة.

ثانيًا: التفصيل بين المتعة والدائم، بتجويز الأوّل ومنع الثاني؛ وهو المشهور بين الإماميّة؛ فممّن ذهب إليه الطوسي وأبو الصّلاح وابن البرّاج وسلاّر والعلامة والمحقق والشهيد الأوّل[٩]، وحجتهم الاستدلال بالروايات التي أفادت المنع.

١- صحيحة زرارة الواردة الذكر أعلاه.

تقريب الاستدلال: قوله عليه السلام (لا ينبغي.....) تفيد المنع، وعند سؤال زرارة للإمام عليه السلام عن وجه التحريم استدل بالآية (وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ)، مبينًا أن أهل الكتاب يعدون كفارًا. والرواية صحيحة السند كما ذكر، وقد استدل بالحرمة بالكتاب والحديث مع أن الرواية هي التي فسرت الآية الشريفة[١٠].

٢- صحيحة ابن سنان عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام.

تقريب الاستدلال: مع أن الرواية صحيحة السند، فإن قوله: (ما أحب،،، الخ الحديث). وإن كانت غير صريحة في الحرمة إلّا أن ذيل الحديث يُفهم منه الحرمة، وذلك من خلال قوله عليه السلام: (مخافة أن يتهوّد ولده أو يتنصّر) علة للمنع[١١].

٣- خبر محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام.

تقريب الاستدلال: قوله (كان عليٌّ ينهى....) ظاهر في الحرمة إلّا أنه يمكن أن يستفاد من الحديث الكراهية الشديدة[١٢].

٤- خبر أبي بصير، قال: سألت الإمام أبا عبدالله الصادق عليه السلام....الخ الحديث.

تقريب الاستدلال: قال: (لا) تفيد المنع أو الحرمة[١٣].

الرد على روايات الترخيص:

يرى من يذهب إلى الحرمة، أن روايات الترخيص لا تصل إلى مرتبة روايات المنع[١٤] كون أن روايات المنع أغلبها صحيحة السند، ومع فرض التعارض من جهة الصدور والظهور في الحرمة وأنها لم تصدر تقية لعدم وجود قرينة تشير إلى ذلك، يمكننا حل ذلك من خلال ما يلي:

١- الرجوع إلى الكتاب الكريم:

- قوله تعالى: **(وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَـئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ)**

(البقرة:٢٢١).

- قوله تعالى: (**وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ**) (الممتحنة:١٠).

- وقوله تعالى: (**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً**)(الروم:٢١)، بضميمة قوله تعالى: (**لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ**) (المجادلة:٢٢).

تقريب الاستدلال: ذكر المفسرون[١٥] أن أهل الكتاب يصدق عليهم تعبير الكفر أو الشرك، كما تقدم في تفسير الكوافر في صحيحة زرارة، معارضةً الروايات لآراء العامة الذين يفتي فقهاؤهم بالجواز[١٦].

النتيجة: مما تقدم يظهر دليل الحرمة عند القسم الأول من الفقهاء.

٢-الجواز مطلقاً؛

وهو قول جمهور أهل السنّة بأجمعهم. كما قال ابن قدامة الحنبلي: (ليس بين أهل العلم بحمد الله اختلاف في حلّ حرائر نساء أهل الكتاب، وممّن روي عنه عمر وعثمان وطلحة وحذيفة وسلمان وجابر وغيرهم. قال ابن المنذر: ولا يصحّ عن أحد من الأوائل أنّه حرّم ذلك. وروى الخلال بإسناده أنّ حذيفة وطلحة والجارود بن المعلى وأذينة العبدي تزوّجوا نساءً من أهل الكتاب[١٧]. وبه قال سائر أهل العلم، وحرّمته الإماميّة ومن هذا ظهر انفراد الإماميّة بالمنع. كما صرّح بذلك المرتضى؛ حيث قال: (وممّا انفردت به الإماميّة حظر نكاح الكتابيّات، وباقي الفقهاء يجيزون ذلك)[١٨]. وحجتهم بذلك أن الصحابة قد تزوجوا من الكتابيات.

ثالثًا: القول بالتفصيل: إذ أن مقتضى الجمع بين هذه الأخبار حمل المنع على الزواج الدائم، وحمل الجواز على المتعة[١٩].

استدلّ أنصار نظرية التفصيل هنا بدليلين اثنين: الكتاب والسنّة، إلى جانب الشهرة. والذي يهمنا في المقام هو السنة الشريفة، ونبينها كما يلي:

أولًا: خبر زرارة: (سمعته عليه السلام يقول: لا بأس أن يتزوج اليهوديّة والنصرانيّة).

تقريب الاستدلال: لتقريب الاستدلال بالروايات نقول.

١- الحديث مضمر، وبما أن الخبر عن زرارة، فيرتفع الإضمار بناء على القواعد الحديثية.

٢- الرواية صريحة في نكاح المتعة لا الدائم، كما هو واضح من اللفظ ومن خلال قوله لابأس التي تشير إلى الجواز.

ثانيًا: موثقة الأشعري في الطائفة الثانية من الروايات.

تقريب الاستدلال: بالنسبة لموثقة الأشعري فمن ناحية السند مقبولة، بسبب التوثيق، ومرسلة ابن فضال بمنزلة الصحيح، يستدل منها كسابقتها على التصريح بالجواز متعة من خلال كلمة لا بأس.

٣- أما الكلام في خبر التفليسي فنقول.

تقريب الاستدلال: أن الخبر لا ينهى عن نكاح الكتابية بل يبين الفارق بين المؤمنة والكتابية من باب الأفضلية وهو ظاهر في الجواز أيضا.

القول الفصل:

مما تقدم فإن الإنصاف مع النظرية الثالثة - مع كون المشهور خلافها - من أوضح النظريات الفقهية، لما يُستدلّ به عليها، لكنّ المفترض لفت النظر إلى بعض الأمور:

أولاً: إنّ عمومات التجويز ليست دليلاً مستقلاً هنا، بل هي من نوع الأصول، بمعنى أنه لمّا لم يُحرز الخروج عن ذلك بأدلّة المانعين والمفصّلين يبقى في مكانه شاملاً للكتابيّات. والظاهر أنّ مرادهم من عمومات تجويز النكاح هو إطلاق آيات النكاح دون التخصيص، إلّا أن التخصيص واضح في روايات الطائفة الثانية.

هذا حول عمومات الكتاب، أمّا عمومات السنّة في الروايات الاخرى- روايات الجواز- ، فالمهم منها بصدد بيان شرعيّة أصل النكاح واستحبابه في الجملة؛ لذا لزم البحث عن أدلّة أخرى لموضوعنا هنا[٢٠].

ثانيًا: فك التعارض:

بقي على أصحاب التفصيل فك التعارض بين الروايات المتعارضة، اذ يمكن أن يقال: إنّ مجموعة الجواز من الروايات واردة مورد التقيّة؛ لأنّ القول بالجواز المطلق متّفق عليه بين أهل السنة، وردهم هنا هو: لا مجال لحمل روايات الجواز على التقية لأن أبناء العامة يرفضون النكاح المنقطع بالجملة[٢١].

حكمة جواز نكاح الكتابيّة بالعقد المنقطع:

هنا سؤال يجدر الجواب عنه: لماذا يجوز نكاح الكتابيّة متعة مع أنه لا يجوز نكاحها بالعقد الدائم؟ ولابدّ من فهم الحكمة في ذلك أن ننظر في الحقائق التالية:

١ ـ إنّ للزوج رئاسة الأسرة والقوامة على الزوجة والسلطة الأدبيّة عليها في كل شرائع العالم وقوانينه، وله القدرة على التأثير عليها في أفكارها واتجاهاتها أكثر ممّا للمرأة على الرجل في الأعمّ الأغلب النابع من طبيعة المرأة على السواء وبذلك لا يضر اختلاف الدين بينهما[٢٢].

٢ ـ إنّ الإسلام يذعن بالديانتين اليهوديّة والنصرانيّة ويعترف بأنهما من عند اللّه سبحانه، وأمّا الديانتان اليهوديّة والنصرانيّة المحرفتان فلا تعترفان بديانة الإسلام، ولا تذعنان بأنها من عند اللّه سبحانه، بل تقولان فيها: إنها مختلقة من عند محمد، ولذا لا تمنعان أتباعهما من القول فيها وإظهار التكذيب لها مع الإمكان. ومن هنا فإن نكاح الكتابية متعة هو من باب ثقافة التسامح بين الأمم والمجتمعات لبيان أن دين الإسلام دين محبة ووئام[٢٣]. .

٣- لهذا بادرت الشريعة إلى سدّ هذه الذريعة؛ فحرّمت زواج المسلمة بغير المسلم ولم تفرّق بين وثنيّ وكتابيّ؛ لأنّ العلّة واحدة فيهما معاً؛ فليس تعصّباً ولا أنانيّة ولا استعلاءً على النّاس أن يبيح الإسلام للرّجل المسلم أن يتزوّج المرأة الكتابيّة، ولا يبيح للرّجل الكتابيّ أن يتزوّج المرأة المسلمة، بل هو تقدير دقيق لكل حالة من الحالتين، ولو أمعن النّظر فيهما ذو رأي غير متعصّب لما خرج إلاّ بهذا الحكم[٢٤].

٤- لعل جواز نكاح الكتابية بالمنقطع لسد حاجة الرجل الجنسية في حالة السفر إلى بلاد الروم، وهو تأكيد على مشروعية نكاح المتعة كما يراه الإمامية، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (لولا تحريم عمر لزواج المتعة لأمرت به، ثم ما زنا إلّا شقيّ)[٢٥].

الخاتمة

يمكن لنا مما تقدم استنتاج ما يلي:

١- وقع الخلاف بين الفقهاء في مسالة نكاح الكتابية وعلى ثلاثة آراء، الجواز والمنع والتفصيل.

٢- إن رفض أبناء العامة نظرية التفصيل هو عدم إيمانهم بمشروعية النكاح المنقطع.

٣- إن القائلين بالمنع استدلوا بالكتاب العزيز، وآيات الكتاب صريحة في المنع من المشركين والكفار وأهل الكتاب خارجين تخصصًا.

٤- إن الأصح من تلكم الأقوال هو نظرية التفصيل، لما بيّنا من الأدلة والحكمة من ذلك.

والحق أن ما ذكرناه ما هو إلّا غيض من فيض، ولعل الحكمة التي تجمع كل تلك التشريعات هي التي بينتها الآية الشريفة بكل وضوح، وهي الاستقرار والمودة والرحمة على المستوى الاجتماعي، كما في قوله تعالى: (**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**)(الروم:٢١).

١- الحر العاملي :وسائل الشيعة/٣٣/١٠.

٢- ن.م/٣٤/١٠.

٣- ن.م.

٤- ن.م.

٥- ن.م/٣٩/١٠.

٦- ن.م.

٧- ن.م.

٨- ن.م.

٩- محمد جواد مغنية : الفقه على المذاهب الخمسة، ص ١٢٠.

١٠- الطوسي: تهذيب الاحكام، ٤٤/٣.

١١- ن.م.

١٢- الطوسي: المبسوط في الفقه، ٢١٠/٣.

١٣- ن.م.

١٤- ن.م/ص٢١١.

١٥- الطباطبائي: الميزان ، ١٢٢/٨.

١٦- محمد جواد مغنية: الفقه على المذاهب الخمسة، ص١٢٢.

١٧- البخاري: صحيح البخاري ، ٣٣/١٠.

١٨- الفقه على المذاهب الخمسة، ص١٢٣.

١٩- الطوسي: الاستبصار، ١٣/٣.

٢٠- تهذيب الأحكام :١٥/٣.

٢١- ن.م.

٢٢- الصدوق :علل الشرائع، ص ٢٢٢.

٢٣- المقدس الغريفي: حدود الإساءة للإسلام رسالتي إلى بابا الفاتيكان والعالم ص٦٣٣.

٢٤- علل الشرائع، ص٢٢٤.

٢٥- محمد الريشهري: منتخب ميزان الحكمة، ص ٤٠٤.

ما يكره للصائم

يكره للصائم ملامسة النساء وتقبيلهن وملاعبتهن....ويكره للصائم الاكتحال بما يصل طعمه أو رائحته إلى الحلق كالصبر والمسك، وإخراج الدم المضعف، والدخول للحمام إذا خشي الضعف، وشمّ كل نبت طيب الريح، وبلّ الثوب على الجسد، وجلوس المرأة في الماء، والحُقنة بالجامد، وقلع الضرس بل مطلق إدماء الفم، والسواك بالعود الرطب، والمضمضة عبثًا، وإنشاد الشعر، إلّا في مراثي الأئمة عليهم السلام ومدائحهم. وفي الخبر:

(إذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم عن الكذب، وغضّوا أبصاركم، ولا تنازعوا، ولا تحاسدوا، ولا تغتابوا، ولا تماروا، ولا تباشروا، ولا تخالفوا، ولا تغضبوا، ولا تسابّوا، ولا تشاتموا، ولا تنابزوا، ولا تجادلوا، ولا تباذّوا، ولا تظلموا، ولا تسافهوا، ولا تزاجروا، ولا تغفلوا عن ذكر الله تعالى . . . الحديث).

(منهاج الصالحين/ المرجع الكبير السيد الحكيم/ ج١ ص٣٣٢)

فضائل أهل البيت عليهم السلام في كتب المحدّثين السُنَّة

الحافظ السيوطي نموذجاً

دراسة وتحليل

سكرتير التحرير

بداية ورد في تراث أئمة أهل الحديث من الرسائل والكتب والمدونات الشيء الكثير مما فيه الحديث عن فضائل أهل البيت عليهم السلام. فقد كتبت فيه العديد من البحوث والمدونات التي جمعت مناقب أهل البيت والسيدة الزهراء عليها السلام على يد كثير من المحدثين السنة فضلاً عن أهل العلم والحديث عند الشيعة.

وممن كتب من جمهور المحدثين العامة وأعلامهم أحمد بن حنبل والنسائي وأبو نعيم الأصبهاني والشيخ محمد بن إبراهيم الجويني الشافعي في فرائد السمطين، وأيضاً علي بن عمر بن الدار قطني الذي كتب كتاباً أسماه مسند فاطمة عليها السلام، وموفق بن أحمد الخطيب الخوارزمي في فضائل أهل البيت، وابن المغازلي في المناقب،

والمالكي في الفصول المهمة، وصاحب ذخائر العقبى وغيرهم، ومنهم من لم يفرد في ذلك بل جعلها في ثنايا كتبهم، كما في الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي الشافعي وغيره، ومن قبل هذا كله هو ما ورد في الصحاح من الآثار والأحاديث المعتبرة الواردة في فضائل أهل البيت عليهم السلام وهي صحيح البخاري وصحيح مسلم والترمذي ومسند أبي داود[1].

ويكشف اهتمام المحدثين وأهل العلم وأئمة الحديث بذلك عن سعة واستفاضة وتواتر الموروث المختص بأهل البيت عليهم السلام ومناقبهم، ومما كتب في هذا المجال هو ما ورد عن الحافظ السيوطي في رسالته المسماة (إحياء الميْت بفضائل أهل البيت عليهم السلام[2]، وهو أثر نفيس من فضائلهم التي لا تعد ولا تحصى.

الحافظ السيوطي هو عبد الرحمن بن أبي بكر المصري السيوطي الشافعي، إمام حافظ، مؤرخ أديب، مشارك في أنواع العلوم، نشأ بالقاهرة وقرأ على جماعة من أعلام المحدثين، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه فألف الكثير من الكتب، فبلغت مؤلفاته ما يقارب ٥٠٠ مؤلف وهو متوفى سنة (٩١١هـ)[3].

دراسة مضمون ومحتوى

رسالة (إحياء الميْت بفضائل أهل البيْت عليهم السلام)

ورد في هذه الرسالة (٦٠) حديثاً مرويًا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد جمعها السيوطي من مصادر مهمة متعددة، وهذه الأحاديث تم الإشارة فيها إلى مضامين مختلفة ودلالات جمعناها بالشكل التالي باختصار **وقسمناها على طوائف:**

١ـ تم ذكر القربى في الحديث الأول والثاني، منها ما ورد على لسان سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) الراوي للحديث الأول في تفسير قوله تعالى: (**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**)(الشورى:٢٣) قال: قربى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي الحديث الثاني عن ابن عباس (قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وولداهما).

وكما ترى فالحديث الثاني صريح بذكر الأسماء وإنّ مَن سواهم ليسوا من قرابة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما هو مضمون الحديث الأول.

٢ـ ورد التركيز في بعض الأحاديث على الحب والبغض، كما في الأحاديث رقم (٤، ٩، ١١، ١٣، ١٤، ١٥، ١٩، ٢٨، ٥٠)، ومضمون هذه الأحاديث هو أن المبغض لهم منافق ويدخل النار ولو صلى

وصام، وفي بعضها يحشر يهودياً يوم القيامة، وفي بعضها ذكرت المحبة لهم صلوات الله عليهم وجعلها أساس الإسلام، ومنها (لا يدخل قلب المرء المسلم إيمان حتى يحبكم لله ولقرابتي).

٣ـ من الأحاديث ما ورد في الإشارة إلى حق العترة إضافة إلى ذكر المودة، كما في الحديث رقم (١٨) أو الحديث (١٦)، والحديث الثالث مضمونه على أن مودة آل محمد حسنة.

٤ـ التذكير بأهل البيت عليهم السلام كما ورد في الأحاديث (٥، ١٠، ١٧)، ومضمونها أذكركم الله بأهل بيتي، أو نحو: اخلفوني في أهل بيتي، أو ارقبوا محمداً ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في أهل بيته.

٥ـ أهل البيت أمان لأمتي، كما ورد ذلك في الحديث (٢١) وفي الحديث (٣٥)، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف.

٦ـ الحث من النبي صلى الله عليه وآله وسلم على التمسك بالكتاب والعترة، وهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض كما في الحديث رقم (٦، ٧، ٨، ٢٢، ٢٣، ٤٠، ٥٥، ٥٦)، وفي الحديث ٤٥ قوله (ص): (أول من يرد عليّ الحوض أهل بيتي).

٧ـ أهل بيتي كسفينة نوح، كما في الحديث (٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧).

٨ـ الأحاديث الدالة على أنه (ص) هو ولي أولاد فاطمة صلوات الله عليهم، كما في الحديث (٣٠) وآخر مشابه له في الحديث (٣١) ونصه قال صلى الله عليه وآله وسلم: (كل بني أم ينتمون إلى عصبة[٤] ينتمون إليها، إلا وَلَدَيْ فاطمة فأنا وليهما وعصبتهما).

٩ـ الأحاديث الدالة على السبب والنسب في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما في الحديث (٣٢، ٣٣، ٣٤).

١٠ـ أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم من أقر منهم بالتوحيد لا يعذب، كما في الحديث (٣٦)، وأيضًا الحديث (٣٧) من رضاه صلى الله عليه وآله وسلم، لقوله تعالى: (**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**)، أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار، وما ورد بشأن فاطمة عليها السلام إنها أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار، كما في الحديث (٣٨) وفي الحديث (٣٩) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة عليها السلام: (إن الله غير معذبك وولدك)، وهذه الأحاديث تنسجم مع بعضها، من كون الموحدين لا يعذبون.

١١ـ حبهم عليهم السلام يستلزم الشفاعة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (شفاعتي لأمتي من أحب أهل بيتي)، الحديث (٤١) وفي الحديث (٤٨): أربعة يشفع لهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة، المكرم لذريته، والقاضي لهم الحوائج، والساعي لهم في أمورهم، والمحب لهم بقلبه ولسانه).

وفي الحديث(٤٢): (أول من أشفع له من أمتي أهل بيتي)، وفي الحديث (٥٤) قال صلى الله عليه وآله وسلم: (من صنع إلى أحدٍ من أهل بيتي يداً كافأته يوم القيامة).

١٢ـ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسأل عن القرآن والعترة، كما في الحديث (٤٣) والحديث (٤٤)، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله فيما أنفقه، ومن أين اكتسبه، وعن محبتنا أهل البيت).

وفي الحديث (٤٦) يحث النبي صلى الله عليه وآله وسلم

على محبته ومحبة أهل البيت عليهم السلام، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وعلى قراءة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه)، وفي الحديث (٤٧): (أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتي وأصحابي).

١٣ـ في الحديث (٤٩) قال صلى الله عليه وآله وسلم: (اشتد غضب الله على من آذاني في عترتي)، وفي الحديث (٥٠) قال صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله يبغض الآكل فوق شبعه، والغافل عن طاعة ربه، والتارك لسنة نبيه، والمبغض عترة نبيه، والمؤذي جيرانه).

١٤ـ من استحل حرمة أهل البيت عليهم السلام فهو ملعون، كما في الحديث (٥٧، ٥٨) وفي الحديث (٥٩): (ثلاث من حفظهن حفظ الله له دينه ودنياه، ومن ضيعهن لم يحفظ الله له شيئاً، حرمة الإسلام وحرمتي وحرمة رحمي).

وعند ملاحظة هذه المجموعات والطوائف من الأحاديث نرى الاختلاف والتعدد في مفاهيمها ودلالاتها ولعلها تعبر عن مواقف مختلفة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ظهرت بشكل تعبيرات متغايرة لكنها جميعا تتحدث عن وحدة واحدة وفكرة ثانية من صميم الإسلام ألا وهي التعريف بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم والوصية بهم والاعتراف بحقهم. هذه الفكرة التي لعبت دوراً خطيراً عبر تاريخ الأمة الإسلامية كانت جذورها الأولى في الاهتمام في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي يرعاها ويؤسس لها ويعطيها الصفة الشرعية من الله تعالى، وهذه الفكرة أيضاً غطت مساحة واسعة من الإرث النبوي، فكانت هذه الرسالة وغيرها من المدونات تكشف عن أهمية هذا الإرث عند المحدثين، والتعاطي معه من قبل زمان السيوطي وممن جاء بعده، ونحن حاولنا في هذه الأوراق الموجزة إرجاع تلك المعاني والمفاهيم لكل مجموعة من الأحاديث التي قسمناها على طوائف بلغت (١٤) إلى بعضها البعض الآخر لكي تتضح هذه الفكرة الواحدة التي أشرنا إليها.

فمثلاً أحاديث الطائفة التي وردت في بيان الحب والبغض لأهل البيت عليهم السلام فالحديث الرابع قرن الحب مع الإيمان، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمان حتى يحبكم لله ولقرابتي)، فهنا قرن الإيمان مع المحبة، والإيمان كما تعلم يتوقف عليه الثواب والعقاب في الآخرة، بل إن الحديث الحادي عشر صريح بكون أعمال الإنسان من العبادات لا قيمة لها يوم القيامة ويدخل الإنسان النار ما دام مبغضا لأهل البيت عليهم السلام فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (فلو أن رجلاً صفن بين الركن والمقام فصلى وصام ثم مات وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار)، ولا يخفى ما في تعبيره صلى الله عليه وآله وسلم: (لأهل بيت محمد) من دلالة واضحة فهم خاصته دون غيرهم بناء على ما مر من معنى أهل البيت، بل مجرد البغض يجعل الإنسان في دائرة النفاق كما في الحديث.

١٣ـ قال صلى الله عليه وآله وسلم: (من أبغضنا أهل البيت فهو منافق)، أو يحشر يهودياً، كما في الحديث (١٩): (خطبنا رسول

الله ﷺ وهو يقول: أيها الناس من أبعضنا أهل البيت حشره الله تعالى يوم القيامة يهودياً).

والمهم إن هذه الطائفة نستطيع جمعها على أساس أن هناك علاقة بين إيمان الإنسان وأعماله وحب أهل البيت وبغضهم وهذه الأحاديث تنسجم مع الأحاديث التي وردت بشأن مودتهم أو الواردة في بيان حق العترة ما ورد منها في الحديث رقم (١٨) قال ﷺ: (الزموا مودتنا أهل البيت، فإنه من لقي الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا)، إذن المترتب على محبتهم ومودتهم حصول الشفاعة، ومعرفة حقهم يتوقف عليه قبول الأعمال، وهذا حاصل من الجمع بين الأحاديث بين تلك الطائفتين فأحداهن مكملة للأخرى.

وبناء على الأحاديث التي تشير إلى الحب والبغض لأهل البيت عليهم السلام فإن الحب والبغض هو من الحالات النفسية والملكات الباطنية التي تتولد نتيجة تلك الملكات، فالأمراض الخلقية منها البغض الذي يتولد نتيجة الحسد مثلاً، وهناك ملكات فاضلة أيضاً والتي منها الحب، وكلا هذين الأمرين هو مؤثر على الإنسان في النشأتين في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فالبغض مرض خلقي يولد انعكاساً على أعمال الإنسان، وكذا الحب الملكة الفاضلة، لأن الأعمال وسلوك الإنسان يتوقف على المعرفة النظرية والتي تعتمد على المعارف الحقة، وهي الاعتقادات الصحيحة في معرفة الله تعالى حق معرفته ومعرفة نبيه ﷺ والتصديق به والأخذ بقوله وفعله وتقريره، وما أشار إليه من حب أهل بيته والتمسك بهم، وهذه المعارف الحقة وما يتوقف عليها من أعمال هي التي تشكل الصورة الباطنية للإنسان وهي التي تعكس حقيقة الإنسان في الآخرة، لأن الصورة الباطنية والنيات وآثار الأعمال تظهر بشكل جلي في الآخرة، وفي مواقف القيامة، ومنها الصراط، لذا نرى الحديث (٤٧) في الرسالة صريحاً في الإشارة إلى هذا المعنى، وفيه قال رسول الله ﷺ: (أثبتكم على الصراط أشدّكم حباً لأهل بيتي وأصحابي)، ولعل في الحديث (٤٨) إشارة ضمنية إلى جوارح الإنسان وباطنه، قال ﷺ: (أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة، المكرم ذريتي والقاضي لهم الحوائج والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليها، والمحب لهم بقلبه ولسانه)، ولعله ﷺ ذكر القلب الذي يمثل باطن الإنسان مع اللسان وهو من الجوارح الظاهرة، وعمل القلب كما ورد في أحاديث باب ما فرض على الجوارح من الوسائل من كتاب الجهاد عن أبي عبد الله عليه السلام: (إن الله فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسمه عليها وفرّقه فيها ـ إلى أن قال ـ فأما ما فرض على القلب من الإيمان فالإقرار والمعرفة، والعقد والرضا والتسليم بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ والإقرار بما جاء من عند الله من نبي أو كتاب... إلى

أن قال:- فذلك ما فرض الله على القلب من الإقرار والمعرفة وهو عمله وهو رأس الإيمان...) الخ ص١٦٤.

إذًا ما تقدم صريح يذكر الصراط الذي له علاقة بأعمال الإنسان وما يكتسب في دار الدنيا، لأن الإنسان بمقدار رسوخ هذه الحالات الباطنية والملكات والأخلاق والأعمال التي أشرنا إليها في وجوده في هذه النشأة، يتحدد حاله عند المرور على الصراط في النشأة الأخرى، قال الإمام الصادق عليه السلام: (الناس يمرون على الصراط طبقات، والصراط أدق من الشعر ومن حد السيف، فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل عدو الفرس، ومنهم من يمر حبوًا، ومنهم من يمر مشيًا، ومنهم من يمر متعلقًا، قد تأخذ النار منه شيئًا وتترك شيئًا)[٥].

وعلى هذا فنحن نرى إن بقية طوائف الأحاديث تدخل في بيان هذه العلاقات الضرورية بنية أعمال العباد ومصيرهم وعلاقتهم بأهل البيت عليهم السلام، أو بيان موقع أهل البيت عليهم السلام من منظومة الإسلام النظرية والعملية. لما فيه مصلحة للنوع الإنساني والمجتمع الإسلامي لأن هذه الوصايا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم تكن تنطلق من عاطفة شخصية أو مصلحة جزئية بل لمصلحة عامة وأمر يخدم الإسلام والمسلمين واستمراره في معارفه وتطبيقاته وعلى هذا فإن الإمامة والخلافة هي منهم لعصمتهم، ولذا ترى بقية الأحاديث الدالة من الحث على التمسك بالكتاب والعترة، أو إنه صلى الله عليه وآله وسلم يسأل عن القرآن والعترة، أو إن المرء يوم القيامة يسأل عن صحبة أهل البيت كما يسأل عن ماله وعمره فيما أفناه وجسده فيما أبلاه، وهذا كله يعتمد على أصل واحد هو أنهم كانوا موحدين وكاملين وهو أبواب الهداية دون غيرهم من الناس، وهذا ما تفسر به المجموعة رقم (١٠) من الأحاديث التي قسمناها نحن في صدر البحث حين ورد في الحديث (٣٦) قال صلى الله عليه وآله وسلم: (وعدني ربي في أهل بيتي مَنْ أقر منهم بالتوحيد، ولي بالبلاغ أنه لا يعذبهم)، وفي الحديث (٣٩) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة عليها السلام: (إن الله غير معذبك ولا ولدك) وبناء على الجمع بين الروايتين حيث أن العذاب ساقط عنهم بإخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الله تعالى، فهم أهل التوحيد ومن أهل الإقرار والعمل به.

١- انظر مقدمة تحقيق (إحياء الميْت بفضائل أهل البيت عليهم السلام للسيوطي والصحاح من الآثار في فضائل النبي وآله الأطهار ص٥ للشيخ عباس اليزدي لجمع الذخائر الإسلامية (قم).

٢- طبعت بتحقيق شيخ كاظم الفتلاوي ومحمد سعيد الطريحي -المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام (قم ١٤٢١هـ).

٣- انظر مقدمة تحقيق الرسالة ص - أ -.

٤- العَصَبة بالتحريك جمع عاصب كطلبة جمع طالب وهو الأقارب من جانب الأب.

٥- مقدمة في علم الأخلاق ص٣٤ كمال الحيدري.

حكاية مستبصر

شيعني: (التحجر الوهابي)

نرسيسيو إنتونيو

مولده ونشأته: ولد الأخ نرسيسيو إنتونيو في مدينة مبوت عام (١٩٧٨ م) في دولة موزمبيق ، وقد كان يعتنق المذهب الوهابي. وهو يجيد أربع لغات : البرتغالية، العربية، الإنكليزية، الفارسية.

سمة الوهابية: معروف أن لكل معتقد من المعتقدات سمة أو أكثر تميزه عن غيره، وقد امتازت الفرقة الوهابية بسمة ملفتة للنظر حقاً، ألا وهي شنها الحرب الشعواء على المسلمين، في حين تترك أعداء الإسلام في منأى عن نفثاتها.

يقول: محمد بن عبدالوهاب (إمام الوهابية) في رسالته (القواعد الأربعة): (إن مشركي زماننا - أي المسلمين - أغلظ شركًا من الأولين، لأن أولئك يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، وهؤلاء شركهم في الحالتين).

هذا النَفَس جعل هذه الفرقة غير قادرة على التعايش مع بقية أهل القبلة، وقراءة سريعة لخلفيات نشأتها والأعمال التي قامت بها وكذلك الظروف العجيبة التي صُنعت بها وتحليل أسسها الفكرية، يوقف القارئ على حقيقتها.

إن الجمهور المسلم الذي تغلغلت في أوساطه أفكار الوهابية ودعاتها سيكشف، بل كشف جفاف الطرح وجموده عند هؤلاء، فهم يتعاملون مع الدين كقوانين وقواعد جامدة يطبقها الإنسان من دون أن تكون لها انعكاسات إيجابية واضحة في حياته.

نقطة التحول: يقول الأخ نرسيسيو: كنت طالبًا أدرس في الثانوية حينما تعرفت

على كامل الدين - وهو شيعي - الذي كان طالبًا معي في نفس الفصل الدراسي، وقد دارت بيننا أحاديث ومحاورات، بدأ من خلالها نور الحق يشع على قلبي، كما إني ومن خلال المقارنة بين المذهب الوهابي ومذهب أهل البيت عليهم السلام، كشفت مدى التحجر الوهابي.

فالأخ نرسيسيو يسجل هنا ملاحظة دقيقة وهي (التحجر الوهابي) كما أن عدم الأمانة في النقل وعدم الصراحة في الإجابة ومحاولة عزل الأتباع عما في بطون الكتب كانت سببًا آخر في اختياره لمذهب العترة الطاهرة وهجره لمذهب الوهابية، حيث يقول:

(بعد حواري مع صديقي كامل الدين ومطالعاتي، أثيرت في ذهني العديد من التساؤلات، فلجأت إلى أحد علماء الوهابية في مدينتنا ليوضح لي الأمور، فأجابني: بأن التعرف على مثل هذه الأمور مختص بالعلماء فقط ولا يجوز لغيرهم البحث فيها!

ويضيف: لم أعقل الإجابة، ولم يكن ردّه منطقيًا، فعلمت أنه غير قادر على الصمود أمام النقاش العلمي.

وهكذا ثبت للأخ نرسيسيو إنتونيو بطلان ما كان يعتقده، فقرر سلوك خط أهل البيت عليهم السلام والأخذ من منهلهم الصافي.

كما إنه تمكن بفضل الله تعالى من هداية أحد أصدقائه في مدينة مبوت إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام. وهو يؤمل استبصار بعض أصدقائه الذين جرى بينه وبينهم حوار في هذا الصدد.

(حديث مصور: عن موقع مركز الأبحاث العقائدية) نقل بتصرف.

روي عن الإمام الباقر عليه السلام: أنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما انصرف من عرفات، وسار إلى منى، دخل المسجد، فاجتمع إليه الناس يسألونه عن ليلة القدر، فقام صلى الله عليه وآله وسلم خطيبًا فقال بعد الثناء على الله عز وجل:

أما بعد فإنكم سألتموني عن ليلة القدر، ولم أطوها عنكم لأني لا أكون بها عالمًا، اعلموا أيها الناس: أنه من ورد عليه شهر رمضان، وهو صحيح سويّ، فصام نهاره، وقام وِردًا من ليله، وواظب على صلاته، وهجر إلى جمعته، وغدا إلى عيده، فقد أدرك ليلة القدر، وفاز بجائزة الرب.

(المقنعة/الشيخ المفيد/ص٣٠٨)

في الذاكرة

شهر رمضان المبارك

١ وفاة النائب الأول للإمام الحجة (عج) عثمان بن سعيد (رض) سنة ٢٦٧ هـ.

٢ توجه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بعشرة آلاف مقاتل لفتح مكة سنة ٨ هـ.

٢ بداية ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام سنة ٢٠١ هـ.

٣ وفاة الشيخ المفيد قدس سره سنة ٤١٣ هـ.

٤ هلاك زياد بن أبيه (لعنه الله) سنة ٥٣ هـ.

٤ حفر الخندق حول المدينة سنة ٣ هـ.

٦ مبايعة الناس للإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد سنة ٢٠١ هـ.

٦ ضرب النقود باسم الإمام الرضا عليه السلام سنة ٢٠١ هـ.

٧ وفاة أبي طالب عليه السلام عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكافله سنة ١٠ بعد البعثة.

٨ خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم لغزوة بدر الكبرى سنة ٢ هـ.

١٠ وفاة أم المؤمنين خديجة عليها السلام قبل الهجرة بثلاث سنين.

١٢ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في المدينة سنة ٢ هـ.

١٣ هلاك الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٩٥ هـ.

١٤ مقتل المختار بن أبي عبيدة الثقفي (رض) على يد مصعب بن الزبير سنة ٦٧ هـ.

١٥ مولد سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسن بن علي عليه السلام سنة ٣ هـ.

١٥ حركة مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة سنة ٦٠ هـ.

١٧ غزوة بدر الكبرى سنة ٢ هـ.

١٨ ليلة جرح أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة على يد الملعون عبد الرحمن بن ملجم سنة ٤٠ هـ.

١٨ ليلة القدر (على رواية).

٢٠ ليلة القدر (الرواية الثانية).

٢٠ فتح مكة وصعود الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على كتف النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتطهير الكعبة من الأصنام سنة ٨ هـ.

٢١ استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة سنة ٤٠ هـ.

٢١ البيعة للإمام الحسن عليه السلام بالخلافة سنة ٤٠ هـ.

٢٢ ليلة القدر المباركة (وهي أقوى الروايات).

٢٥ وقوع حرب النهروان بين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والخوارج سنة ٣٨ هـ.

٢٧ وفاة العلامة المجلسي قدس سره سنة ١١١١ هـ.

في الذاكرة

شهر شوال

١ عيد الفطر المبارك.

١ هلاك عمرو بن العاص سنة ٤٣ هـ.

٤ مقتل المتوكل العباسي سنة ٢٤٧ هـ.

٥ حدوث غزوة حنين سنة ٨ هـ.

٥ خروج أمير المؤمنين عليه السلام إلى صفين سنة ٣٦ هـ.

٥ دخول مسلم بن عقيل عليه السلام الكوفة سنة ٦٠ هـ.

٦ خروج أول توقيع من الإمام المهدي (عج) إلى نائبه الأول الحسين بن روح سنة ٣٠٥ هـ.

٨ هدم قبور أئمة البقيع عليهم السلام وقبر حمزة بن عبد المطلب سنة ١٣٤٤ هـ على يد الوهابيين.

١٤ هلاك عبد الملك بن مروان بن الحكم سنة ٨٦ هـ .

١٥ غزوة أحد واستشهاد حمزة بن عبد المطلب سنة ٣ هـ .

١٦ رجوع الشمس من مغيبها لأمير المؤمنين عليه السلام .

١٧ غزوة الخندق سنة ٥ هـ .

٢٠ القبض على الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام بأمر هارون الرشيد سنة ١٧٩ هـ .

٢٥ استشهاد الإمام جعفر الصادق عليه السلام سنة ١٤٨ هـ .

٢٥ وفاة المرجع الكبير الشيخ جعفر كاشف الغطاء قدس سره سنة ١٢٨٨ هـ .

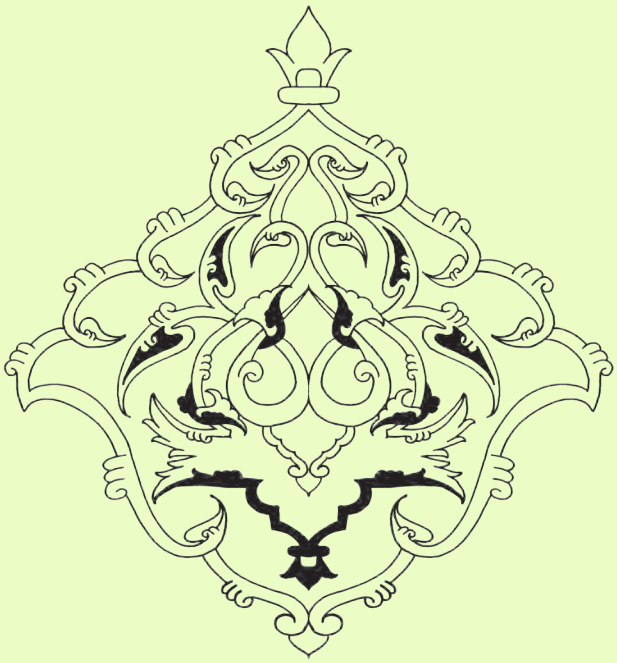

وقفة مع الذكرى

وفاة العلامة

المجلسي قدس سره سنة ١١١١هـ.

لم يوفق أحد في الإسلام مثل ما وفق هذا الشيخ المعظم والبحر الخضم والطود الأشم من ترويج المذهب بطرق عديدة، أجلها وأبقاها التصانيف الكثيرة التي شاع ذكرها في الأنام وانتفع بها الخواص والعوام والمبتدي والمنتهي.

اسمه:

المولى محمد باقر المعروف بالمجلسي الثاني ابن المولى محمد تقي المعروف بالمجلسي الأول .

ولادته:

ولد في أصفهان سنة ١٠٢٧ هـ .

والده:

محمد تقي المعروف بالمجلسي الأول، كان عالمًا فاضلًا محققًا متبحرًا زاهدًا عابدًا ثقة متكلمًا فقيهًا. محدثًا ورعًا ثقة، كان في علوم الفقه والتفسير والحديث والرجال فائق أهل الدهر، وفي الزهد والعبادة والتقوى والورع وترك الدنيا مقتديًا بأستاذه البهائي مشتغلًا طول حياته بالرياضات والمجاهدات وتهذيب الأخلاق والعبادات وترويج الأحاديث والسعي في حوائج المؤمنين وهداية الخلق، وانتشرت بيمن همته أحاديث أهل البيت عليهم السلام واهتدى بنور هدايته الجم الغفير. له كتب ومؤلفات كثيرة باللغتين العربية والفارسية.. توفي سنة ١٠٧٠ في أصفهان ودفن في الباب القبلي من الأبواب التسعة لجامعها الأعظم.

أحواله :

الشيخ محمد باقر المجلسي، كان شيخ

الإسلام من قبل السلاطين في أصفهان، وكان يباشر جميع المرافعات بنفسه، ولا تفوته صلاة الأموات والجماعات والضيافات والعبادات، وخرج من مجلس درسه جماعة كثيرة من الفضلاء بلغوا ألف طالب .

حج بيت الله الحرام وزار الأئمة في العراق مكررًا، وكان يباشر أمور معاشه وحوائج دنياه بغاية الضبط، ومع ذلك بلغت مؤلفاته ما بلغت وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وبلغ في الفصاحة وحسن التعبير الدرجة القصوى .

لما تأهب المولى محمد باقر المجلسي لتأليف كتاب بحار الأنوار كان يفحص عن الكتب القديمة ويسعى في تحصيلها، ومما أعانه على تأليف البحار أنه كان جماعًا للكتب مولعًا باقتنائها حتى أنه حكي أن كتاب مدينة العلم للصدوق لم تكن له نسخة على عهده فبلغه أن نسخته توجد في اليمن فحمل الشاه على إنفاذ رسول لإحضاره فوجه السلطان أميرًا من أركان الدولة سفيرًا إلى ملك اليمن بهدايا وتحف كثيرة لتحصيل ذلك الكتاب وأحضره .

مشايخه:

١. محمد بن السيد شرف الدين، المعروف بالسيد ميرزا الجزائري.
٢. السيد الميرزا رفيع الدين محمد بن حيدر الحسيني النائيني.
٣. السيد الأمير شرف الدين علي بن حجة الشولستاني الطباطبائي.
٤. السيد حسين بن حيدر الكركي.

تلاميذه:

١. الشيخ محمد حسين الشيرازي.
٢. الميرزا عبد الله الأفندي الأصفهاني.
٣. السيد محمد بن أحمد الحسيني اللاهيجاني.
٤. المولى محمد إبراهيم البوناتي.
٥. المولى جمشيد بن محمد زمان الكسكري الجبلي.

مؤلفاته:

١. بحار الأنوار، أشهرها وأكبرها مكون من ١١٤ مجلدًا، وهو على ما فيه دائرة معارف شيعية لا مثيل لها، أثبت فيه جل آثار الشيعة وأخبارهم وعلومهم، وقد طبع غير مرة في بلاد إيران، وقد احتوى مختلف العلوم .
٢. كتاب مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ﷺ.
٣. شرح على الكافي.
٤. ملاذ الأخيار في شرح تهذيب الأخبار .
٥. شرح الأربعين حديثًا .
٦. الوجيزة في الرجال .
٧. رسالة الاعتقاد ألفها في ليلة واحدة.
٨. رسالة الشكوك .
٩. رسالة الأوزان وهي أول مصنفاته.
١٠. المسائل المتفرقة على الكتب الأربعة وغيرها.

ومؤلفات كثيرة جدًا، ويقال أن تصانيفه بلغت الآلاف .

وفاته :

توفي سنة ١١١١هـ في أصفهان، ودفن في الباب القبلي من الأبواب التسعة لجامعها الأعظم ودفن مع والده محمد تقي المجلسي وغيره من العلماء.

للفضيلة نجومها

أبو الصلت الهروي... وأهم ما روى في مسنده

فارس رزاق الحريزي
كاتب وباحث إسلامي

ينابيع

كان منذ الطفولة يحب مجالس العلم والعلماء لا سيما الحديث، إذ كان يتحمل وعثاء السفر، لذا أصبحت كلماته تفيض علماً وحكمة وحياة ونوراً، فصار أديبًا وفقيهًا وعالمًا ومُحَدِّثًا. سافر إلى بلدان إسلامية كثيرة للبحث عن الرواية الصحيحة، فقصد بغداد والكوفة ونيشابور والحجاز يلتمس نوراً ويتخطى العقبة حتى هداه الله السبيل الذي كان يرجوه. عاصر الإمام الرضا عليه السلام والإمام الجواد عليه السلام وأدرك عهد الإمام الهادي عليه السلام، فياله من عمر مديد، مليئ بالعطاء.

ولادته:

ولد عبد السلام بن صالح بن سليمان بن أيوب بن ميسرة القرشي (أبو الصلت الهروي)[1] في المدينة المنورة سنة ١٦٠هـ وسكن نيسابور وتوفي فيها سنة ٢٣٦هـ، وله مزار يبعد عن مشهد نحو أربعة كيلومترات. يتردد على هذا المكان الشيعة والسنة لمكانة صاحبه الذي كان من رجال العلم وأصحاب الفضل والحديث البارزين، كذلك كان من المؤلفين في التأريخ الإسلامي، ومن آثاره العلمية كتاب أحوال ووفاة الإمام الرضا عليه السلام.

التحق بركب الإمام الرضا عليه السلام في زمن سفره عليه السلام من المدينة إلى خراسان، وهناك رواية أنه التحق بالإمام في نيشابور، وأصبح من المقربين منه ومن

حفظة سره، اكتسب العلم والمعرفة من وجوده حتى زمان شهادته، وعرف في التاريخ بصاحب الإمام وخادمه المقرب.

بعد شهادة الإمام الرضا عليه السلام أوقف حياته في سبيل رفع راية الإسلام، وعِلْم وحقيقة الإمامة وحسب وصية الإمام الرضا عليه السلام إذ نطق بالحق والصواب والتوحيد والإيمان والصلاح والرحمة رغم الذين شاقوه، فغلب أعداءه الزائغين عن الحق. اجتهد في إحياء علوم أهل البيت عليهم السلام ونشر مذهب التشيع حتى أدى الأمر إلى غضب دار الخلافة العباسية، فأمر المأمون بمطاردته وسجنه لمدة سنة، وقد خرج من السجن بفضل الله وشفاعة الإمام الجواد عليه السلام. لهذا العبد الصالح المقرب من شمس الشموس عليه السلام كرامات كثيرة أهمها شفاء المرضى وقضاء الحوائج بأمر الله في جميع البلدان الإسلامية لمكانته المرموقة عند المسلمين جميعاً، وقد حصل هذا الرجل على منزلة صالحة مرضية، وهو شيعي جَلِد، وكان مجاهراً بعقيدته أيضاً.

وعندما علم أبو الصلت الهروي أن المأمون العباسي سمّ الإمام الرضا عليه السلام تميز غيظاً وتحدث بلسانٍ رطبٍ عن هذه الجريمة، غير مكترث بالمأمون وبطشه.

أود أن أشير بإيجاز لما دوّنه من روايات ونشره عن الإمام الرضا عليه السلام وتحت عنوان

مسند أبي الصلت الهروي:

١ـ عندما هلك هارون الرشيد نمت شجرة مقاومة التشيع من جديد، وبدأ المجتمع الشيعي يتردد على المدينة ويجتمع حول الشجرة المتسعة المظلة شمس الشموس الإمام الرضا عليه السلام، خافت حكومة المأمون من هذا الخطر المتفاقم إذ كان هو الأقوى والمؤثر في المجتمع الإسلامي، فابتكر المأمون مؤامرة ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام وهي سلاح ذو حدين، إن قبلها الإمام فقد قتله معنوياً، وإن رفضها قتله جسدياً، ولهذا ينبغي أن يأتي بالإمام عليه السلام من المدينة إلى مرو ويحتل مقام ولاية العهد في الحكومة العباسية، وبذلك يحقق المأمون إخراج الإمام عليه السلام من العاصمة الروحية وحرم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة المنورة ويظهر للرأي العام الإسلامي أن الإمام عليه السلام بقبوله ولاية العهد قد ترك جهاد آبائه في إعلاء كلمة الحق وسلك طريق الدنيا، وبذلك إسقاط هيبته وإمامته، إلا أن الإمام عليه السلام رفض ذلك بشدة، ولكن المأمون أصر على ذلك فجهز كتيبة بقيادة الرجاء بن الضحاك وأوفدها إلى المدينة لجلب الإمام عليه السلام وأوصى بأن يأتوا به عن طريق لا يمر بقرية أو مدينة حتى لا يراه الناس. ولعلم الإمام عليه السلام بالخطة قال لعياله ولبني هاشم: أقيموا عليَّ مجلس العزاء فإني لا أرجع من هذا السفر. وقد قال مؤرخو الشيعة بأن الإمام عليه السلام نعى نفسه في موضعين، الأول بإقامة العزاء في المدينة، والآخر بقوله للشاعر دعبل الخزاعي ضع هذا البيت بعد (وقبر ببغداد لنفس زكية):

وقبر بطوس يا لها من مصيبة
ألحت على الأحشاء بالزفراتِ

(فقال دعبل: يا ابن رسول الله هذا القبر الذي بطوس قبر من هو؟ فقال الرضا عليه السلام: قبري ولا تنقضي الأيام والليالي حتى تصير طوس مختلف شيعتي وزواري ألا فمن زارني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة مغفورا له)[٢]، وقد جاءوا بالإمام الرضا عليه السلام من المدينة المنورة إلى نيشابور عبر الصحراء، ثم إلى مرو. وفي نيشابور اجتمع الناس لاستقباله حتى كانت الأرض كالبحر الخضم اللجّي.

٢ـ وقال أبو الصلت: ولقد سمعت علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: (كنت أجلس في الروضة والعلماء بالمدينة متوافرون، فإذا أعيا الواحد منهم عن مسالة أشاروا إليّ بأجمعهم وبعثوا إلي بالمسائل فأجيب عنها)[٣]. ولا ريب في ذلك (فإن موسى بن جعفر عليه السلام كان يقول لبنيه: (هذا أخوكم على بن موسى عالم آل محمد، فاسألوه عن أديانكم واحفظوا ما يقول لكم، فإني سمعت أبي جعفر بن محمد عليه السلام غير مرة يقول لي: إن عالم آل محمد لفي صلبك، وليتني أدركته فإنه سمي أمير المؤمنين علي عليه السلام)[٤].

٣ـ عرض الخلافة على الإمام عليه السلام وكذلك ولاية العهد: عن أبي الصلت الهروي، قال: إن المأمون قال للرضا عليه السلام: يا بن رسول الله قد عرفت علمك وفضلك وزهدك وورعك وعبادتك وأراك أحق بالخلافة مني. فقال الرضا عليه السلام: بالعبودية لله عز وجل أفتخر، وبالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شر الدنيا، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، وبالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله عز وجل، فقال له

المأمون: فإني قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها وأبايعك. فقال له الرضا عليه السلام: إن كانت هذه الخلافة لك والله جعلها لك فلا يجوز لك أن تخلع لباسًا ألبسك الله وتجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك، فقال له المأمون: يا بن رسول الله فلا بد لك من قبول هذا الامر، فقال عليه السلام: لست أفعل ذلك طائعًا أبدًا. فما زال يجهد به أيامًا حتى يئس من قبوله، فقال له: فإن لم تقبل الخلافة ولم تجب مبايعتي لك فكن ولي عهدي تكون الخليفة بعدي. فقال الرضا عليه السلام: والله لقد حدثني أبي، عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إني أخرج من الدنيا قبلك مسموما مقتولا بالسم مظلوما تبكي عليّ ملائكة السماء وملائكة الأرض وأدفن في أرض غربة إلى جنب هارون الرشيد. فبكى المأمون، ثم قال له: يا بن رسول الله ومن الذي يقتلك أو يقدر على الإساءة إليك وأنا حي؟ فقال الرضا عليه السلام: أما إني لو أشاء أن أقول لقلت من يقتلني؟ فقال المأمون: يا بن رسول الله إنما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك ودفع هذا الامر عنك، ليقول الناس إنك زاهد في الدنيا. فقال الرضا عليه السلام: والله ما كذبت منذ خلقني ربي عز وجل وما زهدت في الدنيا للدنيا وأني لأعلم ما تريد، فقال المأمون: وما أريد؟ قال: الأمان على الصدق، قال: لك الأمان، قال: تريد بذلك أن يقول الناس إن علي بن موسى الرضا عليه السلام لم يزهد في الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعًا في الخلافة؟ فغضب المأمون: ثم قال إنك تتلقاني أبدًا بما أكرهه، وأمنت سطوتي، فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلا أجبرتك على ذلك فإن فعلت وإلا ضربت عنقك، فقال الرضا عليه السلام: قد نهاني الله تعالى أن ألقي بيدي إلى التهلكة، فإن كان الامر على هذا فافعل ما بدا لك، وأنا أقبل على أني لا أُولي أحدًا ولا أعزل أحدًا ولا أنقض رسمًا ولا سنةً وأكون في الامر من بعيد مشيرًا. فرضي منه بذلك وجعله ولي عهده على كراهة منه عليه السلام بذلك[٥].

٤ـ لماذا أقدم المأمون على قتل الإمام الرضا عليه السلام؟

بعد أن ظهر الحق وانكشف للناس جميعاً علم الإمام ومكانته، (جلب المأمون عليه المتكلمين من البلدان طمعا في أن يقطعه واحد منهم فيسقط محله عند العلماء (وبسببهم) يشتهر نقصه عند العامة فكان لا يكلمه خصم من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والبراهمة والملحدين

والدهرية ولا خصم من فرق المسلمين المخالفين إلا قطعه وألزمه الحجة وكان الناس يقولون: والله إنه أولى بالخلافة من المأمون وكان أصحاب الاخبار يرفعون ذلك إليه فيغتاظ من ذلك ويشتد حسده له وكان الرضا عليه السلام لا يحابي المأمون من حق وكان يجيبه بما يكره في أكثر أحواله فيغيظه ذلك ويحقده عليه ولا يظهره له فلما أعيته الحيلة في أمره اغتاله فقتله بالسم)[٦].

٥ـ الأخبار عن الشهادة قبل حدوثها، وأجر زوّار الإمام الرضا عليه السلام.

قال ابو الصلت الهروي: سمعت الرضا عليه السلام يقول: (إني سأقتل بالسُمّ مظلومًا وأقبر إلى جنب هارون ويجعل الله تربتي مختلف شيعتي وأهل محبتي فمن زارني في غربتي وجبت له زيارتي يوم القيامة، والذي أكرم محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة واصطفاه على جميع الخليقة لا يصلي أحد منكم عند قبري ركعتين إلا استحق المغفرة من الله عز وجل يوم يلقاه والذي أكرمنا بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالإمامة وخصنا بالوصية إن زوار قبري لأكرم الوفود على الله يوم القيامة وما من مؤمن يزورني فيصيب وجهه قطرة من الماء إلا حرم الله تعالى جسده على النار[٧].

٦ـ (كان الشاعر دعبل الخزاعي من الشيعة المشهورين بالميل إلى الإمام الرضا عليه السلام، وقصيدته (مدارس آيات خلت من تلاوة...) من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة في أهل البيت عليهم السلام، وقصد بها أبا الحسن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام، بخراسان، فأعطاه عشرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه، وخلع عليه خلعة من ثيابه، فأعطاه بها أهل قمّ ثلاثين ألف درهم، لم يبعها، فقطعوا عليه الطريق فأخذوها، فقال لهم: إنها إنما تراد لله عزّ وجل، وهي محرّمة عليكم، فدفعوا إليه ثلاثين ألف درهم، فحلف ألّا يبيعها أو يعطوه بعضها ليكون في كفنه، فأعطوه فرد كمّ، فكان في أكفانه)[٨].

٧ـ طلب منه المأمون أن يصلي صلاة الاستسقاء، وذلك لسببين:

ـ إما أن يمتنع الإمام فيشيع بين الناس أنه امتنع خوفاً من عدم الاستجابة.

ـ إذا لم تمطر السماء فسوف يقلل هذا من اعتقاد الناس في الإمام عليه السلام.

فقال المأمون للرضا عليه السلام: قد احتبس المطر، فلو دعوت الله عز وجل أن يمطر الناس، فقال الرضا عليه السلام: نعم، قال: فمتى تفعل ذلك؟ وكان ذلك يوم الجمعة، قال: يوم الاثنين ... فلما كان

يوم الاثنين غدا إلى الصحراء وخرج الخلائق ينظرون فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اللهم يا رب أنت عظمت حقنا أهل البيت فتوسلوا بنا كما أمرت وأملوا فضلك ورحمتك وتوقعوا إحسانك ونعمتك، فاسقهم سقيًا نافعًا عامًا غير رايث ولا ضائر[٩] وليكن ابتداء مطرهم بعد انصرافهم من مشهدهم هذا إلى منازلهم ومقارهم ... ثم جاءت سحابة بوابل المطر فملأت الأودية والحياض والغدران والفلوات، فجعل الناس يقولون: هنيئا لولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كرامات الله عز وجل[١٠].

٨ـ أما صلاة العيد والتي اشترط الإمام أن يقيمها كما كان يقيمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي بن أبي طالب عليه السلام، فأصدر المأمون أمره برجوع الإمام خوفاً من سقوط الخلافة لكثرة التفاف الناس حول الإمام عليه السلام[١١].

٩ـ عن أبي الصلت الهروي قال: لما خرج علي بن موسى الرضا عليه السلام من نيسابور يريد المأمون، فبلغ قرب القرية الحمراء قيل له: يا ابن رسول الله قد زالت الشمس أولا تصلي؟ فنزل وقال: (ائتوني بماء) فقيل له: ما معنا ماء. فبحث عليه السلام الأرض بيده فنبع من الأرض الماء فأخذ ما توضأ به هو ومن معه. والماء باق إلى يومنا هذا، ويقال للمنبع (عين الرضا)[١٢]. وتسمى بالفارسية (قدمكاه)، يزورها ويرتوي منها شيعة الإمام عليه السلام.

١٠ـ حديث السلسلة الذهبية: (لما وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام نيسابور وأراد أن يخرج منها إلى المأمون اجتمع عليه أصحاب الحديث فقالوا له: يا بن رسول الله ترحل عنا ولا تحدثنا بحديث فنستفيده منك؟ وكان قد قعد في العمارية فأطلع رأسه وقال: سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن علي يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول سمعت الله عز وجل يقول: لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي. قال: فلما مرت الراحلة نادانا: بشروطها وأنا من شروطها)[١٣].

قال الشيخ الصدوق رحمه الله: من شروطها الإقرار للرضا عليه السلام بأنه إمام من قبل الله عز وجل على العباد مفترض الطاعة عليهم.

وقد روى أبو الصلت أحاديث كثيرة عن الإمام عليه السلام وقد اختصرنا ذلك، ومن أراد المزيد فليراجع.

١ـ تهذيب الكمال/المزي/ج١٨ص٧٣.
٢ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام/الشيخ الصدوق/ج٢ص٢٩٥.
٣ـ كشف الغمة/ج٢ص٣١٦. بحار الأنوار، ج٤٩ ص١٠٠.
٤ـ م.ن.
٥ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢ ص١٥١.
٦ـ عيون اخبار الرضا عليه السلام، ج٢ص٢٦٥.
٧ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢ ص٢٤٨.
٨ـ الاغاني/لابي الفرج الاصفهاني/ج٢٠ص٢٩٤.
٩ـ غير بطيء ولا ضار.
١٠ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢ ص١٨٠.
١١ـ ينظر: الفصول المهمة/لابن الصباغ المالكي/ص٢٤٦.
١٢ـ الثاقب في المناقب/أبو حمزة الطوسي/ص١٤٦.
١٣ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام/ج٢ص١٤٥.

للفضيلة نجومها

السيد محمد باقر الحجة الطباطبائي (١٢٧٣ هـ - ١٣٣١ هـ)

د.سلمان هادي آل طعمة
باحث ومؤرخ/ كربلاء المقدسة

ينابيع

آل الطباطبائي أسرة علمية معروفة في كربلاء أنجبت العديد من رجالات الفقه والعلم والأدب والمعرفة، يرتقي نسبها الشريف إلى الإمام الثاني الحسن المجتبى ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[١].

وهذه الأسرة لها أثر خالد ومقام كبير في نفوس العارفين فقد لعبت دورًا فاعلًا في الحركة العلمية في مدينة كربلاء المقدسة منذ عهد جدهم السيد علي الطباطبائي وولده السيد محمد المجاهد إلى يومنا هذا، ففيهم جمع من العلماء والشعراء والأعلام الذين أسهموا اسهامًا فاعلًا في ترسيخ قواعد العلم، وقد تصدى أفراد منهم للمرجعية الدينية ولهم آثار مطبوعة، وشاركوا في بناء المدارس والجوامع في هذه المدينة[٢].

الولادة والنشأة:

هو السيد محمد باقر بن السيد أبي القاسم بن السيد حسن المعروف بـ(الحاج أغا) بن السيد محمد (المجاهد) بن (المير) السيد علي (صاحب الرياض) الطباطبائي الحسني الحائري. وقد لقب والده السيد أبو القاسم بـ (الحجة) وقد سرى هذا اللقب عليه وعلى أحفاده.

ولد سنة ١٢٧٣هـ ورُبيَ في حجر السيادة وأحضان الإمامة، ونشأ شريف النفس عالي الهمة محمود السيرة يتطلع

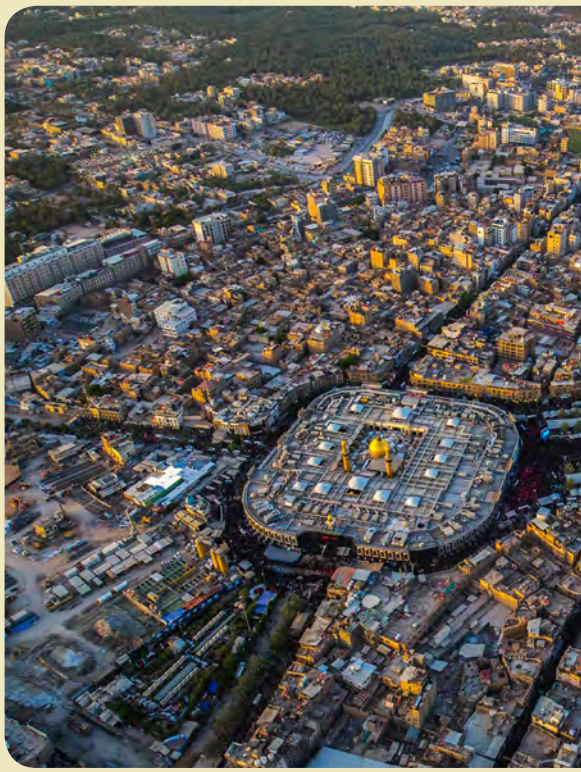

إلى معالي الأمور متمسكًا بالتعاليم الإسلامية الموروثة.

ذكره الشيخ محمد السماوي في أرجوزته (مجالي اللطف بأرض الطف) فقال:

الباقر العلم الطباطبائي
ذو العلم المعروف بالإباء
شبلا علي وقفا بجنبه
فأرخوه (قد قضى بقربه)[٣]

صفاته:

كان السيد محمد باقر على جانب من الفضل مشهورًا بالأخلاق الفاضلة وبسمعته الطيبة وتواضعه وسعيه المتواصل إلى فعل الخير، يصلح بين الأقارب المتناحرة والجيرة المتطاحنة، بالإضافة إلى ما عرف عنه من حنكة ودراية وسعة اطلاع، يميل إليه الكثير من الكسبة ويعتقدون بدينه ويقدرون له زهده وورعه وتقاه[٤]، ويتحلى بكرم النفس وحسن الضيافة والدفاع عن الدين وقضاء حوائج الناس، وتربطه بأبناء بلده ورهطه روابط الحب والاحترام والتعامل الاجتماعي والمصالح المشتركة حتى تمكن من أن يرقى إلى مستوى أقرانه فحصل بذلك على شهرة واسعة، وقد شهد له القاصي والداني بسمو منزلته فكان محط الآمال ومطمح الأنظار.

حياته العلمية:

في بداية حياته العلمية درس على والده السيد أبي القاسم الحجة المقدمات، وأخذ عن الشيخ محمد حسين الأردكاني الفقه والأصول، ورحل إلى النجف فأخذ عن الميرزا حبيب الله الرشتي، وكانت له سلسلة محاضرات علمية دينية يلقيها على طلابه فنالت إعجاب الطلاب الذين تعرفوا من خلالها على كنوز المعارف الإسلامية العالية والمباحث الراقية.

ثم عاد إلى كربلاء، وصار في أخريات أيامه مرجعًا للتقليد يرجع إليه جمهرة من أهالي كربلاء.

تلامذته:

تتلمذ على السيد باقر رعيل من أهل العلم والفضل والأدب منهم: الشيخ حسين الكربلائي الشاعر الشعبي المعروف المتوفى سنة ١٣٢٨هـ والشاعر السيد عبد الوهاب المتوفى سنة ١٣٢٢هـ والشيخ حبيب شعبان المتوفى سنة ١٣٣٦هـ وغيرهم.

خزانته:

للسيد محمد باقر الحجة مكانة رفيعة ومنزلة مقبولة سامية يغبطه عليها الكثيرون، فقد اهتم بالكتابة والتأليف في شتى العلوم والفنون، ولا سيما كتب علوم الفقه والأصول والآداب العربية والمنطق والحكمة وما إلى ذلك من معارف شتى، وقد سعى منذ نعومة أظفاره بجمع الكتب الخطية والذخائر النفيسة والأعلاق الثمينة والكتب النادرة، فكانت له خزانة احتوت ما تسر به الخواطر وتقر برؤيتها النواظر، وفيها من النوادر ما يروق السمع ويهذب الطبع ويغذي الفؤاد. وقد ذُكرت محتوياتها ونفائسها موزعة في كتاب الذريعة لشيخنا الطهراني، ثم كُتب عن تلك الخزانة وما تحويه من مخطوطات في كتاب مستقل بعنوان (مخطوطات السيد محمد باقر الطباطبائي في كربلاء)[٥]، طبع من قبل معهد المخطوطات العربية في الكويت.

آثاره:

لا يغيب عن الذهن أن للسيد باقر عددًا من المؤلفات في الفقه والأصول بعضها مطبوع ولا يزال البعض الآخر مخطوطًا أشار إليها صاحب (أعيان الشيعة) بقوله:

وله عدة مصنفات منها منظومة في الكلام والأخلاق، وأخرى في النكاح، وثالثة في الحج، ورابعة في تتمة منظومة بحر العلوم أكمل بها الصلاة، وكل واحدة من الأربع تنيف على ألف بيت، وخامسة في رد قصيدة البغدادي بشأن المهدي (عجل الله فرجه) وسادسة في الخيارات وسابعة في الصوم)[٦]. ومن تلك المؤلفات:

١. نهج السداد في شرح نجاة العباد.

للشيخ صاحب الجواهر رحمه الله ببسط وتفصيل واستيفاء للأدلة والأقوال واختيار المختار، وبأسلوب في غاية المتانة وقوة الحجة، اطلع عليه آية الله العظمى النائيني قدس سره فأعاده إليه مرفقًا بشهادته القيمة.

٢. الفرائد الغوالي على شواهد الأمالي للسيد المرتضى.

هو موسوعة كبرى استوفت مختلف العلوم من التفسير واللغة والأدب والتاريخ والنقد، تقع في أكثر من عشرين جزءًا، طبع منها ثمانية أجزاء والبقية لا تزال مخطوطة.

٣. فرائد الغرر.

في إثبات الأئمة الاثني عشر صلوات الله عليهم أجمعين من طريق النص والأثر، على نهج فريد من نوعه، ويقع في أربعة أجزاء.

٤. شرح منظومة الشهاب الثاقب.

في الإمامة، وإثبات الولاية لأهل البيت عليهم السلام. وقد طبعت مرارًا منها طبعة (النجف الأشرف ١٣٤٢هـ)، وطبعت في مشهد من قبل حفيده سنة (١٣٧٨هـ)، كما طبعت مشروحة ومحققة في مجلة (تراثنا) بشرح الشيخ محسن بن الشيخ شريف آل صاحب الجواهر (ت ١٥ ذي القعدة سنة ١٣٥٥) وبتحقيق الشيخ إحسان الجواهري[٧].

٥. رسالة في علم الكلام وما يجب اعتقاده على الأنام.

٦. شرح ديوان ابن الخياط الدمشقي.

٧. أرجوزة في إرث الزوجة من ثمن العقار بعد الأخذ بالخيار، في ستين بيتا[٨].

٨. مصباح الظلام، وهو منظومة في علم الكلام، ذكره الزركلي في الأعلام، وقد صحف في اسم مؤلفه بـ (محمد باقر بن حسن)[٩].

٩. منظومة في علم التجويد والقراءة

وشرحها.

١٠. الدر الحسان في أنباء أبناء الزمان. وهي رحلته ﷺ التي استهلها من النجف الأشرف إلى البحرين بذكر مشاهداته في تلك المراحل.

١١. كتاب الأدعية والأحراز وآثارها.

١٢. تعليقة على شرح النهج في الرد على ابن أبي الحديد المعتزلي.

١٣. تعليقة على الكفاية.

١٤. تعليقة على الفصول المختارة.

١٥. نقض إرشاد العوام لكريم خان. شرع فيه قبل وفاته بقليل، ولم يمهله الأجل لإتمامه.

١٦. ديوان شعره .

وقد ذكر أغلب تلك الآثار كل من ترجم للسيد الحجة، ولم يزل بعضها مخطوطًا ينتظر من ينفض الغبار عنه.

خدماته:

يعد السيد الباقر همزة الوصل بين الأهالي وبين السلطات العثمانية فيما يخص الصالح العام لكافة أفراد البلد، وذلك في إخماد المعارك الدموية والمشاكل التي تحدث بين الناس. فكان أول من يرأب الصدع ويصلح ذات البين، ولا أخالني أستطيع أن آتي بكل ما لديه من مآثر وخدمات لكثرتها، اضافة إلى التزامه في تأدية الفرائض وإقامة الشعائر والمناسبات الدينية. ومن خلال تتبع حياته (رضوان الله عليه) في تلك المرحلة يتضح لنا أن علاقة الأمة بعلمائها متى ما كانت وطيدة ومبنية على أسس مرضية فإنها توفر للشعب الحياة الحرة الكريمة. وقد سعى رضوان الله عليه في استقطاب الناس إبان فترة توليه الزعامة الدينية في كربلاء.

أقوال الأعلام المؤرخين:

سبق وأن قلنا أن هناك عددًا من الأعلام والمؤرخين ذكروا سيدنا المترجم له في آثارهم ومصنفاتهم، وعلى الأخص الشيخ أغا بزرك الطهراني في مصنفاته، فقال: يعد هذا العَلَم من الفطاحل الحجج كوالده السيد أبي القاسم، فقد انتهت إليه الرئاسة في كربلاء، وكان فيها مرجعًا للقضاء والتدريس وغيرها، وكان دائم المذاكرة، دقيق النظر، خصب الفكر، مشتغلًا بالعلم، مُكبًا على التدريس والتصنيف[١٠].

وذكره عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين فقال: فقيه أصولي متكلم أديب ناظم ناثر نحوي، ولد في النجف في ٨ شعبان وتوفي بكربلاء في ١١ رجب سنة ١٣٣١هـ. ومن تصانيفه كتاب الزكاة الكبير، منظومة مصباح الظلام، أرجوزة الرد على من كفَر الملة، الدرة في النحو، المصباح في أحكام النكاح[١١].

وأضاف بروكلمان مصنفات له أخرى مطبوعة وهي: أرجوزة في النكاح، أرجوزة في الأطعمة والأشربة، أرجوزة السهم الثاقب[١٢].

وقال الشيخ عباس القمي في (الفوائد الرضوية): عالم فاضل، أديب أريب، فقيه أصولي، محقق عالي الفهم، سريع الانتقال، جيد النظم في الأداء، حريص على التلقي من أهل الفضل، حاز تحليله على المطالب الغامضة من مذاكرة الفضلاء ومراجعة الأفاضل المترددين إلى كربلاء، دائم التدريس والمباحثة[١٣].

مجلسه:

له مجلس أدبي يعقد في داره الواقعة في سوق التجار يفد إليه جماعة كثيرة من أساطين العلم والأدباء والشعراء النوابغ

في كربلاء وخارجها، وكانت تجري فيه المناظرات والمناقشات العلمية في الحياة الفكرية والأدبية. وممن كان يرتاد مجلسه السيد عبد الوهاب الحسيني النقشبندي الذي كان مفتي كربلاء، وللسيد محمد باقر الحجة تقريض على كتابه المطبوع سنة ١٣٢٧هـ بعنوان (المنح الوهبية في تخميس الهمزية البوصيرية)[١٤].

شعره:

ليس بدعًا من القول أن يكون السيد محمد باقر الطباطبائي شاعراً طويلَ النفس في شعره، عميقَ البحث في تقصيه لحقائق الامور. لقد تفجرت موهبته في قول الشعر، فكان أشهر من أختص بكتابة الأراجيز والمنظومات، فتكاد تكون كتبه الفقهية أراجيز بديعة، وقد ضمنها آيات قرآنية وأحاديث شريفة يذكر سندها أحيانًا أو يجعلها مرسلة أحيانًا أخرى.

وشعره رقيق الطبع منفتح العبارة سلس القياد، يهتم بالصيغ الكلية والاستعارات والمجازات في التعبير.

ونحن هنا نسوق للقارئ نموذجًا من منظومة (الشهاب الثاقب) للاطلاع على أسلوبه، وهذه الأرجوزة كانت حول موضوع الإمامة، وقد بلغت ٥٧١ بيتا، ففصَّل فيها كثيراً من المفاهيم العقدية التي تتعلق بأصل الإمامة، إضافة إلى المعوقات التي اعترت فترة خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وما رافقها من أحداث مهمة. فأفتتحها بقوله:

أحمد من أنطقني بحمده
وألهم الجنان شكر رفده
أحمد من وفقني بحمده
وقادني إلى سبيل رشده
شكرًا وأنى لي بلوغ ما وجب
من شكره والشكر للشكر سبب
مصليا على النبي المرسل
مدينة العلم وبابها علي
وأهل بيت الوحي والتنزيل
ومعدن الحكمة والتأويل

ثم يبين إمامة الأئمة الاثني عشر فيقول:

نصب الإمام حافظ الزمام
لطفٌ من الله على الأنام
فإنـــه مقــربٌ للطــاعة
وقائد الناس إلى الإطاعة
واللطف واجب وإلا لأنتقض
ما عاد لا لنفسه من الغرض

ثم يبدأ بإمامة أمير المؤمنين وتنصيبه يوم الغدير، فيقول:

فاختص نص المصطفى خير البشر
بالمرتضى قسم طوبى وسقر
صهر الرسول أزهد الأنام
وأشجع الـــورى بـــلا كـلام
أحب مخلوق إلى الله وفي
رواية الطائر شاهد وفي

ثم يذكر الآيات والأحاديث بحق أمير المؤمنين عليه السلام ومنها حديث الغدير، فيقول:

غير الذي نحن به نقول
وهو الذي بلغه الرسول
يوم الغدير قائلا بين الملا:
ألست أولى بكم؟ قالوا: بلى
فقال تبليغًا عن الله العلي
من كنت مولاه فمولاه علي
فيا إلهي وال من والاه
من أمتي وعاد من عاداه

ثم عرج على الوقائع المهمة التي حدثت في زمن خلافته عليه السلام كواقعة الجمل، فقال:

عائش ما نقول في قتالك
سلكت في مسالك المهالك
خالفت نص الذكر في التبرج
ونهي خير الخلق أن لا تخرجي
أعرضت عن نبح كلاب الحوأب
من بعد تحذير النبي العربي

حاربت قطب فلك الإيمان
ومن به دارت رحى الإمكان
وكان إذ ذاك هو المطاع
حكم عليه انعقد الإجماع

ومنها قوله:
وفيك ما أورده البخاري
من نص طه أحمد المختارِ
يوم إلى بيتك أومى واشتهر
حديثه وصدق الخبر الخبر
لكنك زوجة خير البشر
ونحن يا أم على تحير
قد قيل تبت وعلي أغمضا
عن أمرك والأمر تابع الرضا
فيا حميرا سبك محرم
لأجل عين ألف عين تكرم

وفاته:

أدركه الأجل المحتوم في كربلاء يوم الأحد ٢١ رجب ١٣٣١هـ وشيع تشييعًا مهيبًا إلى مثواه الأخير في مقبرة آل الطباطبائي في سوق التجار بين الحرمين، وقد أعقب ولده العلامة السيد محمد صادق الطباطبائي، وهو عَلَم بارز سار على نهج أبيه في إمامة الجماعة والتصدي للأمور الحسبية.

وأرخ وفاته جملة من الشعراء، فقال أحدهم:
رضوان نادى الجنان أرخوا
(قد نور الفردوس نور الباقر)

ومنهم الشيخ ابراهيم البادكوبي بقصيدة أرخها بقوله:
قلت لنجم السعد هل تدري
من تدخل في مسنده اللائق
قال نعم قلت فأرخ (فقال
انتقل الأمر إلى الصادق)

وهكذا فقدت الحوزة العلمية بمدينة كربلاء المقدسة رجلًا أعطى من جهده وحياته لخدمة أهل البيت عليهم السلام والسير على نهجهم القويم، وترك لنا مؤلفات مطبوعة ومخطوطة تحكي مساهماته في الحقول العلمية المختلفة.

١- ورد ذكر هذه الأسرة عند أكثر المحققين الذين تناولوا النسب الهاشمي الشريف، أو من تطرق للأسر والعشائر. وقد ذكرت ضمن الأسر الكربلائية. راجع: عشائر كربلاء وأسرها/سلمان هادي آل طعمة، ج١، ص ١٣٨.
٢- تاريخ الحركة العلمية في كربلاء /نور الدين الشاهرودي: ص ٢٢٤.
٣- مجالي اللطف بأرض الطف/ الشيخ محمد السماوي.
٤- معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء/الشيخ محمد حرز الدين: ج٢، ص ١٩٩.
٥- مخطوطات السيد محمد باقر الطباطبائي في كربلاء/سلمان هادي آل طعمة: ط١.
٦- أعيان الشيعة /السيد محسن الأمين: ج ٤٩، ص ١٠٣.
٧- مجلة تراثنا: ٤١ – ٤٢، ص ٢٨١-٤٠٣.
٨- الذريعة إلى تصانيف الشيعة /الشيخ أغا بزرك الطهراني: ج١.
٩- الأعلام /خير الدين الزركلي: ج ٦، ص ٤٩.
١٠- نقباء البشر في القرن الرابع عشر/الشيخ أغا بزرك الطهراني: ج١، ص ١٩٣.
١١- معجم المؤلفين /عمر رضا كحالة: ج٩، ص ٨٩.
١٢- تاريخ الأدب العربي /كارل بروكلمان: ج٣ص١٩٣. انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة/ ج١٠ ص ٣١٦، ٤٦٢.
١٣- الفوائد الرضوية /الشيخ عباس القمي: ج ٢ ص ٥٠
١٤- محاسن المجالس في كربلاء /سلمان هادي آل طعمة: ص ٧٧.

نسبية الزمن بدليل القرآن الكريم

د. فيصل علي البصام
قسم فيزياء الليزر/ كلية العلوم للبنات / جامعة بابل

ينابيع

يعتقد عامة الناس أن الساعة الواحدة التي نقضيها على سطح الأرض هي نفسها التي نقضيها على كوكب آخر يدور بسرعة أكبر من سرعة دوران كوكبنا، أو فوق مركبة فضائية تسير بسرعة هائلة، إلّا أن هذا الاعتقاد ليس صحيحًا، بل هو خاضع للنسبية الزمانية المكانية.

فتدفق الوقت على متن مركبة أو كوكب تقارب سرعتاهما سرعة الضوء يكون أبطأ منه على الأرض، وتجارب عديدة أثبتت نسبية الوقت، حيث أن الساعات المتواجدة على متن الأقمار الصناعية يتباطأ زمن توقيتها بـ ٧ ميكروثانية في اليوم الواحد مقارنة بالساعات الموجودة على سطح الأرض، ولو سارت هذه الأقمار بسرعة أكثر لزاد فرق التوقيت الزمني بين الساعتين، كذلك تبين لعلماء الجيولوجيا عندما أحدثوا مقاطع عرضية في جذوع الأشجار الأولى التي ظهرت في الأرض منذ ملايين السنين، إن حلقاتها الزمنية متقاربة ولا تشبه حلقات جذوع الأشجار المتوسطة العمر أو الحديثة، لأن الفرق بين حلقتين متتاليتين يمثل فترة زمنية معينة، وتتناسب هذه الحلقات تناسبًا طرديًا مع فترات نمو الأشجار، أو أنه كلما كانت الحلقات متقاربة كانت فترة نموها أصغر وكان عدد الحلقات أكبر، معنى ذلك أن سرعة الأرض قبل ملايين السنين كانت أكبر مما هي عليه الآن، وحسب درجة تقارب الحلقات استنتج العلماء أن مدة اليوم الواحد في تلك العصور الغابرة لا تزيد عن ٤ ساعات، أي

أن مدة الليل ساعتان ونفس المدة بالنسبة للنهار، وظلت سرعة الأرض تتباطأ حتى استقرت على سرعتها الحالية، وهي مرشحة للتباطؤ مستقبلًا، بل لا يستبعد العلماء أن تتباطأ السرعة حتى تتوقف الأرض كلية عن الدوران. وتحت تأثير تجاذب الكواكب والنجوم الأخرى نتيجة للفضاء الزمني المقعر وقانون تجاذب الأجسام فإن الأرض ستأخذ منحنياً معاكساً في دورانها حول نفسها. وما يؤيد ما سبق هو قوله تعالى: (**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**) (الرعد:٤١)، أي أن الله تعالى ينقصها من أطرافها ليزيد من سرعتها لتصبح بعد حين من الزمن بيضوية الشكل. وعندما تأخذ الاتجاه المعاكس في الدوران فهذا يعني أن الشمس ستشرق من المغرب وهذه علامات يوم الحشر.

لما كان مصطلح اليوم يمثل الفرق الزمني بين شروقين أو غروبين متتاليين، ومادام الوقت نسبياً، فإن مفهوم المصطلح نسبيّ أيضًا، ولهذا فقد جاء ذكر (اليوم) في القرآن الكريم بصيغة نسبية وليست مطلقة، كما في قوله تعالى: (**تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**)(المعارج:٤)، وقوله تعالى: (**وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**)(الحج:٤٧)، لم يذكر

كلمة (**مِمَّا تَعُدُّونَ**) في الآية الأولى لدلالة سرعة الزمن المختلفة للروح والملائكة لهذه الرحلة، كذلك لم يقل (**عِنْدَ رَبِّكَ**) في الآية الأولى أيضًا للدلالة على الحساب الزمني الآخر. وعلى رأي الكاتب محمد ترياقي (إن استعمال كلمة (**يوم**) في هاتين الآيتين الكريمتين جاء بمعنى دورة من الزمن، وهو المخالف لمعنى الكلمة الشائع عند العرب، والمفاهيم والمعارف التي في عصرنا سهلت لنا الفهم النسبي الجديد للوقت والزمن. إن لفظ (**يوم**) أو (**أيام**) يمكن أن تعني الأيام بمفهومها العادي وأن تعني أيضًا الامتداد للزمن الطويل أو دورة زمنية محدودة كانت أم غير محدودة، فاليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنة ليس باليوم الذي يفصل بين شروقين أو غروبين متتاليين وليس هو نفسه اليوم الذي كان مقداره ألف سنة مما نعد نحن البشر، وإنما هو دورة من الزمن، لذلك أعطت كلمة (**اليوم**) للوقت مفهومًا نسبيًا متغيرًا ليس بثابت مطلق وهو وجه الإعجاز العلمي.

لهذا نرى أن الله سبحانه وتعالى أنشأ سُنّة الوقت والزمن وجعلهما نسبيين متغيرين، فيقدره بألف سنة أو أكثر أو أقل من ذلك، وتقديرنا نحن البشر للزمن مرهون بحركة الأرض، بعدها تفتحت آفاقنا بعد التطور في النظريات في فهم الكون والحياة[1]. (**هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**)(الحديد:٤)، إنّ لفظ (**ستة أيام**) ومدلوله لا سبيل لإدراكه بتقديرنا نحن البشر، وهذه الظرفية الزمنية على ظاهرها قد يسوغ أن تقترن بأعمال البشر، ولكنها لا تقترن بأعمال الله سبحانه التي لا ظرفية لها من زمان أو مكان، وإنما الزمان والمكان من نتائج التصور البشري المحدود ، فهو نسبي إذًا. ثم إذا سلمنا أن هذه الأيام الستة دالة على زمن، فليس في إمكاننا أن نحسبها في زمننا كأيامنا هذه، فقد تعبر عن ستة أطوار من التكوين، أو ست دورات فلكية أو نحو ذلك[2].

فليس المقصود هنا من الأيام ذات الـ ٢٤ ساعة، وحينما نتكلم عن اليوم القطبي نعني سنة كاملة، نهارها ستة أشهر وليلها ستة أشهر مثلها، وقد فسر قوله تعالى في سورة الحج: (**وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**)، وفي سورة المعارج أيضًا، فالمقصود باليوم حقبة من الزمن وليس المقصود نهار يتبعه ليل[3].

أي أن الله تعالى خلق العالم في ستة مراحل، وفي المرحلة الأخيرة وجد الإنسان أما الزمن الذي استغرقته كل مرحلة فلا يستطيع العلم تعيينها، إذ لا يعلمها إلّا الخالق، أي أنه من الممكن تأويل أو تغيير ما يخبرنا به الدين من أمور فلسفية أو علمية تفسيرًا علميًا[4].

وكما ذكرنا سلفًا: أن التاريخ الجيولوجي والفلكي قرر أن الأرض بعد انفصالها عن الشمس كانت تدور حول نفسها بسرعة أكبر مما هي عليه الآن، إذ تتم دورانها حول نفسها مرة كل أربع ساعات، فالليل والنهار، كانا في مجموعهما أربع ساعات فقط، وبتوالي النقص في سرعة دورانها حول نفسها، زادت المدة التي تتم فيها دورانها هذا فزادت مدة الليل والنهار إلى خمس ساعات ثم إلى ست، حتى وصلت إلى أربع وعشرين ساعة التي هي عليها الآن.

يقول علماء الكلام بأن (**حقيقة**

الأشياء ثابتة والعلم بها متحقق)، بينما يتبين اليوم أنه ليس هنالك حقيقة، وليس في الإمكان إدراكها إدراكًا مطلقًا وكليًا فكل حقيقة يسعى لمعرفتها الإنسان حقيقة نسبية كنسبية علم الإنسان وكنسبية كل موجود فانٍ في هذا العالم، ويبقى الإنسان عاجزاً في هذه المجالات، كما في قوله تعالى: **(يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ)**(الرحمن:٢٩)[٥]، أي أن جميعَ الأشكال والفعاليات والمخلوقات هي دالة للزمن، وهذا هو أساس النظرية النسبية التي توصل إليها آينشتاين. وقد اعتبر أن الزمن هو البعد أو الإحداثي الرابع في معادلاته. فالحياة والمخلوقات في تغاير مستمر مع الزمن. يستنتج أن تسمية اليوم هي للدلالة على الزمن أي أن التغاير في الطبيعة مستمر على مر الزمان[٦].

ويقول في الكشاف: فهذا الشأن لا يقتصر على ليل أو نهار وإنما يستغرق **(كل وقت وحين)**[٧] ويقول السعدي: أن الله تعالى محدث أمورًا ومغير أحوالًا في كل حين، إذ ما من شيء في هذا الكون إلّا وهو يتغير في كل يوم، بل في كل لحظة شئنا أم أبينا، والله تعالى هو الدائم الباقي المتصرف بشؤون العباد وهو لا يشغله شأن عن شأن[٨].

وقد تمكن العلماء من احتساب النقص في سرعة دوران الأرض، فوجد هذا النقص يبلغ ثانية واحدة كل (١٢٠)ألف سنة ... وعليه فبعد ٤٣٢ مليون سنة ينقص دوران الأرض بمقدار ساعة، وعندئذ يصبح مجموع ساعات الليل والنهار ٢٥ ساعة، وهكذا يتوالى النقص ويطرد طوال الليل والنهار، وعلى هذا الأساس لابد أن تقف الأرض يومًا، فحينما تقف يصبح الوجه المقابل للشمس نهارًا دائمًا، والوجه البعيد ليلًا دائمًا. قال تعالى: **(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)**(القصص:٧٢، ٧١))[٩].

فالحركة لا يمكن رصدها إلّا من خارجها، لا يمكن أن تدرك الحركة وأنت تتحرك معها في الفلك نفسه، وإنما لابد لك من عتبة خارجية تقف عليها لترصدها[١٠].

يقول العالم الألماني آينشتاين واضع النظرية النسبية الخاصة والعامة: (إن الزمن ليس له حقيقة منفردة قائمة بذاتها، وأنه من خواص المادة وأن هذا الكون ذو أربعة أبعاد)[١١].

فالكون واسع جدًا، مترامي الأطراف، كل شيء فيه في حركة مستمرة منتظمة، ولا يوجد رابط زمني يربط بين أجزائه حسب نظرية آينشتاين، فكلمة **(الآن)** لامعنى لها إلّا في هذه الأرض، فالحادث الذي يحدث في مجرة واقعة في طرف الكون لاتعلم به مجرة واقعة في الطرف الآخر قبل مرور عشرة آلاف مليون سنة من سنواتنا، إذ السنة الضوئية = ١٠ مليون مليون كم تقريبا[١٢]. فلا يعلم مدى هذه الأيام وأطوالها إلّا هو، وذلك لأن هناك أيامًا مختلفة الأطوال اختلافًا شاسعًا، **(تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)**.

فنحن نعرف يومنا الأرضي، والآيات الكريمة تخبرنا عن نوعين آخرين أحدهما أطول من يومنا بمئات الألوف من المرات، والآخر أطول بملايينها، وهكذا يستفاد من

الآية: (**يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**)(السجدة:٥)، فالسرعة التي يسير فيها أمر الله تعالى سرعة لا تقدر، واليوم بالنسبة لكوكب ما: هي المدة التي يقضيها هذا الكوكب في دورانه حول نفسه دورة واحدة، وهذه المدة تختلف من جرم إلى آخر، فاليوم في الأرض أربع وعشرون ساعة، وهو في المريخ أطول من اليوم الأرضي بـ ٣٧ دقيقة ويبلغ يوم القمر قريبًا من تسعة وعشرين يومًا أرضيًا، ويختلف يوم الشمس من منطقة إلى أخرى فهو في خط استوائها يبلغ حوالي خمسة وعشرين يومًا أرضيًا، بينما يتجاوز الثلاثين يومًا أرضيًا بالقرب من قطبيها، ويوم عطارد يساوي ٨٨ يومًا أرضيًا. أما الأجرام الأخرى فمجهولة أيامها، كما يتعذر معرفة أيام مجرتنا، إذ أننا نجهل الزمن اللازم لتدور حول نفسها دورة واحدة، وقد يقاس تقديرًا بمئات الألوف من السنين الأرضية، وقد يكون أكثر أو اقل، وكذلك بقية المجرات، إذ يختلف يوم المجرة من منطقة إلى أخرى بسبب عدم تماسك نجومها، وهكذا نرى أن لكل كوكب يومه، كما أن لكل تجمع نجمي صغر أم كبر يومه، ولاندري عن اليوم الذي مقداره ألف سنة مما تعدون، واليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة، هل هما بالنسبة لشيء في كوننا أم بالنسبة لكون آخر، لأننا نقدر طول اليوم بحركة الأرض حول نفسها التي لم تكن قبل خلق الله العوالم المادية من أرض أو شمس. والآية تعني أن بناء الكون قد استغرق وقتا معينًا لايمكن تقديره بما لدينا من حسابات مادية[١٣]. (**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ**)(يونس:٣)، أي خالقكم ومالك تدبيركم وتصريفكم الذي اخترعهما وأنشأهما على ما فيهما من عجائب الصنعة (**في ستَّة أيَّام**)، بلا زيادة ولانقصان على إنشائهما دفعةً واحدة[١٤].

فالعالم الحقيقي والخبير بمقادير الزمن إنما هو الله تعالى، ونحاول أن نحصر المقادير الزمنية -الظاهرة- في القرآن الكريم مستعينين بالقراءة المصحفية المتداولة في عصرنا مثل: اللحظة، والثانية، والدقيقة...، التي غابت من القاموس القرآني، بسبب أن العلوم الإنسانية تتجدد مع الزمن بموجب سنة التقدم، وما يعتبره العلماء دقيقًا في هذا الزمن، يأتي يوم يبدو فيه غير دقيق، فالمقادير الزمنية المذكورة، لا تعني من الدقة الآن، إذا ما قورنت بما توصل إليه العلم الحديث، إذ الساعات والوسائل الأخرى المتطورة تحسب الزمن بدقة ١/٤١٠ ،أي جزء من كل مليون جزء من الثانية. وسيأتي زمن تعتبر فيه هذه المقادير - كذلك- غير دقيقة، وفي المقابل ليس من صفات القرآن أن يتبدل آو يتحول[١٥].

وهذا يعني أن مصطلحات الزمن تعد نسبية أيضًا وليست مطلقة، لذلك لم يتحفنا القرآن الكريم بمصطلح محدد أو وحدة ثابتة للتعريف بمفهوم الزمن أو قيمته. وكنتيجة لحركة الشمس والقمر ظهرت الأوقات، وعرفت الأيام والأشهر والسنون: (**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**)(التوبة:٣٦) .

ختامًا نقول :

لا يقدر الإنسان أن يحصي المقادير الزمنية إحصاءً مطلقًا، إذ أن ألفاظ

المقادير الزمنية في القرآن الكريم تفيد معان مختلفة ومتنوعة، ولا تقتصر على معنى واحد، وذلك ما يجعلها تمتاز بتفسيرات مختلفة تسهم في إثراء المفاهيم الزمنية في القرآن الكريم. وإنها لا يمكن أن تفهم إلّا في سياقها العام ضمن الآية التي ترد فيها، وأن كثيراً من ألفاظ المقادير الزمنية غير محددة المقدار، إذ ليست الساعة تساوي ٦٠ دقيقة. فبعض المقادير الزمنية في القرآن الكريم سيقت للتمثيل لسرعة الفعل لا لضبط مدة معينة، مثال ذلك: لمح البصر، ارتداد الطرف . . وبعضها الآخر أريد بها حقيقتها مثل: سبع سنين، مائة عام ...الخ. وأن لليوم عدة معان، يحددها السياق، وغزارة هذه المعاني وتعددها دليل على غزارة مادة الزمن في القرآن. وتداخل معاني اليوم في القرآن الكريم تداخلًا تقتضيه طبيعة الزمن في الكون نفسه، وأحيانا يصعب أن نجد حدًا فاصلًا بين اليوم كوحدة للزمن الدنيوي واليوم كوحدة للزمن الأخروي، اللذين تلاقيا في لفظة اليوم.

١ـ نسبية الزمن بين البراهين العلمية وإعجاز الآيات القرآنية/محمد ترياقي.
٢ـ الطبيعة في القرآن الكريم/كاصد ياسر الزيدي/ص٢.
٣ـ القرآن والعلم/محمد أحمد سليمان/ص ٦١.
٤ـ موقف الدين من العلم/ علي فؤاد باشكيل/ص ١٦.
٥ـ ن.م/ص١٣٨.
٦ـ التفسير العلمي للآيات القرآنية/أحمد حنفي /ص ٤٥٧.
٧ـ الكشاف/الزمخشري/ج٤ص٣٥٦.
٨ـ أسرار الكون في القرآن/داود السعدي/ص٣١٤.
٩ـ الله والعلم الحديث/عبد الرزاق نوفل/ص ١٣٢.
١٠ـ القرآن محاولة لفهم عصري/ مصطفى محمود/ص ٢٠١.
١١ـ شهادة الكون/عبد الودود رشيد محمد/ص ١٤٥.
١٢ـ التكامل في الإسلام/أحمد أمين/ج٥ ص ٦٠.
١٣ـ ن.م/ ج٧ ص١٦٠.
١٤ـ مجمع البيان في تفسير القرآن/الطبرسي/ ج١٠ص١٥٥.
١٥ـ الزمان المتحول/نيكلسون إبين /سلسلة عالم المعرفة/العدد١٥٩ص١٧١.

عن جابر عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

(إذا كان أول يوم من شوال نادى مناد يا أيها المؤمنون اغدوا إلى جوائزكم، ثم قال: يا جابر جوائز الله ليست كجوائز هؤلاء الملوك ثم قال هو يوم الجوائز).

(الكافي/للكليني:ج٤ص١٦٨)

الغلو في القرآن والسُنَّة

الباحث: سامر محمد رشاد

ينابيع لا نغالي لو قلنا أن ليس هناك معتقد قد أثَّر في التاريخ الإسلامي على النحو النظري والعملي مثل الاعتقاد في أهل بيت النبوة عليهم السلام، فنحن إلى هذه اللحظة نرى آثار هذا المعتقد في الساحة الإسلامية.

إنّ حبّ أهل البيت عليهم السلام عترة النبي المصطفى (ص) يعدّ ضرورة من ضرورات الدين الإسلامي الثابتة بالقطع كتابًا وسُنّة، قال تعالى: (**قُل لا أسألُكُم عَلَيهِ أجرًا إلّا المودَّةَ في القُربَى**)(الشورى:٢٣)، وتواتر عن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: (أحبوا الله لما يغذوكم من نعمته، وأحبوني بحبّ الله، وأحبوا أهل بيتي بحبي)[١]، وتواتر عنه أنّ من أحبهم أحب الله ورسوله، ومن أبغضهم أبغض الله ورسوله، وعشرات الأحاديث التي تحث على حبهم وتنهى عن بغضهم[٢].

ومما لا ريب فيه أنّه تعالى لم يفرض حبهم ومودتهم إلى جانب وجوب التمسك بهم إلاّ لأنهم أهل للحب والولاء من حيث قربهم إليه سبحانه ومنزلتهم عنده وطهارتهم من الشرك والمعاصي ومن كل ما يبعد عن دار كرامته وساحة رضاه، لذلك أصبح حب أهل البيت عليهم السلام واجباً على الأمة الإسلامية، وأصبح المغرضون والمعادون للإسلام وأهل البيت يسلكون هذا الدرب، وذلك أن الكلام في فضائل أهل البيت عليهم السلام مما لا يستطيع أحد ردّه، وهو مما تأنس به القلوب، فعمد المغرضون وأعداء الإسلام إلى التسلل إلى المجتمع الإسلامي بادعاء المحبة لآل محمد عليهم السلام ومن ثم

وضعوا سمومهم في المجتمع، وأصبحت أفكارهم تأخذ منحى القبول لعامة الناس لشدة محبتهم لأهل البيت عليهم السلام، فتنامت بذرة الغلو حتى أصبحت ظاهرة تتسع، ولا يمكن أن تتوقف إلّا بما بيّنه أهل البيت عليهم السلام أنفسهم ووقفوا أشد موقف ضد هذه العقيدة الباطلة، وعملوا على إبطال هذه الفكرة على شتى الميادين العملية والنظرية.

الغلو لغة واصطلاحًا:

الغلو: تعبير قد تردد منذ العقود الأولى في القرن الأول الهجري، وعند بداية التدوين التاريخي، انطلق المعجميون في تناولهم الغلو من جانب الآيات القرآنية من جهة، ومن جهة أخرى كان هذا الاهتمام ناشئًا بعد بروز ألوان من التناقض العقائدي والفكري في جسم الأمة الإسلامية، لذا كانت دراسة هذا المصطلح من قبل علماء اللغة بامتداداته المتعددة يعكس بلا شك مدى العمق العقائدي الذي يرتكز عليه، والأهمية التي اكتنفته خلال أدواره التاريخية، من حالات الازدهار والركود.

الغلو لغة:

الغُلُو الارتفاع في الشيء ومجاوزة الحدّ فيه ومنه قوله جلّ وعزّ: (**لا تَغْلُوا في دِينِكُم**)، أي لا تجاوزوا المقدار، ومنه

الغَلْوَة بالسهم، وهو أن يُرمى به حيث ما بلغ، غلا يغلو غَلْواً وغَلْوَةً وغُلُوّاً وجمع الغَلْوَة غِلاء، وكل ما ارتفع فقد تغالى ومنه اشتقاق الشيء الغالي لأنه قد ارتفع عن حدود الثمن)[٣].

وبهذا يتّضح أنّ المعنى اللغوي للغلوّ على وزن (فُعول) هو مجاوزة الحدّ للشيء، سواء كان في المعتقدات الدينيّة أو غيرها.

الغلو اصطلاحًا:

هو المبالغة والتطرف، وتجاوز الحد الصحيح والمفروض في العقائد الدينية والواجبات الشرعية وهو ينطبق بصورة خاصة على أولئك الذين تجاوزوا الحدود المسموح بها في الدين، فهم ينسبون صفات أو خصائص إلهية للمخلوق بمعزل عن الخالق أو نبوّية لمن هو دون النبوة.

عرفه الشيخ المفيد: (الغلوّ هو التجاوز عن الحدّ، والخروج عن القصد، والإفراط في حقّ الأنبياء والأئمّة عليهم السلام)[٤].

قال الشهيد الثاني بعد أن عرف الغلو لغة: (الذين زادوا في الأئمّة عليهم السلام واعتقدوا فيهم أو في أحدهم أنّه إله، ونحو ذلك، ويطلق الغلوّ أيضاً على مَنْ قال بإلهيّة أحدٍ من الناس)[٥].

فـ (الغلو تارة: بلحاظ مرتبة الألوهية، وأخرى بلحاظ مرتبة النبوة، وثالثة بلحاظ شؤون أخرى من الشؤون المتصلة بصفات الخالق تعالى وأفعاله. أما الغلو بلحاظ مرتبة الألوهية، فيتمثل تارة: في اعتقاد الشخص بأن من غلا في حقه هو الله تعالى. وأخرى في اعتقاده بأنه غير الله الواجب الوجود، إلّا أنه شريكه في الألوهية واستحقاق العبادة، إما بنحو عرضي أو بنحو طولي. وثالثة في اعتقاده بحلول الله أو اتحاده مع ذلك الغير. وكل ذلك كفر: أما الأول، فلأنه إنكار لله. وأما الثاني فلأنه إنكار للتوحيد، وأما الثالث فلأن الحلول والاتحاد مرجعهما إلى دعوى ألوهية غير الله، لأنهما بالنظر العرفي واسطتان في الثبوت فينافي عقد المستثنى منه بحسب المدلول العرفي لشهادة أن (لا إله إلا الله) بل ينافي عقد المستثنى أيضًا، لأن كلمة (الله) في عقد المستثنى بحسب مدلولها الارتكازي تشتمل على كثير من الصفات المنافية لأحوال من غلا في حقه كالمشي في الأسواق والأكل والشرب. وأما الغلو بلحاظ مرتبة النبوة، فيتمثل في اعتقاد المغالي بأن من غلا في حقه أفضل من النبي وأنه همزة الوصل بين النبي والله، أو أنه مساوٍ له على نحو لا تكون رسالة النبي بين الله والعباد شاملة له. وكل ذلك يوجب الكفر، لمنافاته للشهادة الثانية بمدلولها الارتكازي في ذهن المتشرعة، المشتمل على التسليم بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رسول الله إلى جميع المكلفين من دون استثناء.

وأما الغلو بلحاظ الصفات والأفعال بمعنى نسبة صفة أو فعل لشخص ليس على مستواهما، فإن كان اختصاص تلك الصفة أو الفعل بالله تعالى من ضروريات الدين دخل في إنكار الضروري على الخلاف المتقدم فيه وإلّا لم يكن كفرًا. ويدخل في الأول: ادعاء تفويض الأمر من الله تعالى لأحد من عباده، ونسبة الخلق، والإحياء، والإماتة، ونحو ذلك من أنحاء التدبير الغيبي لهذا العالم إلى أحد من الناس)[٦].

يتضح هنا أن للغلو تقسيمات ومراتب تبعًا لمراتب وتقسيم التوحيد فإن الاعتقاد بأن الرب غير الله هو من باب الغلو، ولازمه إنكار الله، والثاني هو الإقرار بأن الله هو واجب الوجود ولكن له شريك في تدبير الأمور وهو من الغلو ويلزم إنكار التوحيد، وثالثًا الغلو بصفات الله عزوجل وذلك بالاعتقاد في الحلول والاتحاد في المخلوق هذا في باب التوحيد.

أما في باب النبوة فصبغ أي شخص عادي بصبغة وصفات النبوة، أما الغلو في الصفات بادعاء صفة إلى المخلوق هي من مختصات الخالق الضرورية فيعد كفرًا مثل الإماتة والإحياء فظاهر الأمر إذا كانت اعتقادًا إنها في قبال قدرة الله، أما إذا كانت بأمره فلا إشكال لثبوت هذه الصفات في غيره، قال عزوجل في كتابه المجيد: (**فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**) (المؤمنون:١٤) أو قوله تعالى: (**وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**)(المائدة:١١٤).

الغلو في القران والسُنّة:

إن أغلب من عرّف الغلو في المعاجم اللغوية أو عرّفهُ اصطلاحًا كان يستشهد على مراده بما ورد في القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة.

آيات الغلو في القرآن:

ورد لفظ الغلوّ في القرآن في موضعين:

الأول: قوله تعالى: (**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً**)(النساء:١٧١).

والثاني: قوله تعالى: (**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ**)(المائدة:٧٧).

والآيتان في مقام نهي النصارى عن الغلوّ في عيسى عليه السلام حيث رفعوه عن درجة النبوّة إلى أن اتّخذوه إلهًا، كما يحكي ذلك القرآن ذيل الآية الأولى حيث قال: (**وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ**)(المائدة:٧٧).

إشارة إلى نظريّة التثليث التي ادّعاها النصارى، وكذا في الآية التي بعدها حيث قال: (**لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً للهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعًا**)(النساء:١٧٢). ولم يكن هذا النحو من الغلوّ مقتصراً على النصارى، بل كان موجودًا عند اليهود أيضًا كما في قوله تعالى: (**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**) (التوبة:٣٠). وقوله تعالى: (**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**) (آل عمران:٦٤)، وقوله تعالى: (**اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ**

وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا لا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ(التوبة:٣١)، قال الشيخ الطبرسي في بيان الآية الثانية: (ثم دعاهم إلى ترك الغلو فقال (قل) يا محمد للنصارى فإنهم المخاطبون هنا. وقال قوم: إنه خطاب لليهود والنصارى، لأن اليهود غلوا أيضًا في تكذيب عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم، (**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ**) أي: لا تتجاوزوا الحد الذي حده الله لكم إلى الازدياد، وضده التقصير، وهو الخروج عن الحد إلى النقصان، والزيادة في الحد، والنقصان عنه، كلاهما فساد.

ودين الله الذي أمر به هو بين الغلو والتقصير، وهو الاقتصاد. (غير الحق) أي: مجاوزين الحق إلى الغلو وإلى التقصير، فيفوتكم الحق. ومن قال: إن الخطاب لليهود والنصارى، فغلوا النصارى في عيسى: ادعاؤهم له الإلهية، وغلو اليهود فيه: تكذيبهم له)[٧]، وذهب إلى ذلك الشيخ الطوسي في بيان (**تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ**) (ومعناه لا تتجاوزوا الحد الذي حده الله لكم إلى الازدياد. وضده التقصير وهو الخروج عن الحد إلى النقصان. والزيادة في الحد والنقصان معًا فساد، ودين الله الذي أمر به هو بين الغلو، والتقصير، وهو الاقتصاد)[٨]. مما تقدّم يظهر أنّ الغلوّ في القرآن استُعمل في معنى مجاوزة الحدّ المفترض للمخلوق، والارتفاع به إلى مقام الألوهيّة، وإنه مذموم وموجب لسخط الباري عزوجل لأنه من الكفر وكذلك تحميل الدين مما ليس فيه ومما لم يأمر الله عزوجل به.

الغلو في السنة المطهرة:

وردت روايات عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يفهم منها أن الغلو هو مجاوزة الحد في الدين أو مجاوزة الحد في المخلوق، ومطلوبنا هو المعنى الثاني لأنه محور البحث، أما المعنى الأول، أي مجاوزة الحد في الدين فنشير إليه بحديث واحد عن ابن عباس قال: (قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (..... وإياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين)[٩].

أما ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المعنى الثاني أي الغلو في المخلوق فقد روي عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا ترفعوني فوق حقي فإن الله تعالى اتخذني عبدًا قبل أن يتخذني نبيًا)[١٠]. وكذلك: (إن أبا رافع القرظي والسيد النجراني قالا: يا محمد أتريد أن نعبدك ونتخذك ربًا؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: معاذ الله أن نعبد غير الله، وأن نأمر بغير عبادة الله، فما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني.

وقيل: قال رجل: يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض؟ أفلا نسجد لك؟ قال: لا ينبغي أن يُسجَدَ لأحد من دون الله، ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله (ولكن كونوا) أي ولكن يقول: (كونوا ربانيين)[١١]. وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: (يا علي مثلك في هذه الأمة كمثل عيسى بن مريم، أحبه قوم فأفرطوا فيه، وأبغضه قوم فأفرطوا فيه)[١٢]، وكذلك عن الصادق عن آبائه عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي مثلك في أمتي مثل المسيح عيسى بن مريم افترق قومه ثلاث فرق: فرقه مؤمنون وهم الحواريون، وفرقه

عادوه وهم اليهود وفرقة غلوا فيه فخرجوا عن الإيمان، وإن أمتي ستفترق فيك ثلاث فرق: ففرقة شيعتك وهم المؤمنون، وفرقة عدوك وهم الشاكون، وفرقة تغلو فيك وهم الجاحدون، وأنت في الجنة يا علي وشيعتك ومحبو شيعتك، وعدوّك والغالي في النار)[١٣].

يمكن أن نستدل من خلال ما جاء من مفهوم الغلو في القرآن والسنه النبوية أن هذا المفهوم كان له امتدادات بتاريخ البشر، واستطاع أن يتغلغل في الأمم المُنتمية إلى الرسالات السماوية ليحرفها عن مسارها السماوي لذا أكد القرآن والسنة الحذر من أن يسري في الأمة الإسلامية. وبيّن القرآن وكذلك السُنّة أن الاختلاط الحضاري والفكري بين الأمة الإسلامية مع غيرها من الأمم وخصوصًا أهل الكتاب ينبغي أن لا يؤدي إلى التلاقح العكسي بما يحرف الأمه الإسلامية ويجعلها في خط موازٍ لأهل الكتاب، قال رسول الله ﷺ:(لتتبعن سُنَنَ من كان قبلكم حذو القذّة بالقذّة حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه)[١٤].

١- سنن الترمذي/ج٥ -ص٦٦٤.

٢- جاء في ينابيع المودة/ ج١-ص٢١، الصواعق المحرقة: ص ٢٣٢، فرائد السمطين: ج ٢-ص٢٥٦، قال رسول الله ﷺ: (ألا ومن مات على حب آل محمد، مات شهيدًا، ألا ومن مات على حب آل محمد، مات مغفورًا له، ألا ومن مات على حب آل محمد، مات تائبًا، ألا ومن مات على حب آل محمد، مات مؤمنًا مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد، بشره ملك الموت بالجنة، ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد، يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد، جعل الله زوار قبره ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد، مات على السُنّة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد، مات كافرًا، ألا ومن مات على بغض آل محمد، لم يشم رائحة الجنة).

٣- جمهرة اللغة - محمد بن الحسن بن دريد الأزدي/ ج ٢- ص٩٦١.

٤- تصحيح اعتقادات الإماميّة/الشيخ المفيد- ص ١٠.

٥- روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان - الشهيد الثاني - ج ١ - ص ٤٣٦ – ٤٣٧.

٦- شرح العروة الوثقى /السيد محمد باقر الصدر/ ج ٣ - شرح ص ٣٠٥ – ٣٠٧.

٧- تفسير مجمع البيان/الشيخ الطبرسي /ج ٣ - ص ٣٩٤ – ٣٩٥.

٨- التبيان في تفسير القرآن/الشيخ الطوسي/ج ٣ - ص ٦٠٧.

٩- مسند أحمد بن حنبل/أحمد بن حنبل/ ج١ –ص ٢١٥.

١٠- بحار الأنوار/العلامة المجلسي/ ج ٢٥ - ص ٢٦١ .

١١- بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٥ - ص ٢٦٢.

١٢- ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - ص ٢٢٩٣ – ٢٢٩٦.

١٣- بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٥ - ص ٢٦٣.

١٤- مسند أحمد/أحمد بن حنبل/ج٤-ص١٢٥.

(مَنْ) الشرطيَّة في نصِّ الزِّيارة الجامعة الكبيرة

أ.م.د. هاشم جعفر حسين
جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

ينابيع

الزيارةُ الجامعة الكبيرة المروية عن الإمام علي الهادي عليه السلام موسوعةٌ معرفيّة متكاملة، تضمّنت معارفَ إلهية متعالية، وحقائقَ عن مقامات آل البيت ومنازلهم عند الله سبحانه رائقةً. وقد شَرَحَ الزيارة أكابرُ العلماء، فقد شَحَذَ نصُّها الشَّريفُ هِمَمَهُمْ، وَبَرى أقلامَهَمْ فأقبلوا عليها، يشرحون مَتْنَها، وينهلون من معارفها، واستمرت تلك الشروح جيلاً بعد جيل، حتى أحصى منها المحقِّق آغا بُزرك الطهراني عشرين شرحاً[1].

وقد ثبت من استقراء كلام الإمام عليه السلام أنّ أسلوب الشرط كان من المهيمنات الأسلوبية فيه، إذ وردت الجملة الشرطية في النصِّ في واحد وعشرين موضعاً، وتنوعت تراكيبه في مواضع كثيرة من الزيارة، واستُعين بها لتثبيت المضامين الاعتقادية العالية، بما تضمنته بنية الشرط من مسببات ونتائج تقود الأذهان إلى الإذعان لما يُلقى إليها والتسليم به.

وكانت الأداة (مَنْ) من أهم تلك المهيمنات، ممّا يلفت النظر إلى أهمية دراسة التركيب الشرطي الذي وردت فيه، وما استتبع ذلك من دلالات متنوعة، مبنية على أساس المعنى الوضعي لهذه الأداة في اللغة، ويمكن لنا أن نعرض لذلك على النحو الآتي:

مَنْ : في أصل اللغة اسم وُضِعَ للدلالة على مَنْ يعقل، ثم ضُمِّنَ معنًى آخر وهو الشرط، فصار اسماً يدلُّ على المجازاة، فهو كناية عن جنس العاقلين، وعلّة استعماله في التركيب الشرطي، أنّه يتضمَّن معنى العُمُوم لجميع مَن يعقل ، فضلاً عن استعماله اسماً مُبهماً في أزمان الربط بين الفعل والجزاء، إذ يقوم بربط الشرط بالجواب بزمن مطلق[2].

ويُشْعِر التركيب الشرطي بالأداة (مَنْ) (بعدم التعويل على أصل الشخص ومكانته أو أي اعتبار آخر، وحقيقتُه

ترتيبُ جزاءٍ على شخصٍ ما اتّصف بصفةٍ ما بحيث يبدو كلُّ مَن اتَّصف بالصفات، أو تلبَّس بالأعمال مستحقاً لذلك الجزاء خيراً كان أو شرّاً)[٣]. وتَردُ الأداة (مَنْ) في دلالات سياقية متعددة منها (الترهيب والترغيب، والدعاء، والتهديد، والتحذير، وبيان العاقبة)[٤]. وفي نصِّ الزيارة الجامعة الكبيرة كان لهذه الأداة الحضور الأكبر في النصِّ، إذ وردت في تسعة عشر موضعاً، منها أحد عشر موضعاً على الترتيب الأصلي للجملة الشرطية، وثمانية مواضع خالفت ذلك. ومن البدهي أن يكثر استعمال هذه الأداة في نصوص الزيارة، ذلك أنّ الإمام عليه السلام في مقام مخاطبة العقلاء من الأمة عامةً، لغرض إرشادهم وتنبيههم على حقائق الأمور المبهمة عندهم، غير القارّة في أذهانهم، ومن أمثلة استعمالها في كلام الإمام عليه السلام ما في قوله: (**مَن اتّبعكم فالجنةُ مَأوَاهُ، وَمَنْ خَالفكم فالنارُ مثواه، وَمَنْ جَحَدَكُم كَافِرٌ، وَمَنْ حَاربكم مُشْركٌ، وَمَنْ رَدَّ عَليكم في أسْفَلِ دَرَكٍ مِن الجحيم**)[٥]، فيُلحَظ ورود جملٍ شرطية متوالية، عُطِفَ بعضها على بعضٍ بالواو، فالجملة الأولى(مَن اتّبعكم فالجنة مأواه) وردت لأجل الترغيب بدلالة قوله (الجنة مأواه)، على حين سيقت الجملة الثانية (**وَمَنْ خَالفكم فالنار مثواه، وَمَنْ رَدَّ عليكم في أسْفَلِ دَرَكٍ من الجحيم**) في مَعْرِض الترهيب بدلالة قوله (فالنار مثواه)، وقوله (في أسفل درك في الجحيم) ، وكذلك ورد قوله عليه السلام : (مَنْ جَحَدَكُم كَافِرٌ، وَمَنْ حَاربكم مُشْركٌ) في مقام الترهيب والتخويف والتقرير، وورد الشرط في هذا النص أفعالاً ماضية، هي (اتَّبعكم، خَالفكم، جَحَدَكُم، حَاربكم، رَدَّ عليكم)، لكنّ هذه الأفعال قد سُلب منها الدلالة على الماضي، ودلّت على الاستمرارية، ذلك أنّ خطابات النصّ المقدّس لا يتعلّق بها زمن محدّد، لأنّها خارجة في أصل وضعها عن حدود الزمان والمكان، فممّا لا شكَّ فيه أنّ الأمور المشروطة التي ذكرها الإمام عليه السلام تنطبق على أحكام عالمنا في مبدئه ومنتهاه، وأنّها تنطبق على العوالم كلّها، فأتباعُ الأئمة فائزون في الشؤون كلّها، على حين أنّ مخالفيهم وجاحديهم ومحاربيهم والرادين عليهم خاسرون في أولاهم وأخراهم. فكان فعل الشرط سبباً في أنْ يكون للمخالف أو المتبع لهم عليهم السلام جزاءٌ يتناسب وفعله تجاههم، فكانت (متابعتهم عليهم السلام سَبَباً لدخول الجنة، ومخالفتهم سَبَباً لدخول النار)[٦]، فالمعنى على ذلك أنّ أيّ شخص على وجه العموم اعتقد بولاية أهل البيت عليهم السلام، ولحقهم وقفا أثرهم سيكون جزاؤه الجنة، ومَنْ جحد ولايتهم فالنار جزاؤه[٧]، فـ(مَنْ) لم تُعيِّن شخصاً بذاته، ولم تحدد له صفات وخصائص، بل خصَّت الجميع بإبهام وشيوع ولم تُعوِّل على أصل الشخص ومكانته أو أي اعتبار آخر، بل رتَّبت الجزاء على الشخص الذي يتصف بتلك الصفة المخصوصة.

وورد الجواب جملة اسمية وهو ممّا لا يصلح أن يكون جواباً، لذلك جيء بالفاء الرابطة بين فعل الشرط وجوابه

ليتعلق الأول بالثاني ويكون سبباً في وقوعه. ومجيء الجواب جملة اسمية دليلٌ على أنَّ الجزاء المذكور جزاء ثابت لا تغيّر فيه، سواء كان جنةً أمْ نارًا، فناسب التعبير بها مَن استمرّ على اتّباعه لهم عليهم السلام ومَن خالفهم على وجه الاستمرار.

ويُلحَظُ أنّ جواب الشرط قد تنوّع في سياق النص المذكور، فورد جملة اسمية دالّة على المآل، ففي الموضع الأول والثاني قال (فالجنة مأواه ، فالنار مثواه)، وورد اسماً مشتقاً (كافرٌ، مشركٌ) من غير أن يقترن بما يصلحه لأن يكون جواباً للشرط، وفي ذلك مخالفة لما استقرّ في أذهان النحويين وما سطّروه في مؤلفاتهم، من أنّ جواب الشرط إذا لم يكن صالحاً وجب أن يقترن بالفاء ليكوِّنَ جملة فعلية أو اسمية تصلح للجواب، فهم في مثل ما ورد في نص الإمام يجب أن يقدِّروا فاء رابطة للجواب بالشرط ويعربوا (كافر ومشرك) خبراً لمبتدأ محذوف، بتقدير(فهو كافر، فهو مشرك)، وفي ذلك من التكلّف ما لا يخفى ، وإثبات لنقص استقرائهم للشواهد ما لا يُنكَر، فالقواعد إنّما تُقعّد على الاستعمال الفصيح لا على القياسات المستنبطة من الاستقراء غير التام، فنصوص المعصومين عليهم السلام من أوثق المدونات اللغوية التي وردت إلينا، ولو أنّ أيادي اللغويين امتدت أو تمتدّ إليها بالدراسة المستفيضة لأصبنا من ذلك بسهم وافر من الشواهد التي تساهم في تأصيل التقعيد النحوي واللغوي، وعلى ذلك يجب الإقرار بأنّ هناك قسماً آخر من أقسام الجملة الشرطية يرد فيه الجواب اسماً مشتقاً بلا تأويل، وهذا الاسم يعرب خبراً لـ (مَن) الشرطية مباشرة بلا تقدير للرابط، وفي ذلك الدلالة على الاختصار بنطق الجواب وهو ممّا يستحب وروده في جواب الشرط، الذي يمثل نتيجة الحدث الصادر من الاسم المبهم الذي تشير إليه (مَن) الشرطية، فضلاً عن أن بنية مثل هذا الجواب هي بنية اسم مشتق يلتقي مع الفعل في أحكام ودلالات بيّنة. وكذلك ورد جواب الشرط في هذا النصّ شبه جملة (في أسْفَلِ دَرَكٍ من الجحيم)، وهو أيضاً ممّا لم يُشِر إليه النحويون في أنواع تراكيب الجملة الشرطية، ولم تُذكر له أمثلة لنقص الاستقراء.

ووردت(مَن) في ثمانية مواضع من النصّ الشريف، على خلاف الترتيب الأصلي لجملة الشرط ، إذ قال عليه السلام : (سَعِدَ مَنْ وَالاكُمْ، وَهَلَكَ مَنْ عَادَاكُمْ، وَخَابَ مَنْ جَحَدَكُمْ، وَضَلَّ مَنْ فَارَقَكُمْ، وَفَازَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ، وَأَمِنَ مَنْ لَجَأَ إِلَيْكُمْ، وَسَلِمَ مَنْ صَدَّقَكُمْ، وَهَدِيَ مَنْ اعْتَصَمَ بِكُمْ)[٨] .

ويُلحَظ في هذه المواضع أنّ فعل الشرط وجوابه ورد ماضياً، وقُدِّمَ الجواب(سَعِدَ، هَلَكَ، خابَ، ضلَّ، فازَ، أمِنَ، سَلِمَ، هدِيَ) على الشرط، ممّا يستدعي التوقف عنده، فقد يكون تقدم الجزاء للعناية، أو الترغيب به، إذ هو غاية ما يرجوه المتلقي من تقرُّبه لأهل البيت عليهم السلام، نحو: (سعد، فاز، أمن، سلم، هدي)، وقد يكون الغرض منه الترهيب أو التخويف

أو بيـان المـآل، نحـو: (هَلَـكَ، خَـاب، ضَـلَّ)، فالعناية كانت بالجـزاء أو النتيجة التـي يـؤول إليهـا الحـال ترغيبـاً تـارة، وترهيبـاً وتخويفـاً تـارة أخـرى، لأنَّ مضمـون الشـرط سـبب ونتيجـة. ثـم إنّ تقديـم هـذه الأفعـال الماضيـة مـؤذنٌ بحتميـة تحققهـا، فهـو إخبـار واقـع قـد تيقّـن مُخبِـرُه بوقوعـه، ومضـى عنـده فعلـه، فـرآه علـى حقيقتـه فأخبـر بـه إخبـار إحاطـة لا تحصيـل.

١- ينظـر: الذريعـة إلـى تصانيـف الشـيعة ٢٣٩/٣، ٣٠٢، و٤٣/٧، و٤٤/٨، و٦٩/١٦، و٣٠٤/١٨ـ ٣٠٦، و ٢٣١/١٩.

٢- ينظـر : علـل النحـو، لابـن الـوراق ٤٣٦، وشـرح التسـهيل، لابـن مالـك ٦٨/٤ .

٣- ظواهـر أسـلوبية وفنيـة فـي سـورة النحـل، أسـامة عبـد المالـك ٥٨.

٤- أنمـاط التركيـب القرآنـي، علـي ميـران جبـار ٢١٢ .

٥- مـن لا يحضـره الفقيـه، الشـيخ الصـدوق ٣٨٨/٢.

٦- الأنـوار السـاطعة فـي شـرح الزيـارة الجامعـة، الشـيخ جـواد عبـاس الكربلائـي ٢١٧.

٧- ينظـر : الأعـلام اللامعـة فـي شـرح الجامعـة ، محمـد بـن عبـد الكريـم الطباطبائـي ١٩٥.

٨- من لا يحضره الفقيه ٣٨٨/٢ .

عيد الفطر

عن الفضل بن شاذان النيسابوري (رض) ويـذكر أنه سمعـها من الإمام الـرضا عليه السلام:

إنه إنما جعل يوم الفطر العيد ليكون للمسلمين مجتمعا، ويجتمعون فيه ويبرزون لله عز وجل فيمجدونه على ما منَّ عليهم، فيكون يوم عيد، ويوم اجتماع ويوم فطر، ويوم زكاة، ويوم رغبة ويوم تضرع، ولأنه أول يوم من السنة يحل فيها الأكل والشرب، لأن أول شهور السنة عند اهل الحق شهر رمضان، فأحب الله عز وجل أن يكون لهم في ذلك مجمع يحمدونه فيه، ويقدسونه، وإنما جعل التكبير فيها أكثر منه في غيرها من الصلوات، لأن التكبير إنما هو التعظيم لله وتمجيد على ما هدى وعافى ، كما قال عز وجل : (وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ).

مـن لا يحضره الفـقـيه
الشيخ الصدوق/ج١ص٥٢٢

الدواء المعجزة

ترجمة بتصرف: كمال السيد

ينابيع

كان فجر ذلك اليوم الخريفي نديّاً، السماء تنثّ[1] مطرًا ناعمًا، وقد انعكست أضواء المشهد الرضوي[2] كأبهى ما يكون وخصوصًا تكسرات النور في الإيوان الذهبي الذي يفضي إلى المرقد الطاهر، كانت القبة الذهبية تتألق بأنوار بهية وحمائم بيضاء تطوف في السماء كأنها تستحم بالمطر.

وكانت خطى الزائرين حثيثة وقد شدّها الشوق لزيارة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخليفته ووصيه الثامن عليه السلام الذي قال عن الصلاة: (إنّها اقرارٌ بالرّبوبيّة للّه عَزّ وَجَلّ)[3]. وقال عن أثرها: (لئلاّ يَنسَى العَبدُ سَيِّدَهُ ومُدَبِّرَهُ وخالقَهُ فَيَبطَرَ ويَطغى)[4]. وحتى لا ينصرف الإنسان إلى الاكتفاء بأداء حركات الصلاة فقد قال عليه السلام: (لَيْسَ الْعِبَادَةُ كَثْرَةَ الصَّلَاةِ والصَّوْمِ إنَّمَا الْعِبَادَةُ التَّفَكُّرُ فِي أَمْرِ اللّهِ عَزَّ وجَلَّ)[5].

* * *

جموع الزائرين تحث الخطى بشوق، بعضها خطى متعبة جاءت من قرىً نائية، وبعضها من الكسبة والباعة الذي جاءوا يفتتحون يومهم وطلب رزقهم بزيارة ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لاحت امرأة في حدود الثلاثين من العمر تحمل طفلاً في الرابعة من عمره، ومعها زوجها الذي كان يمسك بيد ابنته التي كانت تبدو في السادسة من العمر.

واضح إن هذه الأسرة جاءت من إحدى القرى البعيدة المتناثرة على امتداد الطريق التي تربط مدينة مشهد بالعاصمة طهران.

الأم الشابة تنظر بعينين نديتين من أثر دموع امتزجت بقطرات المطر، نظراتها وإن بدت حزينة، إلّا أن المرء يلاحظ فيها حالة من الأمل!

ثمة شعور يموج في القلوب الكسيرة يسري في كيان الإنسان ويدفعه إلى أن يرنو باتجاه نقطة هي

محور الوجود، بل هي الوجود الحقيقي، كأن كل هذه القلوب المشتاقة التي تخفق بحب آل محمد ﷺ تعي حديثاً تناقلته الأجيال عبد القرون وسجلته آلاف ثم ملايين الأقلام عندما روى الإمام الرضا من آل محمد عليه الصلاة والسلام عن آبائه عن جده المصطفى عن جبريل الأمين عن الله عزوجل: (كَلِمَةُ لا إلهَ إلّا اللّه حِصْني فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أمِنَ مِنْ عَذابِي) ثم قَال: (بِشُرُوطِهَا، وأَنَا مِنْ شُرُوطِهَا)[٦].

رذاذ المطر الناعم ممتزج بدموع الأم وهي تنظر إلى السماء، أسندت ظهرها إلى جدار من الرخام، وكان زوجها قد اصطحب ابنته إلى داخل المرقد للتبرك بزيارة الإمام ولمس الضريح الطاهر.

نهضت الأم ودخلت في الرواق المخصص للنساء، ووقفت تحت القبة حيث تنعكس الأنوار في أعماق آلاف المرايا وتتكسر أشعتها في الثريات المعلقة.

اقتربت الأم من رجل مشرق الوجه ورجته أن يبارك ابنها، مسح الرجل على رأس الطفل وتمتم بسورة الحمد وآية الكرسي ودعا له بالشفاء، ووقفت الأم الشابة في زاوية تحمل طفلها الذي لا يزال نائماً. ها هي الآن تقف وجهًا لوجه مع ضريح الإمام عليه السلام، شيء في أعماقها يتوهج بالأمل، ولن تضيع توسلاتها ودموعها ولا تمتمات دعاء تلك المرأة العجوز وقد تصدقت عليها بملغ كبير لم يحصل في تاريخ تلك القرية بمثل هذا المبلغ، حتى الأثرياء لا تطاوعهم نفوسهم على ذلك.

استخرجت من حقيبتها كيساً من النايلون الشفاف يحوي أوراقاً عليها كتابات بلغة أجنبية توحي لمن يراها بأنها تقارير طبية عن حالة الصبي الذي فتح عينيه وراح يحلق في الأنوار التي تغمر المكان .. تصاعدت رائحة المسك من نفاثة[٧] صغيرة يحملها أحد الخدم في أروقة المرقد الطاهر للإمام عليه السلام.

وبرغم الزحام كان المكان مغموراً بالسلام والسكينة وتمتمات الأصوات المتصاعدة من الحناجر المختنقة بالعبرات، وكأن هذا المكان هو أقرب نقطة إلى السماء.

نظر الرجل إلى زوجته بإشفاق وهي ما تزال تتشبث بخيط من الأمل، كان قد قال لها من قبل أن يستقلوا الحافلة:

- إن الطفل يحتاج إلى معجزة ليشفى من هذا المرض الخبيث.

تساءلت ابنته الصغيرة:

- وما المعجزة يا أبي.

قال الأب وهو يمسح على رأسها وينظر إلى الحقول الواسعة الخضراء التي تلتقي مع الأفق الأزرق.

ـ إنها الدواء الوحيد الذي يشفي أخاك الصغير.

أرادت البنت أن تسأله: لماذا لا تشتري هذا الدواء؟ لكن أصابع كف أبيها أطبقت على فمها الصغير برفق، فاكتفت بتقبيلها.

* * *

حيا الصيدلاني أخاه الدكتور أحمد الذي قدم من ألمانيا لزيارة الإمام الرضا عليه السلام وزيارة أخيه في هذه المدينة المقدسة.

كانت الصيدلية شبه فارغة في ذلك الصباح الخريفي النديّ لوّح له أخوه بيده فقد كان يتحدث مع شخص يبحث عن دواء أجنبي.

ـ لدينا دواء محلي المنشأ ولا يقل تأثيره عن الدواء الأجنبي، كما أن ثمنه أقل من عُشر الدواء الأجنبي.

غادر الشخص من دون كلام، التفت إلى أخيه وسأله: أين كنت يا دكتور؟ أشار إلى النور المتوهج برغم الغيوم وقال:

ـ زرت الحرم الرضوي، إن شمس مشهد تختلف كثيراً عن شمس برلين.

ـ يا دكتور.. إنها شمس واحدة تشرق في مشهد وتغرب في برلين.

ـ الحق معك إنها واحدة لكنها هنا تبدو أجمل بكثير!

ـ أنت شاعر قبل أن تكون جراحاً في الجملة العصبية!

وأردف متسائلاً:

ـ لم تخبرني بسرِّ مجيئك قبل الموعد بشهر؟!

قال دكتور أحمد:

ـ أنا نفسي لا أدري، وجدت نفسي في مكاتب الحجز!

القلوب سواقي كما يقال؛ لقد اشتقت إليك وإلى رؤية أبناء أخي وقد فرحت الوالدة برؤية أحفادها!

ـ إنها تحبهم أكثر مني، قالت لي: الأبناء كاللوز والأحفاد كلباب اللوز.

لم ينتبه الأب إلى ابنته التي اتجهت إلى نوافير صغيرة حيث تتدفق المياه في أعمدة فضية تتألق تحت أشعة الشمس التي تسللت من بين السُحب.

رشاش المياه البيضاء يتساقط من ذرى النوافير فيحدث وشوشة كوشوشة المطر عند ارتطامها بمياه الحوض الصافية.

لم تتوقف البنت عند النوافير بل واصلت طريقها إلى بوابة الصحن الكبير المشرعة والتي تفضي إلى شارع مخصص للمارة يؤدي إلى الأسواق والمحال التجارية التي تحيط بالمشهد الرضوي المقدس.

في جيبها نقود ادخرتها لشراء عروسة، ثلاثة أعياد مرت جمعت خلالها ثمن العروسة، كانت تتطلع إلى العرائس وعيناها تبحثان عن شيء آخر!

كان الدكتور أحمد يتحدث إلى شقيقه عندما، عندما دخلت بنت صغيرة ترتدي ثيابًا زاهية الألوان تعكس زهو القرى ونضارة الأرياف وتدفق روح الحياة في عروقها.

أخرجت البنت الصغيرة النقود التي ادخرتها ووضعتها فوق منضدة

زجاجية أمام الطبيب وقالت:

ـ أريد دواء لأخي الصغير!

اعتاد صاحب الصيدلية المجاورة للحرم الرضوي أن يتلقى طلبات من هذا النوع من قبيل شراب أو أقراص للسعال أو الزكام، لكن الطبيب فوجئ هذه المرة بالصوت الطفولي يطلب دواءً عجيبًا، إذ أن البنت قالت ببراءة:

ـ أريد دواء المعجزة!!

سأل الطبيب بدهشة:

ـ ماذا ؟!!

ـ قالت البنت:

ـ اسمه المعجزة، أخي الصغير مريض، ولا يشفيه إلّا هذا الدواء!

ذهل الطبيب للحظات، ثم قال:

ـ لا يوجد دواء بهذا الاسم !!

ـ قالت البنت تؤكد وجوده:

ـ أنا سمعت أبي يقول ذلك!!

قال الطبيب بإشفاق:

ـ ولكن يا عزيزتي لا يوجد هكذا دواء.

انتبه الدكتور أحمد للحوار فنادى البنت الصغيرة:

ـ تعالي إلى هنا إنه عندي!

فرحت الطفلة وأخذت نقودها واتجهت إليه، فقال الدكتور أحمد بحنان:

ـ كم معك من النقود!

قالت وهي تقدم النقود إليه:

ـ هذا كل ما معي، لقد جمعتها خلال ثلاثة أعياد لأشتري عروسة! .. لكن أخي ..

لم يدعها الدكتور تسترسل راح يعد النقود ليقول لها:

ـ إنه ثمن الدواء تمامًا، والآن لنذهب معًا إلى أخيك، أين هو؟

قالت: إنه في الحرم!

في الطريق لمح الدكتور محلًا لبيع العرائس والدمى، فسأل البنت:

ـ ما اسمك:

قالت:

ـ زينب واسم أخي ميثم.

قال الدكتور:

ـ اختاري عروسك يا زينب!

وقعت عيناها على عروسه تبتسم، فأشارت إليها، وقالت:

ـ إنها أجمل العرائس.

قال الدكتور:

ـ أنت أجمل منها!

وفي لحظات كانت زينب تحتضن عروستها بحب وفرح.

* * *

في الصحن الكبير، كان الأب يبحث عن ابنته المفقودة هنا وهناك وعندما لاحت له من بعيد اتجه إليها وانحنى للرجل الذي كان يرافقها شاكراً له لطفه.

تصور الأب أن ابنته ذهبت لشراء عروستها وساعدها هذا الرجل الطيب في العودة! لكنه سمع الرجل يقول معرفًا نفسه:

ـ دكتور أحمد اختصاص في جراحة الجملة العصبية أريد رؤية ابنك الصغير!

فوجئ الأب، لكنه سرعان ما انطلق صوب الإيوان الذهبي حيث جلست زوجته تنتظر. خفق قلبها وهي ترى ابنتها مع رجل يشرق وجهه بالصفاء.

أجرى الدكتور أحمد اتصالات بإحدى مستشفيات العاصمة، وبعد

إعادة الفحوصات للطفل ميثم فوجئ الدكتور أحمد بأن الورم ليس من النوع الخبيث كما أكدت التقارير!!

وبعد استكمال الإجراءات اللازمة، أجريت العملية للطفل ميثم بنجاح تام ليغادر بعد أيام من النقاهة المستشفى وهو يبتسم للحياة بفرح.

غادر الدكتور أحمد مشهد عائدًا إلى ألمانيا، وفي تلك الفترة عادت تلك الأسرة الصغيرة ومرت بتلك الصيدلية المجاورة للحرم الرضوي حيث عثرت على دواء المعجزة.

استفسر الأب عن الدكتور أحمد فأخبره شقيقه بأنه عاد إلى ألمانيا .. ثم استخرج ساعة يدوية من درج صغير، قائلاً:

ـ إنه توقع قدومكم فترك لـ (ميثم) هذه الهدية (ساعة يدوية)، مع وصية بأن يدرك قيمة العمر، طبعًا بعد أن يكبر.

شكر الأب لطف الأخوين وغادرت الأسرة لأداء مراسم زيارة ثامن أئمة أهل البيت عليهم السلام، جلس الرجل إلى جانب زوجته في ظلال الإيوان، واصطحبت زينب أخاها الصغير إلى النوافير حيث تتدفق المياه الفضية ويتساقط رشاش المياه في الأحواض الصغيرة.

تألقت ذكريات العام الماضي بكل تفاصيلها، من دعاء ومناجاة وتوسل بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إلى ذلك الرجل ذي الوجه المضيء، وهو يتمتم بقراءة سورة الحمد وآية الكرسي، إلى اختفاء البنت الصغيرة في الصحن الكبير، إلى عودتها بصحبة طبيب في الجملة العصبية، قدر له أن يرى بنتًا صغيرة في صيدلية أخيه تبحث عن دواء عجيب اسمه المعجزة لشفاء أخيها!!

هل حدث كل ذلك صدفة؟!

أو أنها يد الغيب امتدت من وراء الأستار بالرحمة والشفاء!

كان سرب من الحمائم البيضاء يحلق في زرقة السماء ورشاش مياه النوافير يتألق تحت أشعة الشمس الساطعة.

وارتفعت كلمات الآذان نشيد السماء الخالد:

ـ الله أكبر .. الله أكبر .. أشهد أن لا إله إلا الله .. أشهد أن محمدًا رسول الله .. أشهد أن عليًا ولي الله... كانت الأم تراقب طفلها يلعب بفرح وبراءة .. نظرت إلى السماء الصافية تشكر الله سبحانه: اللهم صلِّ على محمد وآل محمد كما صليت علَى إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد.

١ـ تنث: يتساقط المطر خفيفًا.

٢ـ ضريح الإمام علي بن موسى الإمام الرضا عليه السلام، استشهد مسمومًا سنة ٢٠٣هـ في مدينة طوس التاريخية التي تعرف اليوم بمدينة (مشهد) أي مشهد الإمام الرضا عليه السلام.

٣ـ علل الشرايع/الشيخ الصدوق/ج٢ص٣١٧.

٤ـ ن.م.

٥ـ الكافي/للكليني/ج٢ص٥٥.

٦ـ التوحيد/الشيخ الصدوق/ص٢٥.

٧ـ نفاثة: قارورة ترش العطر من فوهتها الصغيرة.

خطب أمير المؤمنين عليه السلام للناس يوم الفطر فقال:

أيها الناس إن يومكم هذا يوم يثاب فيه المحسنون، ويخسر فيه المسيئون، وهو أشبه يوم بيوم قيامتكم، فاذكروا بخروجكم من منازلكم، إلى مصلاكم خروجكم من الأجداث إلى ربكم، واذكروا بوقوفكم في مصلاكم، وقوفكم بين يدي ربكم واذكروا برجوعكم إلى منازلكم، رجوعكم إلى منازلكم في الجنة أو النار. واعلموا - عباد الله - أن أدنى ما للصائمين والصائمات أن يناديهم ملك في آخر يوم من شهر رمضان : أبشروا عباد الله ، فقد غفر لكم ما سلف من ذنوبكم ، فانظروا كيف تكونون فيما تستأنفون

(الأمالي/ الشيخ الصدوق/ ص١٦٠)

أجوبة مسابقة العدد (٧٤)
وأسماء الفائزين

السـؤال الأول: ب ـ مسجد الكوفة.

السـؤال الثاني: أ ـ أول من مات من المهاجرين بالمدينة.

السـؤال الثالث: ب ـ خمس آيات.

السـؤال الرابع: أ- المعلى بن خنيس .

السؤال الخامس: أ ـ حليم يمشي على الارض هوناً.

السؤال السادس: أ ـ ابن أبي الحديد المعتزلي.

السـؤال السابع: ب ـ ثلاثة أولاد.

السـؤال الثامن: ج ـ سليمان.

السـؤال التاسع: أ ـ منصرفا من صفين.

الفائز بالجائزة الأولى: قيس جواد سماوي / كربلاء/ الهندية.

الفائز بالجائزة الثانية: فاتن سليم صالح/ بغداد/ البياع.

الفائز بالجائزة الثالثة: السيد جاسم السيد عبود / كربلاء/ الحي الصناعي.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد.

مسابقة العدد (٧٦)

١ (من لم يُغفر له في شهر رمضان، لم يغفر له إلى قابل)، حديث نقله هشام عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، مبيناً فيه فضل صيام شهر رمضان وما فيه من المغفرة والتوبة لمن صام أيامه المباركة، ثم استثنى الإمام عليه السلام من حضر موقفاً من المواقف الشريفة، فأي المواقف ذكر عليه السلام؟

أ- عرفة ب- المزدلفة ج- منى

٢ حمنة بنت جحش من المسلمات المجاهدات، شهدت واقعة أحد فكانت تعالج المصابين الذين تصيبهم الجراح في أرض المعركة، فقدت في هذه الواقعة ثلة من رجالها، استشهدوا هناك، فكم كان عدد تلك الثلة؟

أ- رجلان ب- ثلاثة رجال ج- أربعة رجال

٣ كانت ضربة عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله ضربة بليغة أثرت في أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حيث قال له الطبيب أثير الجراح السكوني: مولاي اعهد عهدك فإن الضربة قد وصلت لأم رأسك، وكان الإمام قد ضُرب على نفس الموضع من قبل، فأي ضربة كانت؟

أ- ضربة مرحب في خيبر ب- ضربة عمرو بن عبد ود يوم الأحزاب

ج- ضربة عتبة يوم بدر

٤ أنكرت ليلة إذ سار الوصي إلى ... أرض المدائن لما أن لها طلبا
وغسّل الطهر سلماناً وعاد إلى ... عرّاص يثربَ والإصباح ما وجبا
فآصفُ قبل ردّ الطرفِ من سبأٍ ... بعرشِ بلقيس وافى يخرقُ الحجبا

أبيات رد فيها قائلها مقالة المستنصر العباسي، حينما أظهر نكرانه حضور الإمام عليه السلام لدفن سلمان وعودته، من القائل؟

١.الشريف الرضي ب- أبن الأقساسي ج- أبن طباطبا العلوي

كوبون المسابقة

ينابيع ٧٦

جواب السؤال الأول
أ ب ج

جواب السؤال الثاني
أ ب ج

جواب السؤال الثالث
أ ب ج

جواب السؤال الرابع
أ ب ج

الاسم الثلاثي:العنوان:

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠,٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥,٠٠٠ دينار.
الثالثة: ٥٠,٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه(مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. ويخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ ذي الحجة/ ١٤٣٨هـ

جواب السؤال السابع	أ	ب	ج

جواب السؤال السادس	أ	ب	ج

جواب السؤال الخامس	أ	ب	ج

جواب السؤال التاسع	أ	ب	ج

جواب السؤال الثامن	أ	ب	ج

٥ أبان بن عثمان بن أحمر البجلي، يروى عن الصادق والكاظم، له مؤلفات شتّى، وهو على رأس مجموعة من الثقاة الذين أجمع الشيعة على تصحيح ما يصح عنهم والإقرار بالفقه لهم، فكم كان عدد أفراد هذه المجموعة التي يرأسها أبان؟

١. أربعة أشخاص ب- خمسة أشخاص ج- ستة أشخاص

٦ (في كل زمان رجل منّا أهل البيت يحتج الله به على خلقه وحجة زماننا ابن أخي جعفر لا يضل من اتبعه ولا يهتدي من خالفه) حديث جاء عن أحد أولاد الإمام علي السجّاد عليه السلام، فمن هو:

أ- علي الأصغر ب- الحسين ج- زيد

٧ روى زيد بن طلحة أن الإمام الصادق عليه السلام قال له: قم لما وعدتك، فنهض طلحة ومعه إسماعيل بن الإمام الصادق عليه السلام وركبوا جيادهم ثم نزلوا عند ذكوات بيض بعد إن جازوا الثوية حيث قبر أمير المؤمنين عليه السلام، فمن أي مكان انطلقت رحلتهم؟

أ- الكوفة ب- كربلاء ج- الحيرة

٨ مسجد من المساجد، دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثاً، يوم الاثنين ويوم الثلاثاء فاستجيب له يوم الأربعاء، بين الصلاتين يقول سلمان: فرأيت السرور في وجه النبي صلى الله عليه وآله فقال سلمان: ما نزل بي أمر إلا توخيت تلك الساعة لأدعو بها، فما اسم ذلك المسجد؟

أ- مسجد الفضيخ ب- مسجد قبا ج- مسجد الفتح

٩ لما وضعت واقعة أحد أوزارها جاء النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة فسمع النساء يندبن قتلاهن ولم يسمع من يندب عمه الحمزة بن عبد المطلب، فبكى صلى الله عليه وآله لمصاب عمه، ثم قال: لكن حمزة لا بواكي له، فرجع أحد الصحابة لدار بني عبد الأشهل وامر النساء بالبكاء على حمزة، فمن ذلك الصحابي؟

أ- عمار بن ياسر ب- سعد بن معاذ ج- سلمان الفارسي

دار الهلال

طباعة . نشر . توزيع

- كتب
- اقراص كومبيوترية
- اقراص DVD - VCD

النجف الأشرف ـ شارع الرسول ﷺ
Tel: (+٩٦٤) ٧٨٠٤٢٠٧٣٨٤

www.Alhelal.org
INFO@ALHELAL.ORG

علماؤنا | صورة قديمة لآية الله الشيخ محمد حسن آل ياسين (قدس سره) في سبعينيات القرن الماضي خلال محاضرة رمضانية